



أدهم شرقاوي

" قس بن ساعدة "

kalemat

رَسَائِلُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ

رَسَائِلُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ

أدهم شرقاوي

دار كلمات للنشر والتوزيع
البريد إلكتروني:
Dar_Kalemat@hotmail.com
الموقع الإلكتروني:
www. kalemat.com

ردمك: 978-9921-809-23-7

رَسَائِلُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ

أدهم شرقاوي

2023

kalemat

الإهداء

إلى الذين يُحِبُّونَ النَّبيَّ ﷺ رغمَ معاصيهم، وأنا منهم!
إلى الذين يُجاهِدُونَ أنفسَهم على تركِ الحرامِ،
فيغلبونها تارةً، وتغلبُهم تارةً، وأنا منهم!
أعرفُ من حالي أنَكم لم تعصُوا اللّٰه اجتراءً ولكنَّكم بشَر،
أُهدُيكم هذه الرّسائل من النَّبيِّ الذي تُحبُّونه،
تقَرؤُونها، وأقرؤُها معكم، وتُحاولُون وأُحاولُ معكم،
أن نلقاه على الحوضِ ونحن في حالٍ أفضل!

1
«اللهُمَّ أَبْغِنِي حَبيباً هو أحَبُّ إليَّ من نفسِي»

رأى النَّبيُّ ﷺ سلمةَ بن الأكوعِ يوم الحُديبيةِ، وليس معه سلاحٌ، فأعطاه ترْساً، ثمَّ رآه بعد ذلك وليستْ معه، فقالَ له: يا سلمَة، أين حُجفتكَ التي أعطيتُكَ؟

فقالَ له سلمة: لقينِي عمَّي عامرٌ وليس معه سلاحٌ فأعطيتُها له!

فضحكَ النَّبيُّ ﷺ وقالَ له:

إنَّكَ كالذي قال الأوَّلُ:

اللهُمَّ أبغِني حبيباً هو أحبُّ إليَّ من نفسِي!

شجِّعِ التّصرفَ الجميلَ من النّاسِ، وأثنِ عليه،

قُلْ للبارِّ بوالديه أنَّه إنسانٌ رائعٌ ومأجورٌ،

وقُلْ للزَّوجِ الحنونِ أنَّه نبيلٌ ومُثابٌ،

وقُلْ للموظَّفِ الأمينِ إنَّه جعلكَ تؤمنُ بوجودِ الخيرِ في النّاسِ،

وقُلْ للمجتهدِ في دراستِه، وللناجحِ في عملِه، إنّه أنسانٌ رائعٌ،

وقولي لصديقتكِ الملتزمةِ إنَّ التزامها يُثبتكِ!

النّاسُ كالفراشاتِ، أحياناً لا يرُون جمالَ الألوانِ على أجنحتهم، امدَحْ مواطنَ الجمَالِ في النَّاسِ فهذا فعلُ أصحابِ القلوبِ السَّليمةِ!

2

«مُتعلِّقٌ بأسْتَارِ الكَعبة!»

لمَّا دخلَ النَّبيُّ ﷺ مكَّةَ عامَ الفتحِ،
جاءَه رجلٌ فقال: إنَّ ابنَ خَطَلٍ مُتعلِّقٌ بأستارِ الكَعبةِ!
فقالَ: اقتُلُوه!
عفا عن مكّة كلها إلا ستّة، أربعةَ رجالٍ وامرأتين منهم ابن خطل!
كان أسلَمَ ثم قتلَ صحابيًا ظُلماً،
ثمَّ عادَ إلى مكَّة وارتدَّ، وأخذَ يهجُو النَّبيَّ ﷺ بشِعرِهِ،
ثمَّ اشترَى جاريتين تُغنّيان بهجاءِ النَّبيِّ ﷺ وسَبِّه!
بعضُ الأخطاءِ لا تُغتفر،
وليسَ دائماً عليكَ أن تُصفعَ على خدِّكَ فتدير الآخر،
ثمَّةَ ضرباتٌ يغفُرُها الرِّجالُ للرِّجالِ،
فلا تخلُو واقعةٌ إلا وذاقَ بعضُهم بأسَ بعضٍ،
ولكن ثمةَ نذالةٌ يجب أن يُدفَع ثمنُها!

3

«حُجَّ مع امرأتِكَ!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:
يا رسولَ اللهِ، إني كُتبْتُ في غزوةِ كذا، وكذا،
وامرأتي حاجَّة!
فقالَ له النّبيُّ ﷺ: ارْجِعْ فحُجَّ مع امرأتكَ!
المحرَمُ في السَّفر إكرامٌ للمرأة وليس شكًّا بها!
صونٌ لها من الأذَى وليس مراقبةً لها!
السَّفرُ وعثاءٌ ومشقَّةٌ وأنتِ رقيقةٌ وهذا الدِّين يُراعيكِ،
والمرأةُ الوحيدةُ مطمعٌ للعابثين وهذا الدِّينُ يحميكِ،
وعندما يأتي الصَّحابيُّ قد عزمَ على الجهادِ وامرأتُه على سفرٍ للحجِّ،
فيأمره النَّبيُّ ﷺ بتركِ الجهادِ والسَّفر معها،
فكأنَّما يقولُ له: إنّ حمايتكَ لزوجتكَ ومساعدتَها جهادٌ أيضاً،
هذا الدِّينُ لا يُضيِّقُ الخناقَ بالمحرَمِ وإنما يُدلِّلُ به المرأة،
وأيُّ إكرامٍ للمرأةِ أكثر من أن يعزمَ عثمانُ بن عفان على الخروجِ لغزوةِ بدر،
ثم تمرضُ امرأتُه فيجلس قربَها يداويها ولا يذهب،
ثم يقسِمُ النَّبيُّ له ﷺ من الغنائمِ كما قسمَ للمجاهدين،
هم حازُوا الغنيمةَ بجهادِ السَّيفِ، وهو حازَها يُدلِّلُ زوجَتَه!

4

«أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ»؟!

مهما طُفْتَ أرجاءَ اللُّغَة،

لن تجدَ استفهاماً أكثر وجعاً من هذا: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟!

للأسف إنَّ الكثيرين سيكرهونكَ لمميزاتكَ لا لعيوبكَ!

وقد تسلم ممَّن حرمتَهُم ولا تسلم ممَّن أعطيتَهُم!

سيأخذونَ منْكَ بيَدٍ ويطعنُونَكَ بالأخرى،

هذهِ الدُّنْيَا مَلِيئَةٌ بالجُحُود!

سيكسرُكَ بعضُ الذينَ رَمَّمْتَهُم،

وسيجرَحُكَ بعضُ الذينَ دَاويتَهُم،

وسيُطفِئُ شمعتَكَ بعضُ الذينَ أضأْتَ شُمُوعَهُم،

وسيكسِرُ مجاذِيفَكَ بعضُ الذينَ دفعتَ قوارِبَهُم،

وسَيُبْكِيكَ بعضُ الذينَ مَسَحْتَ دُمُوعَهُم،

كُنْ خَيِّراً، ولكِنْ لا تَنْسَ:

أولُ مَا يَفْعَلُهُ الأعمى بعد أن يبصرَ هو أن يلقيَ عصاه!

5
«فدَارِهَا تَعِشْ بها!»

قال النَّبيُّ ﷺ لسُمَرَةَ بن جُنْدُبٍ:
إنّما المرأةُ خُلقَتْ من ضِلعٍ،
وإنّكَ إن تُردْ إقامتَها تكِسْرها،
فدارِها تعِشْ بها، فدارِها تعِشْ بها!
الحُبُّ يوصلُكُما إلى العتبةِ فقط ثم تبدأُ الرِّحلةُ،
وهي لا تحلُو إلا بالاحترامِ حتى في لحظاتِ الخِلافِ،
ولا تستقيمُ إلا بالتَّغافلِ، مؤذٍ وطاردٌ للحُبِّ هو تصيُّدُ الأخطاءِ،
ولا تستمرُّ إلا بالتَّغاضي، تحملُها مرَّةً وتحملُكَ مرَّةً،
ولا تثمرُ إلا بالاحتمالِ، تتنازلُ لكَ حيناً، وتتنازلُ لها حيناً،
ولا تصفُو إلا بالمبادرةِ، تُعطيها وتأخذُ منها، وتعطيكَ وتأخذُ منكَ، الزَّوج وحده لا يستطيعُ إنجاح الزَّواجِ، وكذلك الزَّوجةُ لا تستطيعُ وحدها، لا يوجدُ عصفورٌ يستطيعُ أن يُحلِّقَ بجناحٍ واحدٍ،
فقبل أن يسأل كل واحدٍ منا عن حقِّه فليُؤدِّ واجبه!

6
«فَهَلْ تَستَطِيعُ أن تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي»؟!

قَبِلَ النَّبيُّ ﷺ توبةَ وحشيٍّ قاتلِ عمِّهِ حمزة،
لا أحد يستطيعُ أن يغلقَ بابَ التَّوبةِ فِي وجْهِ أحدٍ ولو كان نبِيّاً!
ولكنَّ قلبَ المرءِ لهُ، وجُرْحُهُ يعنيهِ وحدَهُ!
لهذا قال له: فهل تستطيعُ أن تغَيِّبَ وجهَك عَنِّي!
العَفْوُ مَرْهُونٌ بالمقدرة،
وأحياناً يفوقُ الجرحُ قُدرتَنَا على العَفْوِ!
قدْ نُسَامِحَهُم، ولكنَّنَا لا نستطيعُ أن نَنْظُرَ في وُجُوهِهِم،
لأنَّنَا كلَّمَا رأينَاهُم سنتذكَّرُ طعْمَ خَنَاجِرِهِم في ظُهُورِنَا،
تفهَّمُوا أنَّ الذي لا يريدُ عَوْدَةَ المِيَاهِ إلى مَجَارِيهَا،
ليسَ بالضَّرُورَةِ حَاقداً،
البعضُ لِعُمْقِ الطَّعنَةِ يعرفون أنَّ المَاءَ،
إذا عادَ إلى مَجَارِيهِ فسيعودُ آسِناً،
إنَّ للجروحِ حُرْمَةً، فاحْتَرِمُوهَا!

7

«كانَ يكونُ في مِهْنَةِ أهلِه!»

سُئِلتْ أُمُّنا عائشَةُ: ما كان النَّبيُّ ﷺ يصنَعُ في بيتِه؟
فقالتْ: كان يكونُ في مهنةِ / خدمةِ أهلِه،
فإذا حضرتِ الصَّلاةُ خرجَ إلى الصَّلاة!
ليس منقصةً للرجولةِ أن تقفَ معها في المطبخِ ساعةً!
وما هو بالمعيبِ أن تجليَ معها صحناً،
وليست نهايةَ الدُّنيا إن جمعتَ لها الغسيلَ عن الحَبْلِ،
بينما تقومُ هي بعملٍ آخرَ من أعمالِ البيتِ،
أين الإهانةُ إن كَوَيْتَ قميصاً، أو علَّقتَ على الأقلِ ثيابكَ؟!
كان النّبيُّ ﷺ يخصِفُ نعلَه، ويرقَعُ ثوبَه، ويحلِبُ شاتَه،
وأحدُنا يجلسُ في البيتِ كأنَّه الوالي،
حتى شربةَ الماءِ يُريدُها أن تحضرَ بين يديه،
في الدُّنيا ما يكفي من القسوةِ فكُنْ ليِّناً!

8

«أثقلُ في الميزانِ من جبلِ أُحُدٍ»!

كانَ عبدُ اللّهِ بن مسعُودٍ نحيلاً جدًّا، دقيقَ السَّاقين،
فصعدَ شجرةً ليجنيَ منها فكشفتِ الرِّيحُ دقَّةَ ساقيه،
فضحكَ الصَّحابةُ، فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: مِمَّ تضحكُون؟!
فقالُوا: من دقَّةِ ساقي ابنِ مسعُودٍ!
فقالَ لهم: هُما أثقلُ في الميزانِ من جبلِ أُحُدٍ!
إنَّما المرءُ بقلبِه لا بوزنِه، بعقلِه لا بمالِه، بلسانِه لا بثوبِه!
إنَّكَ ترى الرَّجلَ النَّحيلَ القصيرَ فلا تحسبُه شيئاً،
وقد يكونُ له عندَ اللّهِ مكانٌ ما كنتَ بالغَه ولو عشتَ ألفَ سنةٍ!
وترى الثَّريَّ الوسيمَ فتغبطَه وتقولُ: ليتنِي كنتُ مكانَهَ،
وقد يكونُ عاصياً فاجراً، له قلبٌ أقسى من الحِجارة!
ليس كل قصيرٍ فقيرٍ دميمٍ تقيًا، ولا كلُّ وسيمٍ ثريٍّ فاجراً،
وإنَّما القصدُ أن لا نحكمَ على النَّاسِ بالمظاهِرِ!
إنَّ اللّه تعالى خلقَ القبيحَ ليس عن عجزٍ منه سبحانَه،
وخلقَ الفقيرَ ليس عن قلَّةِ خزائنِه جلَّ في عُلاه،
ولكنَّها أرزاقٌ وامتحاناتٌ، فإن لم تحترِمِ الخلقَ فاحترمِ الخالقَ!

9
«يضَعُ ركبتَهُ لصفيَّةَ لتركَبَ!»

يقول أنسُ بن مالكٍ خادمُ النَّبيِّ ﷺ:
رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يجلِسُ عند بعيرِه، فيضَعُ رُكبتَهُ، فتضعُ صفيَّةُ رِجلَها على رُكبتِه، فتركب!
هذا دين الحُبِّ، واللباقة، والرَّحمة، «والإيتيكيت»!
ولكن للأسفِ نحن نأخذُه اعتقاداً لا سُلوكاً!
وكأنَّ التعبيرَ عن الحُبِّ عيبٌ،
أو كأنَّ إظهارَ اللُّطفِ منقصةٌ وحرامٌ،
قسَوْنَا حتى صارَ كل ما نراهُ من الغربِ ملفتاً،
إذا فتحَ هناك حبيبٌ لحبيبتِه باب السَّيارة،
قلنا: يا للرومانسيَّة! وتساءلنا: أين نحن من هذا الحُبِّ،
قبل ألفٍ وأربعمئة سنة جلسَ النّبيُّ ﷺ على الأرضِ،
ونصبَ رُكبتَه لزوجتِه، لتدوسَ عليها وتركبَ!
القسوةُ والإعراضُ والإهمالُ ليستْ من هذا الدِّين في شيءٍ،
ولكنَّنا نأخذُ منه ما نريدُ ونتركُ منه ما نريد!

10

«أَغِرْتِ؟!»

خرجَ النَّبيُّ ﷺ من عند عائشة ليلاً،
فظنَّتْه قد ذهبَ عند بعضِ نسائِه، فغارتْ!
فجاء النَّبيُّ ﷺ فعرفَ ما بها من ملامِحِهَا،
فقال لها: ما لكِ يا عائشة؟ أَغِرْتِ؟
فقالتْ: وما ليَ لا يغارُ مثلي على مثلكَ؟!
يرى النَّبيُّ ﷺ ملامحَ الغيْرةِ على وجه زوجتِهِ فلا يتجاهلها،
ثمَّة مشاعرٌ علينا أن نتعاملَ معها بجديَّة،
حتى ولو كانتْ نابعةً من تصوُّرٍ خاطئٍ عن موقفٍ ما،
في تلك اللَّحظة لا يهمُّ ما هو الموقف،
المهمُّ ما هي المشاعرُ التي تولَّدتْ منه!
ثم أُنظري لعائشة ما أعقلَها وما أحسنَ ردَّها:
وما ليَ لا يغارُ مثلي على مثلكَ!
دعكِ من المكابرةِ وقولي له بصراحةٍ: أنا أغارُ عليكَ،
ودعكَ من حرقِ أعصابكَ، ومن التَّلميحِ البارد،
قل لها بكلِّ وضوحٍ: أغارُ عليكِ ولو من نسمةٍ تلمسُ وجهكِ،
أشعِرُوا شركاءَكم أنَّكم تهتمُّون وأنَّ لهم عندكم قيمة!

11

«إذا هَوِيتِ الشَّيءَ تابَعَها عليه!»

يقولُ جابرُ بن عبدِ اللهِ: كان النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً،
إذا هَوِيتْ عائشةُ الشّيءَ تابَعَها عليه،
فأحبَّتْ أن تعتَمِرَ بعد أن انتهَى الحجُّ،
فأرسَلَها مع عبد الرحمن بن أبي بكرٍ فأهَلَّتْ بعمرةٍ من التَّنعيم!

يا لرِقَّةِ تعبيرِ جابرِ بن عبدِ اللهِ وعذوبتِه:
إذا هَوِيتْ عائشةُ الشيءَ تابعَها عليه!
الزَّوجُ النّبيلُ هو الذي يُحقِّقُ الرَّغبات لا الذي يمنعُها،
فإن رأيتَ عندها رغبةً في زيارةِ أهلها فخُذها،
وإن لمستَ عندها هوىً في الخروجِ من البيتِ فاصحبْهَا،
وإن رغبتْ بفستانٍ وكنتَ قادراً فلا تحرِمْهَا،
وإن أحبَّتْ يوماً أن تدعو صديقاتها فاسمحْ لها ولا تخنقْهَا،
الحرمانُ يقدرُ عليه كلُّ أحدٍ ولكن النُّبلاءَ وحدهم يمنحُون على الدَّوام، والقسوةُ ليست عملاً بطولياً، اللِّينُ هو الذي يحتاجُ إلى شجاعةٍ!

12

«يا معاذ، واللهِ إنِّي لأُحِبُّك»

وَكَأَنِّي بمعاذٍ حينَ سَمِعَها نَبَتَتْ لَهُ أجنحةٌ وطار!
لَمْ يكنْ حُبُّ النَّبيِّ ﷺ خافياً على معاذٍ ليبديهِ له،
ولا مجهولاً ليُعلِمَهُ به!
ولكنَّ النّبيَّ ﷺ كان يعلمُ وَقْعُ الكلماتِ في القلوبِ،
ثمَّة مفردات يكونُ وَقْعُهَا عَلَيْنَا آسِراً،
نحبُّ أن نَسْمَعَهَا حَتَّى وإن كُنَّا نَعْرِفُهَا،
نَحنُ نَحْتَاجُ أن نَسْمَعَ كَلَاماً نَعرِفُهُ، نعرِفُهُ جيداً، ورُبَّمَا نحفَظُهُ عن ظهرِ قلبٍ،
ولكنَّنَا نَأْنَسُ حينَ نملأُ أسماعَنَا منه،
يقعُ علينا كما تقعُ يَدُ أمٍّ على فروةِ الرَّأسِ فتُهَدِّئ،
وكَمَا يقعُ عناقٌ على خائفٍ فيَطْمئِن،
وكَمَا يقعُ مطرٌ على أرضٍ ميتةٍ فيُحْيِي،
فَلَا تَكْتُمُوا مشَاعِرَكُم، عَبِّرُوا عَنهَا، عِيشُوهَا، تَلَذَّذُوا بها،
أنتم تحتاجون أن تقدِّموا الحبَّ بمقدارِ ما تحتاجون أن تأخُذُوه!

13

«قد عَرَفْتُ في وجهِهِ الجُوعَ!»

قالَ رجلٌ من الأنصارِ يُكْنى أبا شُعيب لغلام له:
اصنَعْ طعاماً يكفي خمسةً، فإنِّي أُريدُ أن أدعوَ النّبيَّ ﷺ خامسَ خمسةٍ!
فإنِّي قد عرفتُ الجُوعَ في وجهِه!
فدعَاهُم، فجاءَ معهم رجلٌ لم يكُنْ قد دُعيَ،
فقال النَّبيُّ ﷺ: إنَّ هذا تبعنا، فإنْ شئتَ أنْ تأذنَ له فأذَنْ له،
وإنْ شئتَ أنْ يرجعَ رجعَ!
فقالَ: لا، بل قد أذنتُ له!
كُنْ فطناً ولمَّاحاً، حاجاتُ النّاسِ تُعرفُ في وجوههم!
في غصَّةِ الصَّوتِ دموعٌ خفيَّةٌ فانتبهْ لها،
وفي البحَّةِ خُذلانٌ مدفونٌ فلا تتجاهله،
وفي رجفةِ الأيدي ضياعُ روح فاكترِثْ بها،
وفي شُرودِ الذّهن جرحٌ عميقٌ، أو شوقٌ لغائبٍ فلا تتعامَ عنه،
وفي لعثمةِ الكلام ارتباكٌ دفينٌ فانتبهْ له،
ليس كل ما في النَّفسِ يُقال، ولكنَّه يُرى!

14
«أَدْرَكَتْنِي رِقَّتُها، فبكيتُ!»

وقفَ النَّبيُّ ﷺ يوماً على قبْرٍ، ووقفَ معه النَّاسُ،
فجعلَ يُحرِّكُ رأسه كالمخاطِبِ، ثم بكى...
فجاءِ عمرُ بن الخطَّابِ فقال: ما يُبكيكَ يا رسولَ اللّٰه؟
فقالَ: هذا قبرُ آمنةُ بنتُ وَهَبٍ،
استأذنتُ ربِّي أن أزورَ قبرَهَا، فأذِنَ لي،
واستأذنتُه في الاستغفارِ لها فأبَى!
وأدركتْني رقَّتُها، فبكيتُ!
الأطفالُ أذكى مما تتصوَّرُون، وذاكراتِهِم أعمقُ مما تتخيَّلُون!
لم يعشِ النَّبيُّ ﷺ مع أمِّه إلا سبعَ سنواتٍ،
سنتان منها كان مُسترضَعاً في ديارِ بني سعدٍ عند حليمة،
ولكنَّه بقي يذكرُ الحنانَ والرِّقةَ التي كانتْ تعاملهُ بها وقد بلغَ السِّتين!

أولادُكَ سيتذكَّرُون منكَ لحظاتِ الحُبِّ والحنانِ والتَّغاضِي حتى آخرِ العمرِ، في مكتبتي أكثر من ألفِ كتابٍ أغلاها على قلبي كتاب قصصِ الأنبياءِ للأطفالِ، اشتراه لي أبي من معرضِ الكتابِ وأنا في الثَّامنةِ من عمري، واللّٰهِ إني حتى اليومَ كلمَّا أراه أتذكَّرُ فرحتِي يومذاك!

15

«لا أنسَاها لها»

النَّاسُ أحياناً لا يُرِيدُونَ منَّا حُلولاً لمشكلاتِهِم،
بقَدرِ مَا يُرِيدُونَ أن يَشْعُرُوا أنَّنَا نَهْتَمُّ!
الكَرَمُ ليسَ مالاً فقط، الاهتِمَامُ كرَمٌ أيضاً،
والمُوَاسَاةُ أَحيَاناً تُسَاوِي مَالَ الدُّنْيَا كلِّهَا!
فِي حَادِثَةِ الإفْكِ دَخَلَتْ امرأةٌ من الأنصارِ عَلَى عَائِشَةَ،
ومن هَوْلِ المصِيبَةِ لم تستطِعْ أن تُعَزِّيهَا ولو بكلمة،
وإنَّمَا جلستْ تبكِي مَعَها!
تقولُ عائشة: لا أنسَاهَا لَهَا!
الرِّقَةُ تَهْزِمُ القُوَّةَ، فكُنْ دوماً الجِهَةَ الآمنَةَ،
امسحْ دمعةَ المَحْزُونِ، وَارْبِتْ على كتفِ المخذولِ،
عَانِقِ الفَاقِدِ، وتفَقَّدْ الغَائِبَ،
الأمرُ لا يحتاجُ إلى بُطُولَاتٍ خَارِقَةٍ، كُنْ إِنْسَاناً فقط!

النّاسُ كالفراشاتِ، أحياناً
لا يرُون جمالَ الألوانِ على أجنحتهم،
اِمدَحْ مواطنَ الجمَالِ في النَّاسِ فهذا فعلُ
أصحابِ القلوبِ السَّليمةِ!



16
«كأنِّي أنظرُ إليكَ تمشِي في الجنَّة»!

كانَ عمـرُو بـن الجَمُـوحِ شـديدَ العَـرجِ، فمنعَـه أبنـاؤُه مـن الخـروجِ لغـزوة أُحـد،

وقالُوا له: يا أبانَا، إنَّ اللّه تعالى قد عَذرَكَ!

فجاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ يشكوهم!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أمَّا أنتَ فقد عذركَ اللّهُ فلا جهادَ عليكَ!

وقالَ لأولادِه: لا تمنعُوه، لعلَّ اللّه أن يرزقَه الشَّهادة!

فأذِنُوا له في الخُروج، وفي الطَّريقِ سألَ النَّبيَّ ﷺ فقالَ:

إن قُتلتُ في سبيلِ اللّهِ، أمشي برِجْلِي هذه صحيحةً في الجنَّة؟!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: نعم!

فقاتـلَ عمـرُو حتـى قُتـلَ، ومـرَّ عليـه النَّبـيُّ ﷺ وهـو بيـن القتلـى وقـالَ لـه:

كأنِّي أنظرُ إليكَ تمشي برجْلكَ هذه صحيحةً في الجنَّة!

لا تنظرْ إلى هذا الدِّينِ على أنَّه هَمٌّ مُلقىً على ظهركِ وأكتافكَ،

بل انظُرْ إليه على أنَّه أمانةٌ تحملُها، ورسالةٌ تُؤدِّيها،

وقبـلَ كلِّ شـيءٍ أنَّـه الطَّريـقُ الوحيـدةُ لبلـوغِ الجنَّـةِ والنَّجـاةِ مـن النَّـارِ!

وقيمـةُ المـرءِ الحقيقيَّـةِ ليـس بمقـدارِ مـا يتخلَّـى بـل بمقـدارِ مـا يلتـزم، إلقـاءُ المسـؤوليةِ عـن الأكتـافِ يُجيدُهـا الجميـعُ، الأبطـالُ وحدهُـم يحملُونَهـا!

17

«إنَّ شرَّ النَّاسِ عندَ اللهِ من تَرَكَهُ النَّاسِ اتِّقاءَ شَرِّه»!

اِحْذَرْ أن تكونَ شَرَّ النَّاسِ!
أن يُدارِيكَ أبواكَ وينتقِيَا كَلَامهُمَا معكَ لأنَّكَ سَلِيطٌ،
وأن تُدارِيكَ زوجتُكَ لأنَّكَ قَاس،
وأن يُدارِيكَ أولادُكَ لأنَّكَ جَلِفٌ،
وأن يُدارِيكَ جَارُكَ لأنَّكَ بَذِيءٌ،
وأن يُدارِيكَ زُمَلاءُ العملِ لأنَّكَ مُؤْذٍ،
وأن يُدارِيكَ جُلساؤُكَ لأنَّكَ نَمَّامٌ،
وأن يُدارِيكَ إِخوَتُكَ لأنَّكَ غَضُوبٌ،
المُهَابُ ليسَ بالضَّرُورَةِ مَحْبُوباً ولكنَّهُ يُهَابُ لأذَاهُ،
والمَخشِيُّ ليسَ بالضَّرُورَةِ قويّاً ولكنَّهُ يُخْشَى لفُجُورِهِ،
والمُوقَّرُ ليسَ بالضَّرُورَةِ مُحتَرَماً ولكنَّهُ يُوَقَّرُ لسَلَاطَتِهِ،
كلُّ شيءٍ يبذُلُهُ النَّاسُ لكَ بغيرِ حُبٍّ، راجعْ نفسَكَ فِيهِ!

18

«ما شأن ثابت؟!»

افتقدَ النَّبيُّ ﷺ صاحبَه ثابتَ بن قيسٍ في مجلسه،

فقالَ لسعدِ بن مُعاذ: يا أبا عَمرو، ما شأن ثابت، أشتكى/ مَرِضَ؟

فقالَ له سعدٌ: إنَّه جاري، ما علمتُ له مرضاً!

وذهبَ سعدُ إلى بيتِ ثابتٍ يخبره أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد لاحظ غيابه.

فقالَ له ثابتٌ: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾،

حسبتُ أنَّها نزلتْ فيّ، فأنا أعلاكم صوتاً عند النَّبيِّ ﷺ وأنا من أهلِ النَّار!

فذكرَ سعدٌ ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقالَ: بل هو من أهلِ الجنَّة!

كم مرَّةً قرأتَ القرآنَ وشعرْتَ أنَّ الآيةَ أُنزلتْ فيكَ؟!

أَمررتَ بآيةٍ عن التَّوبةِ فشعرتَ أنَّ اللَّه يقولُ لكَ: يا فلان تُبْ؟!

أَمررتَ بآيةٍ عن الصَّدقةِ فأحسستَ أنَّ اللَّه يقولُ لكَ: يا فلان تصدَّقْ؟!

أَمررتَ بآيةٍ عن صِلةِ الرَّحمِ فشعرتَ أنَّ اللَّه يقولُ لكَ: يا فلان صِلْ رحمكَ؟!

أَمررتَ بآيةِ عن غضِّ البصرِ فشعرتَ أنَّ اللَّه يقولُ لكَ: يا فلان غُضَّ بصركَ؟!

تعالُوا نقرأُ القرآنَ كأنَّه أُنزلَ فينا، تعالُوا نتعاملُ مع أوامرِه ونواهيهِ كأنَّه رسائلُ شخصيَّةٌ من اللّهِ لأحدِنا!

19

«فَدَعَا، فمُطِرْنَا من الجُمعَةِ إلى الجُمعَة!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:

هلكتِ المواشِي، وتقطّعتِ السُّبلُ!

فدعَا النَّبيُّ ﷺ فمُطِرُوا من الجُمعةِ إلى الجُمعة!

فجاءَ الرَّجلُ فقال: تهدَّمتِ البيوتُ، وتقطعتِ السُّبلُ، وهلكتِ المَواشي، فادعُ اللَّه أن يُمسكَها!

فقالَ النّبيُّ ﷺ: اللهُمَّ على الآكامِ والظِّرابِ، والأوديةِ، ومنابتِ الشَّجرِ!

فانجلَى المطرُ عن المدينة!

بَركَةٌ هذا النَّبيُّ، واللّهِ بَركَة!

جاءَ رضيعاً إلى ديارِ بني سَعدٍ وهي جدباءَ فأخصَبتْ، ونضحَ الماءَ في وجهِ زينب بنت أبي سلمة وهي طفلةٌ صغيرةٌ، فبلغَتْ مبلغَ العجائزِ وبقي الشَّبابُ في وجهها فلم يتجعَّدْ!

وأُصيبَ عُقبةُ بن فرقدٍ السلمي بمرضٍ جلدي، فتفلَ النَّبيُّ ﷺ في يديه ومسحَ عليه فشفيَ، وعبقَ به الطِّيبُ حتى ماتَ رغم أنَّه لم يكن يمسُّ طيباً قط، جسدُه بَركَة، ودعاؤُه بَركة، وشريعتُه بَركَة، وسنّتُه بَركَة، وإنَّ المرءَ يكوُن فيه من البركَةِ بمقدارِ ما أخذَ عن هذا النَّبيِّ البَركَة!

20
«يَا حَنْظَلَةُ: سَاعَةً وَسَاعَةً»!

رَأَى أَبُو بَكرٍ حَنْظَلَةُ بن الرَّبِيعِ ضَجِراً، فَقَالَ لَهُ: مَا بِكَ يَا حَنْظَلَةُ؟

فَقَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ!

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: سُبْحَانَ اللهِ، مَا تَقُولُ؟

فَقَالَ: نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يُذَكِّرُنَا الجَنَّةَ والنَّارَ كَأَنَّنَا نَرَاهَا، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ فَنَسِينَا كَثِيراً!

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا!

فَذَهَبَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثَاهُ بِشَأْنِ قَلْبَيهِمَا،

فَقَالَ: وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَو تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُم المَلَائِكَةُ فِي الطُّرُقَاتِ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَة سَاعَةً فَسَاعَةً!

سَاعَةً فَسَاعَةً، بِمَعْنَى أَنَّ العِبَادَةَ لَا تَبْقَى عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَة، هُنَاكَ وَظَائِفٌ، وَأَسْوَاقٌ، وَتِجَارَةٌ، وَبُيُوتٌ وَكُلُّهَا يَتَطَلَّبُ التِفَاتاً، وَلَا تَعْنِي أَنْ تَكُونَ سَاعَةٌ لِرَبِّكَ وَسَاعَةٌ لِشَيْطَانِكَ!

سَاعَةٌ فِي المَسْجِدِ وَسَاعَةٌ فِي المَلْهَى اللَّيْلِيِّ!

سَاعَةٌ بِثَوبِ الصَّلَاةِ وَسَاعَةٌ مُتَبَرِّجَةٌ وَمُتَعَطِّرَةٌ!

سَاعَةً فَسَاعَةً أَنْ لَّا تَكُونَ فِي عِبَادَةٍ وَلَكِنَّكَ فِي المُبَاحِ لَا فِي الحَرَامِ!

21
«إنَّ لصَاحِبِ الحَقِّ مقالاً»!

اشترى النَّبيُّ ﷺ جملاً من أعرابيٍّ بتمرٍ كان عنده،
فدخلَ بيته، فوجدَ أنَّ أهله أنفقُوا التَّمر كلَّه أكلاً وصدقةً!
فقالَ للأعرابيِّ: إنِّي التمستُ التَّمرَ فلم أجده!
فقالَ الأعرابيُّ: وا غدرَاه!
فنهره النَّاسُ وقالُوا له: قاتلكَ اللّه، أيغدرُ النَّبيُّ ﷺ؟!
فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ دعُوه، فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً!
النَّاسُ عقولٌ، وأفهامٌ، وأذواقٌ، وأساليبٌ، فتفهَّمُوا الاختلاف،
لو كان صاحبُ الجملِ أحدَ الصَّحابةِ لقالَ للنَّبيِّ ﷺ: فداكَ جمالُ الدُّنيا!
صاحبُ الحقِّ قد يسيءُ في طلبِه ولكنَّه حقُّه فتفهَّمُوا!
والمجروحُ قد يُعبِّرُ عند وجعهِ بفظاظةٍ، ولكنَّه مجروحٌ فقدِّرُوا!
والمظلومُ قد يرفعُ صوتَه، ولكنهُ مظلومٌ فارحَمُوا!
بعضُ المواقفِ تُخرجُ النَّاسَ عن أطوَارِهم،
الظُّلمُ مُرٌّ، والخذلانُ أليمٌ، وكسرُ الخاطرِ موجعٌ،
وكسرُ القلبِ موتٌ،
قبل أن تطالبُوا النَّاسَ التزامَ الأدبِ تفهَّمُوا أنَّهم ناس!
وتذكَّرُوا قول نبيِّكُم ﷺ: إنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً!

22

«فَأَطْعِمِ الجائِعَ، وَاسْقِ الظَّمآنَ!»

جاءَ أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ وقالَ له:
يا رسولَ اللّه، علِّمني عملاً يُدخلني الجنَّة!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أَعتِقِ النَّسمةَ، وفُكَّ الرَّقبةَ،
فإنْ لم تُطِقْ ذلك فأطعِمِ الجائعَ، واسْقِ الظمآنَ!
ما عُبدَ اللّه تعالى بشيءٍ أحبَّ إليهِ من قضاءِ حوائجِ عبادهِ،
حوائجِهم الماديَّةِ، وحوائجهم الرَّوحيَّةِ والنَّفسيَّة!
إنَّ اللّه عند المنكسرةِ قلوبُهم تُخفِّفُ عنهم مصابَهُم،
وعند المكلومَةِ خواطرُهمُ تُجبرُ عنهم ما أصابهم،
عند الأكتافِ التي أثقلها الدَّينُ تحملها عنهم أو تُعينهم بحملها،
عند المستأجِرِ الفقيرِ الذي أرهقته الأُجرةُ تتكفَّلُ بها عنه مرَّةً،
عند ربِّ الأُسرةِ المسكينِ وقد جاءَ العيدُ أو موسمُ المدارسِ،
فتساعده كي لا ينكسرَ أمام أولادِه فإنَّ الشعورَ بالعجزِ مريرٌ!
عند الأرملةِ ليس لها أحدٌ إلا اللّه تتعفَّفُ وتحوطُ أيتامَها فتُعينها،
عند المريضِ أرهقَه علاجُه فتشتري دواءَه وتكون له بلسماً،
إنَّ اللّه ليس في المساجدِ فقط وإن كانت أشرف الأماكن،
إنَّ اللّه سبحانه أيضاً عند النَّاس!

23
«مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً!»

جاءتْ جماعةٌ من الأعرابِ إلى النّبيِّ ﷺ فرأى سوءَ حالِهم، فحثَّ النَّاسَ على الصَّدقة، فأبطُؤوا حتى رُئيَ كراهيةَ ذلك في وجهِه!

ثمَّ جاءَ رجلٌ من الأنصارِ بصُرَّةٍ من فضَّةٍ، ثم تصدَّقَ رجلٌ بعده، ثم تتابعَ النَّاسُ يتصدَّقُون، فرُئيَ السُّرورُ في وجهِ النّبيِّ ﷺ، ثم قالَ: من سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنة، فعُمِلَ بها بعده، كُتِبَ له مثلُ أجرِ من عملَ بها، ولا ينقَصُ من أُجورهم شيءٌ!

من سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيئةً، فعُمِلَ بها بعده، كُتِبَ له مثلُ وزرِ من عملَ بها، ولا ينقَصُ من أوزارِهم شيءٌ!

خفِّفْ مهرَ بناتكَ فلعلَّكَ تُصبحُ قُدوةً ويكونُ الجميعُ في ميزانكَ، وسامِحْ المستأجرين عندكَ في أُجرة رمضان فلعلَّ أحدهم يحذُو حذوكَ، عالِجْ مرضاكَ يوماً في الشَّهر مجاناً فلعلَّ زميلاً لكَ يلتفتُ ويُقلِّدكَ، أَضِئْ أمام بيتكَ مصباحاً كي لا يتعثَّرَ الناسُ في الليل، فلعلَّ عابِراً يُعجبُه فعلكَ فيقتدي بك فتأخذ أجره وأنتَ لا تعرفه، منذ عشرِ سنوات قرأتُ تغريدةً لشخصٍ يقول:

إني أُصلي على النَّبيِّ ﷺ كلَّ يوم ألفَ مرَّةٍ وأرى عجيبَ البركةِ والتيسير، فأعجبني فعله، ففعلتُ مثله، فرأيتُ واللهِ عجيبَ اللُّطفِ والبركةِ في كلِّ شيءٍ، هذا الرجل لا أعرفه، ولكنِّي منذ سنواتٍ أُصلِّي على النبيِّ ﷺ فيشاركني الأجر!

24
«أُوْذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»!

أعطى النَّبيُّ ﷺ بعضَ أشرافِ العربِ مالاً يريدُ أن يتألَّفَهم، فقالَ رجلٌ: هذه قسمةٌ ما عُدلَ فيها، وما أُريدَ بها وجهَ اللهِ! فسمعَ عبدُ اللهِ بن مسعُودٍ مقالةَ الرَّجلِ وأخبرَ النَّبيَّ ﷺ، فتغيَّرَ وجهُ النَّبيِّ ﷺ من الغضبِ، وقالَ: من يعدلُ إذا لم أعدِلْ؟! ثمَّ هدأَ وقالَ: يرحمُ اللهُ موسى، قد أُوذيَ بأكثَرَ من هذا فصبَرَ!

وأقسمَ ابنُ مسعُودٍ في نفسه ألا يرفعَ إلى النَّبيِّ ﷺ حديثاً يُغضِبُه، يرحمُ اللهُ موسى، فقد أُوذِيَ بأكثَرَ من هذا فصبر!

كانَ النَّبيُّ ﷺ يتعزَّى بإخوتِه الأنبياء، فتعزَّ أنتَ أيضاً!

إن كانَ لكَ ولدٌ عاقٌّ فتعزَّ بنوح عليه السَّلام فقد سبقَ ابنُه ابنكَ!

وإن كانَ لكَ أبٌ عاصٍ فتعزَّ بإبراهيمَ عليه السَّلام فقد سبق أبُوه أباكَ!

وإن كانَ لكَ زوجةٌ أتعبتكَ فتعزَّ بلوطٍ عليه السَّلام فقد سبقتْ زوجتُه زوجتكَ!

وإن كان لكِ زوجٌ فاجرٌ فتعزِّي بآسيا فقد سبقَ زوجُها زوجَكِ،

وإن فقدتَ عزيزاً فتعزَّ بيعقوبَ عليه السَّلام إذ فقدَ ابنهَ،

وإن مرضتَ مرضاً شديداً فتعزَّ بأيوبَ عليه السَّلام فقد أنهكَه المرضُ، سيرةُ الأنبياءِ ليستْ قصصاً للتَّسليةِ، وإنَّما دروسٌ للعِبرِ، وأحاديثٌ للعزاءِ، فاعتبِرْ وتعزَّ!

25
«إنَّ اللهَ إذا أرادَ بعبْدٍ خيراً عسَّله!»

قال النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابَه:
إنَّ الله إذا أرادَ بعبدٍ خيراً عَسَّلَه:
فقالُوا: يا رسولَ الله، وما عَسَّلَه؟
فقال: يفتحُ اللهُ له عملاً صالحاً قبل موته، ثم يقبِضُه عليه!
الخواتيمُ هي التي يترتَّبُ عليها كلُّ شيءٍ،
فكم من أقدامٍ مشتْ إلى اللهِ ثُمَّ زاغتْ،
وكم من أقدامٍ مشتْ بعيداً عنه سبحانه ثُمَّ عادتْ،
والمؤمنُ لا يأْمنُ الفتنةَ حتى يرى مقعدَه من الجنَّة،
والعاصي ما دامَ متحسِّراً ففيه خيرٌ فلا ييأسْ،
على أنَّه يجبُ أن يُعلم أنَّ اللهَ أرحم وأعدل وأحنّ،
من أن تمشي له عمراً كاملاً لا تريدُ إلا وجهَه،
ثمَّ يبتليكَ بمعصيةٍ ويقبضكَ عليها!
كُلُّ الذي كانت خاتمتهُم سيئةً بعد صلاحهم،
نحن رأينا ظواهرَهُم فقط، وحده اللهُ كان يرى قلوبَهم،
فأحسنُوا الظنَّ باللهِ وحلِّقُوا بجانحين فيهما النَّجاة: الخوفُ والرَّجاء!

26
«أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِه»!

أثنى الصَّحابة على جنازةٍ خيراً،
فقال النبيُّ ﷺ: وَجَبَتْ!
وأثنوا على جنازةٍ شرّاً،
فقال النبيُّ ﷺ: وَجَبَتْ!
فقالوا: وما وجبت يا رسول الله؟
فقال: الأول أَثْنَيْتُم عليه خيراً فوجبتْ له الجنَّة،
والثاني أَثْنَيْتُم عليه شرّاً فوجبتْ له النَّار،
أنتم شهداءُ اللهِ في الأرض!
حياتُك ملفُّ قضية،
وأنتَ تمضي كلَّ عمرِكَ تجمعُ لها شهوداً!
كلُّ خاطرٍ كسرتَهُ شاهدٌ عليكَ، وكلُّ دمعةٍ مسحتَها شاهدةٌ لك!
كلُّ فضيحةٍ أعلنتَها شاهدةٌ عليكَ، وكلُّ سترٍ أرخيتَه شاهدٌ لك!
كلُّ شخصٍ دُسْتَ على جرحِهِ شاهدٌ عليكَ، وكلُّ شخصٍ داويتَ جُرْحَهُ شاهدٌ لك!
أنتَ لا تتعاملُ معَ النَّاسِ عبثاً، أنتَ تكتبُ ملفَّ قضيتِكَ!

27
«وجَمَعَ اللهُ بين ريقي وريقهِ!»

تقولُ أُمُّنا عائشة: تُوفيَّ رسول الله ﷺ في بيتي،
وفي نوبَتِي، وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وجمعَ الله بين ريقِي وريقِه!
دخلَ عبد الرَّحمن بن أبي بكر بسواكٍ،
فنظرَ إليه النَّبيُّ ﷺ فعلمتُ أنَّ له به حاجةً،
فأخذْتُه، فمضغْتُه، ثم دفعْتُه إليه،
فاستنَّ به، ثم ناولنِي إيّاه، ثم سقطَتْ يده!
حين يُقبضُ النّبيُّ ﷺ وهو في حضنِ زوجتِه،
فهذه رسالةٌ مفادُها أنَّ الزَّوجةَ رفيقٌ حتى آخرِ الطَّريقِ،
وهذا درسٌ بليغٌ مضمونُه أنَّه ليس لكَ إلاَّها،
وأنَّه ليس لكِ إلاَّه!
في لحظاتِ المرض يعرفُ الرَّجلُ معنى أن تُحبَّه امرأةٌ،
وفي لحظاتِ الضَّعفِ والانكسارِ تعرفُ المرأةُ معنى أن يُحبَّها رجلٌ،
لا تعيشُوا في هذه العوالمِ الافتراضيَّةِ وتنسُوا عالمَكم الحقيقيِّ،
لا تُعطُوا أوقاتَكُم لمواقعِ التَّواصلِ وتهملُوا تواصلَ الواقعِ،
لا تبنُوا قصوراً من الأوهامِ تهدمُون بها البيوتَ الحقيقيَّةَ،
يتابعني في «تويتر» وحده أكثر من مليون إنسانٍ،
وعندما مرضتُ مرضاً شديداً مرَّةً لم أجِدْ بجانبِي إلا زوجتِي!

28

«يا عمر، إنَّهُ قد شَهِدَ بدراً»!

أراد حاطبُ بن أبي بَلْتَعَة أن يُفْشِيَ سِرَّ جيشِ الفتح إلى قريشٍ، فاستأذنَ عمرُ بن الخطَّاب النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يضربَ عُنقَهُ،

فقال له النبيُّ ﷺ: لا يا عمر، إنَّهُ قد شهدَ بدراً!

تذَكَّرُوا ماضيَ النَّاسِ المشرقِ عندما يقعُ منهم الخطأ،

ولا تنسوا كلَّ المعروفِ السَّابقِ عندَ أوَّلِ زلَّةِ قدم،

الحبيبُ الذي لطالما حَنَّ اغفروا له إن مَرَّةً قَسَا،

والصديقُ الذي لطالما وَصَلَ اغفِرُوا لَهُ إنْ مَرَّةً جَفَا،

والنَّبيلُ الذي لطالما أعطى اغفروا له إنْ مَرَّةً منع،

لا تنسوا اللَّحظات الحُلوة عندَ أوَّلِ خِلافٍ،

ولا تَهُنْ عليكم سنواتُ العِشرةِ عند أوَّلِ تنافرٍ،

مَنْ مِنَّا لم يكن سيِّئاً ولو لمرَّةٍ على الأقل؟

فلماذا نريدُ من النَّاسِ أن يكونوا ملائكةً على الدَّوام!

29
«إذا ضُيِّعتِ الأمانةُ فانتظرِ السَّاعَةَ!»

كان النَّبيُّ ﷺ جالساً مع أصحابه،
فجاءَه أعرابيٌّ فقالَ له: متى السَّاعةَ؟!
فمضَى رسولُ اللهِ ﷺ يُحدِّثُ أصحابَه ولم يُجبِ الأعرابيَّ!
فقالَ بعضُهم: سمعَ النَّبيُّ ﷺ مقالتَه،
وقالَ بعضُهم: لم يسمعِ النَّبيُّ ﷺ مقالتَه،
فلمَّا فرغَ من كلامهِ قالَ: أين السَّائلُ عن السَّاعَة؟
فقالَ الأعرابيُّ: ها أنا يا رسُول الله!
فقالَ له: إذا ضُيِّعتِ الأمانَةُ فانتظِرِ السَّاعَة!
قال: كيفَ إضاعتُهَا؟
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظِرِ السَّاعَة!

إذا كنتَ الحاكمَ فقلِّدِ المناصبَ أهلَها فهذا من أداءِ الأمانة، وإذا كنتَ مسؤُولاً عن التَّوظيف فاجعلْهَا للأكفأ فهذا من أداءِ الأمانة، وإيَّاك والقادم من طرفِ فُلانٍ فهذا غشٌّ، وخيانةٌ، وتضييعُ أمانةٍ،
وإذا تقدَّمَ لابنتكَ من لا ترضَى دينَه وخلقَه،
فلا تُزوِّجْه ولو كان عنده مالُ قارون فإنَّ هذا تَضييعِ الأمانةِ!

30
«مَنْ لا يرحَمُ لا يُرْحَمُ»!

دخلَ الأقرعُ بن حابسٍ على النَّبيِّ ﷺ وعنده سِبطُه الحسنُ يُقبِّله،

فقالَ: إنَّ لي عشرةً من الولدِ ما قبَّلتُ أحدَهُم قَط!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: من لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ!

من سُننِ اللهِ في الكونِ أنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ!

هذه الدُّنيا تدورُ، وكلُّ ساقٍ سيُسقَى مما سقَى!

الصَّدقةُ التي تضعَها في يدِ فقيرٍ هي حفظٌ لكَ،

أن تقفَ ذاتَ يوم تمدُّ يدكَ وتطلبُ الصَّدقةَ من أحدٍ!

والمريضُ الذي تُنفقُ في علاجِه هو حفظٌ لكَ،

أن تمرضَ يوماً ويُجمَعُ لكَ ثمنُ العلاجِ!

والدَّمعةُ التي مسحتَها بيدكَ لمحزُونٍ هي يدٌ تُخبِّئها للغدِ إن بكيتَ،

وجبرُ الخاطرِ الذي فعلتَه هو جبرُ خاطرٍ تُخبِّئه للغدِ إن كُسِرتَ،

كلُّ مظلومٍ أعنتَه هو جنديٌّ تُخبِّئه للغدِ إن ظُلمتَ،

كلُّ عِرْضٍ دافعتَ عنه هو عرضُكَ الذي سيصانُ أبدَ الدَّهرِ،

اللهُ أكرمُ من أن تفُكَّ عن مسلمٍ كُربةً ثم يُذيقكَ مثلها!

تفهَّمُوا أنَّ الذي لا يريدُ عَوْدَةَ المِيَاه
إلى مجَارِيهَا، ليسَ بالضَّرُورَةِ حَاقداً،
ولكنَّ الجرحَ أحياناً
يفوقُ قدرتَنَا على العَفوِ!

31
«ويَدَعُ النَّاسَ من شرِّه!»

جاءَ أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:

يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ خير؟

فقالَ له: رجلٌ جاهَدَ بنفسِه ومالِه،

ورجلٌ في شِعْبٍ من الشِّعابِ، يعبدُ ربَّه، ويَدَعُ النَّاسَ من شرِّه!

هي قاعدةٌ واحدةٌ: إنْ لم تنفَعْ فلا تضُرّ!

وتذكَّرْ دائماً أنَّ كفَّ الأذى عن النَّاسِ عبادةٌ!

فإنْ لم تتصدَّقْ فلا تَسْرِقْ!

وإنْ لم تمدَحِ التَّصرفَ النَّبيلَ فلا تنتقِصْ منه!

وإنْ لم تدُلَّ على العفيفةِ للزَّواجِ فلا تضعْ من عرضِها!

وإن لم تتحجَّبي فلا تقولي إنَّ المحجباتِ معقَّداتٌ!

وإن لم تستطِعْ أن تُزاحمَ روَّاد المساجِد، وحلقات تحفيظِ القرآنِ، فلا تنعتْهُم بالتَّخلُّفِ والرَّجعيةِ والإرهابِ!

لا تجمعْ على نفسِكَ إثمين:

إثم تركِ الصَّواب، وإثم رمي النَّاسِ بالكذبِ والبُهتان!

32

«وهذه يدُ عثمان»!

غابَ عثمانُ بن عفَّان عن البيعةِ تحت الشَّجرة،
أساساً البيعة كلّها كانت لأجله،
ولكنَّ النبيَّ ﷺ وضعَ يَدَهُ الشريفةَ في البيعةِ،
وقال: وهذهِ يدُ عثمان!
احْفَظْ لصديقِكَ غَيْبَتَهُ،
أروعُ الحبِّ ما لم يشهدْهُ صاحبَهُ،
وأبلغُ الغزَلِ مَا قِيلَ في الظَّهرِ لا في الوجْهِ!
تَخَلَّفَ كعب بن مالك عن غزوةٍ تبوكٍ فسألَ النبيُّ ﷺ عنه،
فقال رجلٌ: حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ!
فَقَامَ مُعَاذ بن جَبَل يُدَافِعُ عن صديقِهِ وقال للرجُلِ:
بِئْسَ ما قُلتَ، واللهِ يا رسولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عليه إلا خيراً!
غَابَ كعب عن الجيشِ ولكنَّهُ بقيَ حاضراً في قلبِ مُعَاذ،
فَكُن لكلِّ صديقٍ غائبٍ مُعاذاً!
ولا تقبلْ أنْ ينتقصَ من صديقِكَ فهذا مِن قِلَّةِ المُرُوءَةِ!

33
«المَدينةُ كالكِيرِ!»

جاءَ أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ وبايَعَه على الإسلامِ،
ثمَّ جاءَ في اليومِ التَّالي وقد أصابتْه الحُمَّى!
فقال للنبيِّ ﷺ: أَقِلْني! أي رُدَّ لي بيعتي فأرجِعُ كما كنتُ،
فأبى النَّبيُّ ﷺ ذلكَ!
فأصبَحُوا وقد غادرَ الأعرابيُّ المدينةَ!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: المدينةُ كالكِيرِ تنفِي خبثَها وينصعُ طيِّبُها!
الكثيرُ من النَّاسِ يعبدُونَ اللهَ على حَرْفٍ فلا تكُنْ منهم!
لا يفهمُونَ امتحانَ العبُوديَّة، ولا سُننَ اللهِ تعالى في خلقِهِ،
يربطُونَ رضَاهُم عنِ اللهِ بمدى إعطائِهم ما يريدُون،
فإذا امتحنهَم اللهُ سبحانه بما يكرهُون انفضُّوا عنه!
إذا أُعطيَ أحدُهم المالَ شكرَ، وإن ضُيِّقَ عليه تسخَّطَ!
إذا كان مُحاطاً بأحبابِه رضيَ، وإن فقدَ أحدَهُم تشكَّى!
لا يعلمُون أننا عبيدٌ، والعبدُ في مُلْكِ سيِّدِه،
والعبدُ لا يُراجعُ سيِّدَه!
غابَ عنهم بلاءُ يعقوب، وسجنُ يوسف، وفقرُ عيسى، وكربُ يونس،
يا صاحبي هذه الدُّنيا دارُ امتحانٍ، والموعد الجنّة بإذن الله!

34

«فَانْطَلَقْتُ وأنَا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهِي»!

كانتْ عائشةُ تحسبُ أن أصعبَ يوم مرَّ على النبيِّ ﷺ هو يومُ أُحُدٍ، فقد قتلوا عَمَّهُ، وشَجُّوا رأسَهُ، وأسَالُوا دمَهُ الشَّرِيف، وكسروا مُقَدِّمَةَ أسْنَانه!

فقالتْ له تسألُهُ: هل أتى عليكَ يومٌ أشدُّ من يومِ أُحُد؟

فحدَّثَهَا عن يومِ رَجْمِهِ في الطَّائِفِ، ثم قال:

فانطلقتُ وأنا مَهمُومٌ على وجهِي ولم أستَفِقْ إلا وأنا في قرنِ الثعالبِ!

كانَ من الحزنِ يمشي ولا يدري أين تأخُذُهُ قَدَمَاه!

تفهَّمُوا أنَّ الحياةَ تضيقُ أحياناً بالنَّاسِ،

وأنَّنَا نضعفُ لا من قلَّةِ الإيمانِ ولكنَّ من قسوةِ الأيامِ،

قد ينزلُ الهمُّ بالحليمِ فيجعلُهُ حيراناً،

وقد ينزلُ الغمُّ بكثيرِ الضَّحِكِ فيجعله عابساً،

وقد تُقَيِّدُنَا الهُمومُ في غرفة، الهمومُ أغلالٌ وإن كانت لا تُرى!

فقدِّرُوا ظروفَ النَّاسِ، ولا تكونُوا والدُّنيَا عليهم،

تَمُرُّ بالإنسانِ لحظاتٌ لا يُطيقُ فيها أن يسمعَ أو يقولَ كلمة!

35

«أفلحَ إنْ صَدَقَ!»

جاءَ رجلٌ من أهلِ نجدٍ يسألُ النّبيَّ ﷺ عن الإسلام،

فقالَ له النّبيُّ ﷺ: خمسُ صلواتٍ في اليومِ والليلةِ!

فقالَ: هلْ عليَّ غيرها؟

فقالَ له النّبيُّ ﷺ: لا، إلا أنْ تطوَّع!

ثمَّ قال له النّبيُّ ﷺ: وصيامُ رمضان!

فقالَ: هل عليَّ غيره؟

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لا، إلا أنْ تطوَّع!

وذكرَ له النَّبيُّ ﷺ الزَّكاة،

فقال: هلْ عليَّ غيرها؟

فقال له النَّبيُّ ﷺ: لا، إلا أنْ تطوَّع!

فذهبَ الرَّجلُ وهو يقولُ: واللهِ لا أزيدُ على هذا ولا أنقُصُ!

فقال النَّبيُّ ﷺ: أفلحَ إن صَدَقَ!

إنْ كنتَ مُحبًّا للنوافلِ فلا تُكره النَّاسَ عليها فليسَ للجميعِ همَّتك، ثمَ إنّه ليسَ لأحدٍ أن يفرضَ على العبادِ أكثَرَ مما فرضَه عليهم ربُّهم!

وكم من بيوتٍ قسا ربُّها على أهلِها بالنَّوافلِ حتى كرِهُوا الفرائضَ!

لِينُوا وخذُوا بأيدي النَّاسِ إلى اللهِ ولا تبغِّضونَه إليهم، حبِّبوهُم بالنَّوافلِ والسُّننِ فهذا من الأمرِ بالمعرُوفِ، ولكن تذكَّرُوا دائماً: الأسلوبُ أوَّلاً!

36
«إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقُكَ»!

أعرابيٌّ لم تذكرْ كُتُبُ السِّيرَةِ اسمَهُ، ولا يَعْرِفُهُ من الصَّحَابَةِ أَحَد!

جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ وبَايَعَهُ على الجِهَادِ والهِجرَة،

ثمَّ كانتْ غزوة، ومنَّ اللهُ بالنَّصرِ، وقسّم له النَّبيُّ ﷺ من الغنائمِ، فجاءَ يحملُ غنيمَتَهُ وقال: يا رسولَ اللهِ ما على هذا بايعتُك!

وإنَّما بايعتُكَ على أن أُرمَى في سبيل اللهِ بِسَهمٍ ها هنا يخرجُ من ها هنا!

وأشارَ إلى رقَبَتِهِ، فقال له النبي ﷺ: إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقُك!

ثمَّ جِيءَ بهِ في الغزوةِ التي بعدها شهيداً والسَّهمُ في رقبتِهِ حيثُ أشارَ،

فقال النبي ﷺ: صدقَ اللهُ، فصدَقَهُ الله!

خُذْهَا عندكَ قاعدة: مَن أَصلحَ النِّيَّةَ بَلَغَ!

لو صدقتَ في طلبِ قيامِ اللَّيلِ سَتُعَان،

ولو صدقتَ في حفظِ القرآنِ سيجري على لسانِكَ من الفاتحة إلى النَّاس جَرْيَ الماءِ، وحتَّى إن لم تبلغْ وُجهتَك ستُعطى على النِّيَّةِ أجرَ من بَلَغُوا، في العودةِ من غزوةِ تبوك **قال النَّبيُّ ﷺ** لأصحابه: إنَّ بالمدينةِ لرجالاً ما سِرْتُم مَسِيراً، ولا **قطعتُم** وادياً، إلا وشَرَكُوكُم في الأجرِ حَبَسَهُم المَرَض!

37
«لا تُحصِي فيُحصِي اللهُ عليكِ!»

جاءَ سائِلٌ إلى بيتِ النَّبيِّ ﷺ،
فأمرتْ له عائشةُ بشيءٍ،
فلما جاءتْ به الخادمةُ لتعطيه للسائلِ دعتْهَا عائشةُ تنظرُ في الشَّيءِ!
فقال لها النّبيُّ ﷺ: ما تُخرجينَ شيئاً إلا بعَملِكِ،
لا تُحصِي فيُحصِي اللهُ عليكِ!
وحده اليقينُ باللهِ هو ما يجعلُ المرءَ مقداماً،
أن تكون في ضيقٍ فتساعد من هو في ضيقٍ أشدّ،
لأنكَ تعرفُ أن عوضَ اللهِ مذهلٌ ويستحقُّ الانتظار،
أن يكون راتبكَ ليس كبيراً ولكنَّكَ تخصِّصُ بعضَه لأيتام،
لأنكَ تعرفُ أنَّ اللهَ شكورٌ وأنَّه سيخلفُ عليكَ حتماً،
النَّظرُ إلى الأشياء بالعينِ فقط يجعلُ المرءَ بخيلاً وحريصاً،
أما النَّظرُ إليها بالقلب فيُسخِّي!
من الجيِّدِ أن يحتاطَ الإنسانُ، ويحسبَ، ويتدبَّرَ،
ولكن لا تتعاملْ مع اللهِ بالورقةِ والقلمِ دائماً!

38

«اهجهم وروح القدس معك»!

احتدمَ السِّجالُ بينَ النَّبيِّ ﷺ وقريش،
والعربُ تضربُ بكلامِها أوجع ما تضربُ بسيوفِها!
إذ ذاك انبرى حسَّان بن ثابت يذودُ عن حياضِ الإسلامِ شعراً،
فقال له النَّبيُّ ﷺ: اُهْجُهُم وروحُ القدسُ مَعَك!
هذا الدِّينُ ثغورٌ شتَّى، ولجميعِ المواهبِ فيه مُتَّسعٌ،
الإسلامُ الذي احْتَمَى يوماً بسيفِ خالد، لاذَ اليوم بشعرِ حسَّان،
ولا يُبْلِي أحدُهُما بلاءَ الآخر في مجالِه، لكلِّ واحدٍ حربُهُ التي أجادَ فيها،
الفقيهُ يحرسُ العقيدةَ، والجنديُّ يحرسُ الوطنَ على الحدود!
المهندسُ يشُقُّ طريقاً، والأمُّ تبني جيلاً!
وزيرُ الطاقةِ يهبُ ضوءاً، والمعلِّمُ في المدرسةِ يصنعُ نوراً!
الممرِّضُ يداوي جسداً، والواعظُ يعالجُ روحاً!
كلُّ واحدٍ منَّا مهمٌّ في مجالِهِ ولا يمكن الاستغناءُ عنه،
فلا تسأل: متى ستنهضُ هذه الأمَّة؟!
انهضْ أولاً أنتَ!

39
«مَنْ أعرضَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي!»

سألَ ثلاثةُ صَحابةٍ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ عن عبادَتِه،
فلما أُخبِرُوا بها كأنهَّم استقلُّوها، وقالُوا:
أينَ نحن منه وقدْ غُفرَ له،
فقالَ الأوَّلُ: أمَّا أنا فإنِّي أُصلِّي الليلَ ولا أرقدُ!
فقالَ الثَّاني: أمَّا أنا فإنِّي أصومُ النَّهارَ ولا أُفطرُ!
وقالَ الثَّالثُ: أمَّا أنا فإنِّي أعتزلُ النِّساءَ ولا أتزوَّجُ!
فأُخبِرَ النبِّيُّ ﷺ بهم، فاستدعاهُم، وقالَ لهم:
إنّي لأخشاكُم للّه،
لكنّي أُصلي وأرقدُ، وأصومُ وأفطِرُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ،
فمن أعرضَ عن سُنَّتِي فليسَ مني!
مقتلُ هذه الأُمَّة جاءَ من أمرين: الإفراطُ والتَّفريطُ!
الإفراطُ أنتجَ التَّفلتَ، والأمراضَ الفكريَّةَ، والتَّبعيَّةَ للغرب!
انظُرْ إلى الإسلامِ العظيمِ تجدْهُ دائماً وسطاً بين الإفراطِ والتَّفريطِ!
الشَّجاعةُ في الإسلامِ هي بين التَّهورِ والجُبنِ!
والكرَمُ في الإسلامِ هو بين التَّبذيرِ والبُخلِ!
والحياءُ في الإسلامِ هو بين الخجلِ المَرضِيِّ والوقاحة!
والعِفَّةُ في الإسلامِ هي بين الرَّهبنةِ والإباحيَّةِ!
دِينٌ عظيمٌ، وسطٌ بين المادَّةِ والرُّوحِ، بين العقلِ والقلبِ،
فخذُوه هكذا!

40

«أنا وَليُّهُم في الدُّنيا والآخِرَة!»

استشهِدَ جعفرُ بن أبي طالبٍ يومَ مُؤتَة وترك وراءَه طفلين، فجاءتْ بهما أمُّهُما أسماءُ بنتُ عُميس إلى النَّبيِّ ﷺ فعانقَهُما، وقالَ لها: الفقرَ تخافينَ عليهم وأنا وليُّهُم في الدُّنيا والآخِرة؟!

اللهُمَّ اُخلُفْ جعفراً في أهله، وبارِكْ لعبدِ اللهِ بن جعفر في صفقةِ يمينِه،

فكَبِرَ عبدُ اللهِ بن جعفر وكانَ فاحشَ الثَّراءِ وأكثرِ أهلِ البيتِ صدقةً!

إنَّ صلاحَ الآباءِ هو تأمينٌ على حياةِ الأبناءِ!

قانونٌ من اللهِ في النَّاسِ لا يتغيَّرُ ولا يتبدَّلُ حتى يوم القيامةِ!

أرسلَ الله تعالى موسى والخِضَرَ عليهما السَّلام من بلدٍ إلى بلدٍ،

ليُقيمَا جدارَ يتيمينِ كي لا يضيعَ كنزُهُمَا،

لسببٍ وحيدٍ أنَّ أباهُمَا كان صالحاً!

أَبعْدَ هذا الوفاءِ وفاءٌ، وبعدَ هذا الحِفظِ حفظٌ؟!

رجلٌ مجهولٌ لا يعرفُه موسى ولا الخِضَرُ ولا نحن،

يرسلُ اللهُ تعالى كليمَه موسى، وأشهرَ أوليائِه ذِكْراً في القرآن، ليُقيمَا لابنيهِ جدارَهُمَا فقط لأنَّه كان صالحاً!

مستقبلُ أولادِكُمْ بين أيديكُمْ فأمِّنُوا عليهم في بنكِ **الصَّلاحِ** والإيمان!

41
«وَمَنْ يستطِيعُ ذلكَ؟!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ له:

دُلَّنِي على عملٍ يعدِلُ الجهادَ!

فقال له النَّبيُّ ﷺ: لا أجده!

هل تستطيعُ إذا خرجَ المجاهدُ أن تدخلَ مسجدكَ فتقوم ولا تفتُر، وتصومُ ولا تُفطِر؟

فقال الرَّجلُ: ومن يستطيعُ ذلك؟!

إنَّه الجهاد، الفريضَةُ التي صنعتْ لهذا الدِّين عزًّا،

وشيَّدتْ له مجداً، وأقامتْ له دولةً!

فالحقُّ الذي لا تحميه القُوّةُ يستهينُ به النَّاسُ!

والعِرضُ الذي لا يُذادُ عنه يُستباح!

والذي يُصفَعُ على خدِّه فيديرُ الآخَرَ، ذليلٌ وإن ادَّعَى أنَّه حليمٌ،

والذي ينصاعُ لعدوِّه جبانٌ وإن ادَّعى أنَّه منفتحٌ،

فإن لم تكُنْ ممن يُجاهد فلا تكُنْ ممن يُخذِّل،

لا تجمعْ على نفسِكَ إثمين:

إثم القُعودِ، وإثم أن يسلمَ العدوُّ منكَ ولا يسلمُ منكَ من يذودُ عنكَ!

42

«ولكنَّ ابني ارتَحَلَنِي!»

جاءَ النَّبيُّ ﷺ إلى صلاةِ العشاءِ يحملُ سبطَه الحسنَ،
فوضَعَهُ عند قدمِهِ اليُمنى، وكبَّرَ، وصلَّى بالنّاسِ،
فسجدَ سجدةً فأطالَ فيها حتى خشيَ عليه النَّاسُ،
فلما قُضيتِ الصَّلاةُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ،
إنَّكَ سجدتَ سجدةً أطلتَ بها، أشيءٌ أُمرتَ به؟
أمْ أنَّه كان يُوحى إليكَ؟
فقالَ: كلُّ ذلكَ لم يكن، ولكنَّ ابنِي ارتَحلنِي،
فكرهتُ أن أُعجلَه حتى يقضِيَ حاجتَه منِّي!
لو كان الخُلقُ شخصاً لكان النَّبيُّ ﷺ،
ولو كانتِ الرَّحمةُ شخصاً لكانت النَّبيَّ ﷺ،
ولو كان اللِّينُ شخصاً لكان النَّبيُّ ﷺ،
يطيلُ سجودَه حتى يخشى النَّاسُ عليه أن يكون قد ماتَ في سجودِه،
فإذا به يفعلُ هذا لأنَّ سبطَه صعدَ على ظهرِه وهو ساجدٌ،
فكره أن يُنزلَه، أرادَ أن يقضيَ حاجتَه من اللَّعبِ والفرحِ،
الرِّجالُ الأسوياءُ شبِعُوا من الحُبِّ وهم أطفال،
لا تكونوا قُساةً، لا تصنعُوا الوحوش في بيوتِكم ثم تشتكُوا منهم!

43
«إنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ»!

يقولُ أنس بن مالك: كان النَّبيُّ ﷺ إذا أُتِيَ بالشَّيْءِ قال:
اذْهَبُوا بِهِ إلى بيتِ فُلَانَة، فإنَّهَا كانتْ تُحِبُّ خَدِيجَة،
لمْ يَكُنْ يُحِبُّ خَدِيجَة فقط، وإنَّما كانَ يُحِبُّ من يحبُّها،
مُخطِئٌ من يعتقد أنَّ إظْهَار الحُبِّ مَنْقَصَةٌ للرُّجُولَة،
وهل يكون الرَّجلُ رجلاً إلا بمقدارِ ما يُحِبُّ، ويلينُ، ويُدَلِّلُ، ويُكرِم؟!
مُخْطِئٌ من يعتقدُ أنَّهُ بالقَسوةِ يمكن تطويعَ امرأةٍ،
المرأةُ لا يروِّضُهَا إلا الحُبُّ!
ولا تمتلكُ إلا من قَلْبِهَا!
أَحبُّوهُنَّ، يَجْعَلْنَ لكم من أنفسِهِنَّ إمَاءً!
دَلِّلُوهُنَّ، يكنَّ لكم حبيباتٍ، وصديقاتٍ، ورفيقاتِ عُمْرٍ!

44

«لا نأكلُ الصَّدقَةَ!»

أخذَ الحسنُ ابنُ عليٍّ سبطُ رسولِ اللّهِ ﷺ،
تمرةً من تمرِ الصَّدقة، وجعلَها في فمِه،
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: كِخْ، كِخْ،
أما تعرفُ أنَّا لا نأكلُ الصَّدقة؟!
من أجملِ ما قالتِ العربُ: العِلمُ في الصِّغرِ كالنَّقشِ في الحَجرِ،
أي أنهَّ يدومُ إلى الأبدِ، ما حُفِرَ باكراً يبقَى،
والأخلاقُ عِلمٌ، والعقيدةُ عِلمٌ، والحلالُ والحرامُ عِلمٌ،
من أحمقِ ما يقولُه النَّاسُ إذا أخطأ الطِّفلُ وأرادَ أبواه أن يُؤدِّباه:
اترُكَاه، ما زالَ صغيراً!
فمتى تكون التّربية إذا لم تكُن في الصِّغر!
إنَّ الغصنَ المُعوجَّ يسهلُ تقويمُه، ولكنَّ الشَّجرةَ المائلةَ لا تستقيمَ أبداً،
على أنَّ التأديب علاجٌ لا انتقامٌ!
وتعديلُ السُّلوك بالحُبِّ والتّفهم تربيةٌ، وتعديلُه بالعنفِ والضَّربَ تخلُّفٌ،
لا تكُونوا جلَّادين وتزرعُوا الرُّعبَ والخوفَ في قلوبِ أولادكم،
جريمةٌ أن يكبرَ الأولادُ وهم يعتقدون أنَّ العنفَ وحدَه يحلُّ المشاكلَ!

45

«رَبِحَ البَيْعُ أبَا يَحْيَى»!

يَا لَهُ من مَشْهَدٍ مهيب: صُهَيبُ الآنَ يدخلُ المدينةَ مهاجراً،
كانت قريشٌ قد اعترضَتْهُ عندَ مشارفِ مكة،
فَخَيَّرَتْهُ بينَ مالِهِ وبينَ الهجرةِ،
فَدَلَّهُم على موضعِ المَالِ، ومَضَى ...
وهَا هُو النَّبيُّ ﷺ يَتَلَقَّاهُ مُعَزِّياً ومُهَنِّئاً:
رَبِحَ البَيْعَ أبَا يَحْيَى، رَبِحَ البَيْعَ أبَا يَحْيَى!
كلُّ شيءٍ تَرَكْتَهُ للهِ استشعر معه: رَبِحَ البَيْع!
كلُّ معصيةٍ تركتَهَا للهِ استشعر معها: رَبِحَ البَيْع!
وكلُّ غضبٍ كَتَمتَهُ، وانتقامٍ تَرَكْتَهُ، استشعر معه: رَبِحَ البَيْع!
وكلُّ سِتْرٍ أَرْخَيْتَهُ على عاصٍ استشعر معه: رَبِحَ البَيْع!
وكلُّ صدقةٍ آثرتَ بها فقيراً علي نفسِكَ استشعر معها: رَبِحَ البَيْع!
أنتَ تتاجرُ معَ الكريمِ فلا تَأْسَفْ!

الحرمانُ يقدرُ عليه كلُّ أحدٍ ولكن
النُّبلاءَ وحدهم يمنحُون على الدَّوام،
والقسوةُ ليست عمِلاً بطولياً، اللِّينُ
هو الذي يحتاجُ إلى شجاعةٍ!

46
«فكانَتْ كفنَه!»

جاءَتِ امرأةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ ببُردَةٍ وقالتْ:

يا رسولَ اللهِ، إنِّي نسجْتُ هذه بيدي أكسُوكَها!

فأخذَها النَّبيُّ ﷺ وكان محتاجاً لها، فدخلَ ولبسَها،

ثم خرجَ على النَّاسِ بها، فقالَ له رجل: اُكْسُنيها يا رسولَ الله!

فقالَ له: نعم!

فجلسَ قليلاً، ثم رجعَ، فطواهَا، وأرسلَ بها إليه!

فلامَه النَّاسُ وقالُوا: ما أحسنتَ إذ سألتَها إيَّاه وإنَّه لا يردُّ سائلاً!

فقالَ: واللهِ ما سألتُها إلا لتكونَ كفني يوم أموتُ!

قال سَهْلٌ راوي الحديث: فكانتْ كفنَه!

إنكَ لا تعلَمُ ممن تعجبُ، من النَّبيِّ ﷺ يُعطي الشَّيءَ وهو يحتاجُه، أمْ من الصَّحابيِّ الذي أرادَ أن يلقى الله ببُرْدَةٍ مسَّتْ جسدَ النبيِّ ﷺ !؟

ولكن يبقى الأصلُ أنَّ ما أُخِذَ بسيفِ الحياءِ فهو حرام!

لا تُحرِجْ إنساناً فتأخذ منه قلماً، أو ساعةً، أو حتى قارورةَ عطرٍ،

بعضُ النَّاسِ عندهُم حياءٌ أن يردُّوا طالبَ الشَّيءِ،

ولكن هذا ليسَ دافعاً لأنْ يكون الآخرونَ وَقِحين!

47
«لا تَبْرَحُوا أَمَاكِنَكُم»!

قَالَهَا النَّبيُّ ﷺ للرمَاةِ يومَ أُحُدٍ،
ولكنَّ الغَزوَةَ الآنَ قد انتَهَتْ،
أمَّا الصَّوتُ الشَّريفُ فمَا يَزَالُ يُنَادِينَا: لا تَبْرَحُوا أَمَاكِنَكُم!
شبابُ صلاةِ الفَجرِ، وحلقاتُ التَّحفِيظِ، لا تَتْرُكُوهَا!
فتياتُ العِفَّةِ والحِجَابِ، لا تَخْلَعُوهُ!
الأمَّهَاتُ اللواتِي يَأْمُرْنَ أولادَهُنَّ بالصَّلاةِ والصِّيام، تَابِعْنَ!
الآباءُ الذينَ يَصْطَحِبُونَ أولادَهُم إلى المَسَاجِدِ، لا تَتَوقَّفُوا!
المُجَاهِدُونَ الذينَ يَحْمُونَ ظُهُورَنَا لا تفْتَرُوا!
المُوَظَّفُونَ الأَمِينُونَ، والعُمَّالُ المُخْلِصُونَ، لا تَتَغَيَّرُوا!
القُضَاةُ العَادِلُونَ، والمُدَرَاءُ الرُّحَمَاءُ، والفُقَهَاءُ الأُمَنَاءُ، لا تُبَدِّلُوا!
وكُلَّمَا وَهَنْتُمْ قَليلاً، وَرَاوَدَتْكُم الدُّنْيَا عن أَنفُسِكُم،
تَعَزَّوا بِصَوتِ النَّبيِّ ﷺ يُنَادِيكُم: لا تَبْرَحُوا أَمَاكِنَكُم!

48

«يا أُمَّ سَلمة: ما شأنُ النَّاس؟!»

رأى الصَّحابـةُ فـي صُلـحِ الحُديبيـةِ إجحافـاً كبيـراً، فقـد جـاؤُوا معتمرينَ، ومُنِعُوا بموجبِه عن مكَّة، وأخذتْهُم غضْبَةُ المؤمنِ حين يغضبُ لله، حتى أنَّ عمر بن الخطَّابِ قالَ للنَّبيِّ ﷺ: لِمَ نعطي الدَّنيَّة في دِيننا؟!

ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ المؤيَّدُ بالوحي، والممتلئُ ثقةً بالله،

كان يعرفُ أن صُلح الحُديبيةِ هو أوَّلُ خُطواتِ فتحِ مكَّة،

فنادى في النَّاسِ: أيَّها النَّاسُ انحَرُوا، واحلِقُوا!

فلمْ يقُمْ منهم أحدٌ، والنَّبيُّ ﷺ يأمُرُهم مجدَّداً، ولا يستجِيبُون!

فدخلَ على أُمِّ سلمةَ وقالَ لها: يا أُمَّ سَلمةَ ما شأنُ النَّاسِ؟!

فطلبتْ منه أن يذبحَ ويتحلَّلَ أمامهم، فإن رأوه فعلَ سيفعلون،

وبالفعلِ قامَ إلى هديِهِ فذبحَه، ثم حلقَ رأسَه، ففعلُوا مثلما فعل!

النَّبيُّ ﷺ يستشيرُ زوجتَه في قضيَّةٍ دينيَّةٍ وسياسيَّةٍ حسَّاسة،

لا يستشيرُها فقط، بل يأخذُ برأيها أيضاً، ليس في الأمر انتقاصٌ للرُّجولة!

ثم يأتيكَ من يقولُ: شاورُوهُنَّ وخالفُوهُنَّ!

ذكوريَّةٌ مقيتةٌ، وفهمٌ سقيمٌ لا يمُتُّ إلى الدِّينِ والسُّنةِ والمنطقِ بصِلَة!

49

«مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَان فَهُوَ آمِن»

عَلَى مَشَارِفِ مَكَّة يومَ الفَتْحِ، قالَ العَبَّاسُ للنَّبيِّ ﷺ:
يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ أبَا سُفْيَان رَجُلٌ يُحِبُّ الفَخْرَ، فَلَو جَعَلْتَ لَهُ شَيْئاً!
فَلمَّا دَخَلَ مَكَّة، أَمَرَ المُنَادِي أن يَقُولَ:
مَن دَخَلَ الكَعْبَةَ فَهُو آمِنٌ،
وَمَن دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفيَان فَهُو آمِنٌ!
مَا حَاجَةُ النَّاسِ إلى دَارِ أَبِي سُفْيَان حِينَ تَسَعُهُم دُورُهُم؟!
مِنَ النَّاسِ مَنْ يُحِبُّ الثَّنَاءَ، ومِنْهُم مَن يَحْمَرُّ خَجَلاً مِنْهُ،
مِنَ النَّاسِ الجوادُ الكريمُ، ومِنْهُم مَن طَلَبُ رُوحِهُ أَهونُ عَليهِ مِن طَلَبِ درهمٍ منهُ!
مِنَ النَّاس مَن يَغضَبُ إذَا لَم تُجلِسْهُ فِي صَدْرِ المَجْلِس،
ومِنهُم كُلُّ الأَمَاكِنِ عِندَهُم سَوَاء، بَل وتُرهِقهُم صُدُورُ المَجَالِسِ!
افْهَمُوا طِبَاعَ النَّاسِ الذين تَتَعَامَلُونَ مَعَهُم تُرِيحُونَ وتَسْتَرِيحُونَ،
وتَذَكَّرُوا أنَّ الأطبَّاءَ لا يُعالِجُونَ جَمِيعَ المَرْضَى بِدَوَاءٍ وَاحِدٍ،
ولا الطُّهَاةُ يطبخون كُلَّ الطعامِ على حَرارَةٍ وَاحِدَةٍ!

50
«مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ اليَوْمِ»!

يُعْرَفُ جَيشُ غَزْوَةِ تَبُوكٍ في كُتُبِ السِّيرَةِ بِجَيشِ العُسْرَةِ!
ذَاكَ أنَّهُ لم يكُنْ في بيتِ المَالِ مَا يكفِي لتَجْهِيزِ الجَيْشِ،
فحثَّ النَّبيُّ ﷺ المُسلمينَ على الصَّدقَةِ فِي سَبيلِ اللّٰه،
فجَاءَ عُثمَان بن عفَّان بألفِ دينارٍ ونَثَرَهَا فِي حِجْرِ النَّبيِّ ﷺ،
فجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ يُقَلِبُهَا بِيَدَيْهِ ويقولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَان مَا فَعَلَ بَعْدَ اليَومِ!
ثَمَّةَ مَوقِفٌ واحِدٌ يكونُ ثَمَنُهُ الجَنَّةَ، فَلَا تَزْهَدْ!
البَغِيُّ التَي سَقَتْ كلباً دَخلَتِ الجَنَّةَ بِمَوقِفٍ!
والرَّجُلُ الذي قَطَعَ غُصْنَ الشَّجرَةِ التي تُؤذِي المُسلمِينَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِمَوقِفٍ!
ثلاثةٌ من السَّبعةِ الذين يُظِلُّهُم اللّٰه في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ
حازُوا هَذَا المَجْدَ العظِيمَ بموقِفٍ واحِدٍ!
الذي ذَكَرَ اللّٰه خَالياً ففاضَتْ عَيْنَاهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ بموقفٍ!
والذي رَاوَدَتْهُ امرأةٌ ذَاتُ منصبٍ وجمالٍ فاسْتَعْصَمَ، دَخَلَ الجَنَّةَ بموقفٍ!
والذي أَخْفَى صَدَقَتَهُ عنِ النَّاسِ، دَخَلَ الجَنَّةَ بموقفٍ!
إنَّمَا الحُياةُ مواقفُ عِزٍّ، وقد يكونُ في أحَدِهَا الجَنَّةُ!

51

«يُحِبُّ معاليَ الأخلاقِ!»

قال النّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابه:
إنَّ الله كريمٌ يُحِبُّ الكرمَ!
ويُحِبُّ معاليَ الأخلاقِ، ويكرَهُ سفاسِفَها!
اِجعَلْ لكَ هدفاً سامياً كأن تحفظَ القرآن،
ووجهةً حُلوةً كأن تحصل على الدُّكتوراه في تخصُّصِكَ،
تابعْ سلسلةً مفيدةً، وشاهِدْ برامجَ نافعة،
عِشْ حياتكَ أنتَ، ولا تعِشْ في حياةِ النَّاسِ!
مِنَ النَّاسِ من همُّه ما أكلَ المشهورُ الفلانيُّ وما لبسَ!
أينَ ذهبَ ذاك «اليوتيوبر» وماذا فعلَ ذاك «التوكتوكر»!
شُغله الشَّاغلُ أين سافرَ فلانٌ، ولماذا تطلَّقتْ فُلانة،
حياةٌ فارغةٌ، واهتماماتٌ تافهةٌ!
أَلِهذا الشيءِ خُلقنا؟! ولهذه الغاية نحن في هذه الأرضِ؟!
ابنُوا القبورَ التي ستسكنُونَها طويلاً لأنكم ستكونُون فيها وحدَكُم!

52
«أَعْطِهَا شَيْئاً»!

خَطَبَ عَلِيٌّ بن أَبِي طَالِب فَاطِمَةُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ،
فَوَافَقَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: أَعْطِهَا شَيْئاً!
فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ!
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَيْنَ دِرْعُكَ!
فَقَالَ: هِيَ عِنْدِي.
فَقَالَ لَهُ: فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ!
دِرْعٌ، هَذَا هُوَ مَهْرُ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِينَ،
البَنَاتُ لَسْنَ سِلَعاً لِلبَيْعِ، وَلَا عَرَضاً مِنَ عُرُوضِ التِّجَارَةِ،
وَالمُهُورُ لَيْسَتْ لِلتَّبَاهِي، ابْنَتِي أَعْلَى مَهْراً مِنَ ابْنَتِكَ،
وَالزَّوَاجُ لَيْسَ مَشْرُوعَ اسْتِثْمَارٍ وَرِبْحٍ،
خَفِّفُوا المُهُورَ وَلَا تُغَالُوا فِيهَا، فَإِنَّ البَرَكَةَ حَيْثُ قَلَّتِ المُهُورَ،
لَا تَسُنُّوا فِي النَّاسِ سُنَناً سَيِّئَةً، وَلَا تَفْتَحُوا بَابَ مُنَافَسَةٍ،
ثُمَّ مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ أَوْلَادٌ كَمَا لَهُ بَنَاتٌ،
فَمَنْ تَعَامَلَ مَعَ ابْنَتِهِ بِمَفْهُومِ البَيْعِ والشِّرَاءِ،
فَسَيَضْطَّرُ أَنْ يَشْتَرِيَ زَوْجَةً لِابْنِهِ بِهَذَا المَفْهُومِ،
النِّسَاءِ أكرم من هذا، ودِيننا أكثر سماحة، فترفّقوا!

53
«وتَعَاهَدْ جيرانَكَ!»

قالَ النّبَيُّ ﷺ يوماً لأبي ذرٍّ:

يا أبا ذرٍّ، إذا طبختَ مرقةً فأكثِرْ ماءَها، وتعاهدْ جيرانكَ!

الهدايا جالبةٌ للألفةِ لهذا قال سيِّدنا: تهادُوا تحابُّوا!

والهدايا ليست بثمنِها ولكنَّها بقيمتِها وقد نُهينا عن التَّكلفِ!

صحنُ طعامٍ يُهدى إلى الجارِ يتركُ أثراً لا تتخيله،

كتاب تُهديه إلى صديقٍ في العملِ قد يخطِفُ قلبَه،

سُبحةٌ توضعُ في الإصبعِ تهدينهَا لصاحبتكِ تزرعُ فيها سعادةً،

وردةٌ واحدةٌ تعودُ بها إلى زوجتك تُنسيها مشقّة يوم كامل،

كلمةٌ حلوةٌ تهديها إلى صديقٍ في موقفِ كسرِ خاطرٍ تبقى معه العمرَ كلَّه،

تقديمُ الحُبِّ للنّاسِ لا يحتاج مالاً وإنَّما يحتاجُ قلباً!

54
«فَادْعُ اللهَ لِيَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفُ»

جَاءَتْ امْرَأَةٌ تَشْكُو الصَّرَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ لَهُ:
يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي:
فَقَالَ لَهَا: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةَ،
وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ!
فَقَالَتْ: بَلْ أَصْبِرُ، وَلَكِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ!
فَدَعَا لَهَا أَنْ تَصْبِرَ وَلَا تَتَكَشَّفَ!
يَا لِلعِفَّةِ، هَانَتْ عَلَى المَرْأَةِ نَوبَاتُ الصَّرَعِ،
وَلَكِنْ لَمْ يَهُنْ عَلَيهَا أَنْ يَسْقُطَ حِجَابُهَا، وَيُرَى شَيْءٌ مِنْهَا،
فَمَا بَالُكِ يَا أُمِّي، وَأُخْتِي، وَابْنَتِي تُبْدِينَ شَيْئاً مِنْكُنَّ بِلَا صَرَعٍ؟!
مَا بَالُ الشَّعْرِ مَكْشُوفٌ مِنْ غَيرِ نَوبَةِ مَرَضٍ؟!
وَمَا بَالُ النُّحُورِ والرِّقَابِ بَادِيَةٌ مِنْ غَيرِ عِلَّةٍ؟!
لِمَ هُنْتُنَّ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ إِلَى هَذَا الحَدِّ، وَهَانَ عَلَيْكُنَّ دِينُكُنَّ،
إِثَارَةٌ، أَمْ رَغْبَةٌ فِي عَرِيسٍ، أَمْ سِبَاقُ المُوضَةِ،
خُذْنَهَا مِنِّي غَيرَ ذَاتَ سِرٍّ: لَا تَمْلَأُ عَينَ الرَّجُلِ إِلَّا ذَاتُ سِتْرٍ!

55

«هِيَ في النَّارِ!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:

إنَّ فُلانةَ كثيرةُ الصَّلاةِ، والصِّيامِ، والصَّدقة،

غير أنَّها تُؤذِي جيرانَها بلسَانِها!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: هي في النَّارِ!

فقالَ الرَّجلُ: إنَّ فلانةَ قليلةُ الصَّلاةِ، والصِّيامِ، والصَّدقةِ،

ولا تُؤذي جيرانَها بلسَانِها!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: هي في الجنَّة!

ليس المهمُّ أن يكونَ في جيبِكَ مصحفٌ،

المهمُّ أن تكون في أخلاقكَ آيةٌ!

السِّواك سُنّة ولكن ما فائدتُه إذا أكلتَ لحومَ النَّاسِ بالغيبةِ،

وحفظُ الأحاديثِ شيءٌ جميلُ ولكن ما نفعُه إن كنتَ تمشي بالنِّميمةِ بين النَّاسِ،

ما فائدةُ أن تجمعَ كتبَ التَّفاسيرِ في مكتبتكَ وقد فرَّقتَ عائلةً؟!

ما فائدةُ أن تُقصِّرَ ثوبكَ وأنتَ تمُدُّ يدكَ إلى أموالِ النَّاسِ،

ما فائدةُ صيامِ التَّطوُّعِ وأنتَ تشي بزملائكَ عند مديركَ،

اللُّه يُحبُّ العبادَاتَ ولكنَّه يكرَهُ الأذَى،

وأحمقُ النَّاسِ من جاءَ يومَ القيامةِ بحسناتٍ كالجبالِ،

يأخذُها النَّاسُ منه حجراً حجراً سدادَ الأذيَّةِ التي **آذاها لهم** في الدُّنيا!

56
«لَا تَسُبِّي الحُمَّى»!

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ يَعُودُهَا فِي مَرَضِهَا،
فَوَجَدَهَا ضَجِرَةً، فَقَالَ: مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ تُزَفْزِفِينَ؟
فَقَالَتْ: الحُمَّى، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا!
فَقَالَ لَهَا: لَا تَسُبِّي الحُمَّى يَا أُمَّ السَّائِبِ،
فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ!
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِالمَرَضِ لِإِحْدَى ثَلَاثٍ،
الأُولَى: أَنَّ لَهُ خَطَايَا يُرِيدُ أَنْ يَغْفِرَهَا لَهُ!
الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ قَدْ رَآهُ ابْتَعَد عَنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُعِيدَهُ إِلَيهِ!
الثَّالِثَةُ: أَنَّ لَهُ مَكَاناً فِي الجَنَّةِ لَمْ يَبْلُغْهُ بِعَمَلِهِ فَبَلَّغَهُ إِيَّاهُ بِالمَرَضِ!
لَيسَ أَمَامَكَ فِي المَرَضِ بَعدَ الصَّبرِ إِلَّا أَنْ،
تَتُوبَ، وَتَعُودَ، وَتَجْتَهِدُ فِي العِبَادَةِ، وَكُلُّهَا مَصْحُوبَةٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ!
اللَّهُ رَحِيمٌ، وَغَنِيٌّ عَنْ عَذَابِنَا، وَهُوَ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أُمَّهَاتِنَا،
فَتَأَدَّبُوا فِي بَلَائِكُم، وَتَوَجَّعُوا بِالحَمْدِ، وَزَيِّنُوا الأَنِينَ بِالاسْتِغْفَارِ!

57
«لا تسُبُّوا أصْحَابِي!»

كان بيـن خالـدِ بـن الوليـدِ وعبـدِ الرَّحمـنِ بـن عـوفٍ رضـي الله عنهمـا كلامٌ،

فقالَ خالدُ لعبدِ الرَّحمن: تستطيلُونَ علينا بأيام سبقتمُونا بها!

فبلغَ ذلـكَ النَّبـيَّ ﷺ: لا تسُـبُّوا أصحابِـي، فلـوْ أنَّ أحدَكُـم أنفـقَ مثـلَ أُحُـدٍ ذهبـاً مـا بلـغَ مُـدَّ أحدِهـم ولا نصِفيَـه!

صحابيٌّ قال في صحابيٍّ مثله شيئاً وهو لا شكَّ دون الشَّتيمةِ،

ولكنَّ النبيَّ ﷺ لم يرضَهَا ولم يُمرِّرْها!

لـم يرضَهـا مـن خالـدٍ وهـو سـيفُ اللهِ، فمـن أنـتَ حتـى تقـعَ فـي الصَّحابـةِ؟!

أبو بكر مؤدِّبُ المرتدِّين، وحامِي الدِّينَ، فمن أنتَ لتسُبَّه؟!

وعُمَـرُ هـادمُ الامبراطوريـاتِ، وبانِـي مجـدَ الأُمَّـة، فمـن أنـتَ لتشـتُمَه؟!

وعائشةُ حبيبةُ النَّبيَّ ﷺ وعِرضُه فمن أنتَ لتقعَ فيها؟!

عمـرُو بـنِ العـاصِ داهيـةُ المسـلمين، وفاتـحُ مصَـر فمـاذا قدَّمـتَ أنـتَ؟!

ومعاويـةُ كاتـبُ وحـيٍّ، وفاتـحُ بـلادٍ، فمـا شـأنك فـي خـلافٍ عفـا عليـه الزَّمـن؟!

هؤلاء صانُوا لكَ الدِّين بأموالِهم وجهادِهم ودمائِهم وتضحياتِهم، حتـى وصلـكَ علـى طبقٍ مـن ذَهـبٍ، ثـمَّ هـا أنتَ تسبُّ **وتشتمُ**، يا للعقـوقِ، واللهِ يـا للعقـوق!

58
«نِعْمَ الرَّأْيُ»!

فِي غَزْوَةِ بَدرٍ أَنَزَلَ النَّبيُّ ﷺ الجَيشَ منزلاً استعداداً للقتَال، فجاءَ الحُبَابُ بن المُنذِر فقال له: يَا رَسُولَ الله، أهَذَا مَنْزِلٌ أَنزَلَكَ اللّه إيَّاهُ،

فليسَ لنَا أن نَتقَدَّمَهُ أو نَتَأَخَّرَ عنهُ، أم هُو الرَّأيُ والحربُ والمكيدَةُ؟!

فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: بلْ هُو الرَّأيُ والحربُ والمكيدَةُ!

فقالَ: إنَّ هذا ليسَ بمنزلِ حَرْب،

فاجعَلْ آبارَ بدرٍ خَلْفَ ظُهُورِنَا، فَنَشْرَبُ ولا يَشْرَبُون!

فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: نِعْمَ الرَّأي!

لم يَجِدْ حَرَجاً أن يُغَيِّرَ موقعَ الجيشِ بنصيحةٍ من رجلِ حربٍ،

فلا تكن عنيداً لا تَرَى مِنَ الآرَاءِ إلا رَأْيَك،

ولا تكن تَنِحاً لا تَرَى من وُجْهَاتِ النَّظَرِ إلا وُجْهَةَ نَظَرِك،

الرُّجُوعُ إلى الحَقِّ خيرٌ مِنَ التَّمَادي فِي البَاطِلِ،

واحترامُ خبراتِ النَّاسِ واختصَاصاتِهِم مَذهَبُ العُقَلاءِ مِنَ النَّاسِ،

الأحمقُ وَحدَهُ من يُقدِّسُ رَأيَهُ كَأنَّما هُو وَحْيٌ،

والمُتَكَبِّرُ من يَرُدُّ الحَقَّ لأنَّهُ جاء عن طريقِ غيرِه،

وقديماً قَالَتِ العَرَبُ: مَنْ شَاوَرَ النَّاسَ فقد شَارَكَهَا عُقُولَهَا!

59

«يا أبَا بكرٍ، لا تبْكِ!»

يقولُ أبو سعيدٍ الخُدريِّ: خطبَ النَّبيُّ ﷺ في مرضِه الذي ماتَ فيه فقالَ:

إنَّ اللّه خيَّرَ عبْداً بين أن يُؤتيَه زهرةَ الدُّنيا،

وبين ما عندَه، فاختارَ ما عندَ اللّهِ!

فبكَى أبو بكرٍ، فقلتُ: ما يُبكي هذا الشيخ؟

فقال النَّبيُّ ﷺ: يا أبا بكرٍ لا تبكِ،

إنَّ أمنَّ النَّاسِ عليَّ في صحبتِه ومالِه أبو بكر،

ولو كنتُ متَّخذاً خليلاً من أمَّتِي لاتخذتُ أبا بكرٍ ولكن أُخوَّةُ الإسلامِ ومودَّتُه!

يقولُ أبو سعيدٍ: فماتَ رسولُ اللّه ﷺ وكانَ هو العبدُ، وكان أبو بكر أعلمنا!

هذا هو أبو بكرٍ، الرَّجلُ الذي لم يكن نبيًّا،

ولكنَّه لم يكُنْ أيضاً من النَّاسِ!

كانَ يقِفُ في منزلةٍ وحدَه،

أدنَى من الأنبياءِ قليلاً، وأعلى من النَّاسِ كثيراً!

رفيقُ الهجرةِ، وصديقُ الغارِ، في ثانيَ اثنينِ اللّهُ ثالثُهما،

صاحبُ العُمرِ، ورفيقُ الدَّربِ، وقطعةٌ من قلبِ نبيِّنَا ﷺ!

60
«هَذِهِ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»!

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعتَكِفاً في المسجدِ، فَجَاءَتْ صَفِيَّةُ تَزُورُهُ،
فَلَمَّا أَرَادَتْ أن تَرْجِعَ، قَامَ مَعَهَا لِيُوصِلَهَا إلى بَيْتِهَا،
فَمَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ من الأنصارِ، فلمّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا،
قَالَ لَهُمَا: عَلَى رِسْلِكُمَا، هَذِهِ صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ!
فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! أي أنتَ فوقَ الشُّبْهَةِ!
فقالَ: إنَّ الشَّيطانَ يَجري مِنَ الإنسانِ مَجرَى الدَّم،
وإنِّي خَشِيتُ أن يُقذَفَ في قلوبِكُما شَرّاً!
رَغمَ أنَّهُ نَقِيٌّ كماءِ زَمْزَمَ، تَقِيٌّ كَمَا المَلَائكَة،
إلا أنَّهُ أَبَى أن يَضَعَ نفسَهُ في موقفِ شُبْهَة،
فَلَا تُلقِي نَفْسَكَ في مواضِعِ الشُّبهةِ وتُطَالِب النَّاسَ بحُسْنِ الظَّنِّ،
النَّاسُ مفطورةٌ على حَمْلِ الأمورِ على مَحْمَلِ الظَّنِّ السَّيِّءِ!
لَا تَدْخُلْ مَرْقَصاً لِتَنْصَحَ، ولا تجلسْ على مَائدةِ خَمْرٍ لِتَعظَ!
ولا تَقِفْ مع شِبْه عَارِيَةٍ لتُعطِيهَا مُحاضَرةً في الحِجَابِ!
النَّاسُ لَهُم مَا رَأَوْهُ منكَ ولا عِلْمَ لهُم بِنَوَايَاك،
إن وجدْتَ نَفْسَكَ في مَوطِنِ شُبْهَةٍ فَاشْرَحْهُ لِمَن رَآكَ فيهِ،
لَا تَتْرُكْهُ عُرْضَةً للشَّيطَانِ يُمْلِي عَلَيهِ مَا يَشَاءُ،
وتَذَكَّرْ أنَّ الإنسَانَ سُمعَةٌ، فَلَا تُرِقْ سُمْعَتَكَ!

فَلَا تَكْتُمُوا مشَاعِرَكُم، عَبِّرُوا عَنهَا،
عِيشُوهَا، تَلَذَّذُوا بها، أنتم تحتاجون
أن تقدِّموا الحبَّ بمقدارِ
ما تحتاجون أن تأخُذُوه!

61
«كيفَ تجدُكَ؟!»

بعثَ النَّبيُّ ﷺ زيدَ بن ثابتٍ يومَ أُحدٍ لطلبِ سعدِ بن الرَّبيعِ،
وقالَ له: إنْ رأيتَه فأقرِئْهُ منِّي السَّلام،
وقلْ له: يقولُ لكَ رسول الله ﷺ كيفَ تجِدُكَ؟!
فبحثَ عنه زيدٌ بين القتلى، فوجدَه وبه سبعينَ ضربةً، ورمقاً من حياة، فقالَ له: يا سعدُ، إن النَّبيَّ ﷺ يُقرِئكَ السَّلامَ، ويقولُ: كيفَ تجدُكَ؟!
فقالَ له سعدٌ: على رسولِ الله ﷺ، وعليكَ السَّلام،
قُلْ له: يا رسولَ الله، أجِدُ ريحَ الجنَّةِ!
وقلْ لقوميَ الأنصار: لا عُذرَ لكم عند اللهِ إن خُلِصَ إلى رسول الله ﷺ، وفيكم جِفنٌ يطرِف! ثم فاضتْ روحه!
أرأيتَ كيف وصلَ إليكَ هذا الدِّين؟!
بأجسادِ الصَّحابةِ التي نُخِلَتْ بطعناتِ الرماح حتى صارت كالغرابيلِ، بدمائهم سُفِكتْ في سبيلِ اللهِ، يقول أحدُهم في النَّزيف:
اللَّهمَ خُذْ من دميَ حتى ترضَى!
بأموالهم كانت تُلقَى في حِجرِ النَّبيِّ ﷺ ليجهِّزَ عثمانُ ثلثَ الجيشِ وحدَه، بعقائدِهم الرَّاسخةِ كالجبالِ إذ يقول أبو بكرٍ عن صاحبه ليلة الإسراءِ،إن كان قالَ فقدْ صدقَ!
بجرأتهِم إذ يُهاجِر عمرُ بن الخطاب مُهدِّداً قريشاً كلَّها،
هذا الدِّينُ غالٍ فلا تُضيِّعُوه!

62
اسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ»!

الشَّجَرَةُ لَا تَرْكَعُ لِأَنَّ غُصْناً سَقَطَ مِنْهَا،
وإِنَّمَا تُتَابِعُ صُعُودَهَا إلى أَعْلَى وتُنبتُ غُصْناً آخَرَ!
والطَّائِرُ الذي تَسْقُطُ مِنْهُ رِيشَةٌ يَبْقَى قَادِراً على التَّحلِيقِ،
والسَّنَابِلُ تَهُزُّهَا الرِّيحُ فَلَا تَهْوِي، وَلَكِنَّهَا تَنْسَابُ مَعَهَا وتَنْجُو،
لَا يُوجَدُ نَاجِحٌ إلا ولَهُ عَثْرَةٌ،
ومَا مِن قَائِدٍ مُنتَصِرٍ إلَّا وذَاقَ الهَزِيمَةَ مَرَّةً،
وَهَزِيمَةُ أُحُدٍ أَعقَبَهَا فَتْحُ مَكَّةَ،
سُنَّةُ الحَيَاةِ أن يَكُونَ النَّصْرُ فِيهَا لِمَن لَا يَسْتَلِم،
فَلَا تَجْعَلْ ضَربَةً وَاحِدَةً تُقْعِدُكَ عن مُوَاصَلَةِ مَسْعَاكَ،
لَمْلِم جِرَاحَكَ، وامْسَحْ دُمُوعَكَ، واسْتَعِن باللهِ وتَابِعْ،
هَذِهِ المَرَّةَ أنتَ لا تبدأُ مِنَ الصِّفْرِ،
أنتَ تبدأُ من الضَّرْبَةِ التي لَم تَقْتُلْكَ ولكنَّها جَعَلَتْكَ أَقْوَى!

63

«ثُمَّ أخذَهَا خَالدُ بن الوَليدِ!»

كان النَّبيُّ ﷺ في المدينةِ المُنوَّرةِ،
ينقُلُ للصَّحابةِ أخبارَ جيشِ المسلمينَ في معركةِ مُؤتة!
فقالَ: أخذَ الرَّايةَ زيدٌ فأُصيبَ، ثمَّ أخذَهَا جعفرٌ فأُصيبَ،
ثمَّ أخذَهَا عبدُ اللهِ بن رواحَةٍ فأُصيبَ،
ثمَّ أخذَهَا خالدُ بن الوليدِ من غيرِ إمرةٍ، فَفُتِحَ له!
انسحبَ خالدُ بالجيشِ فسمَّى النَّبيُّ ﷺ ذلك فتحاً!
وهذا هو دأبُ خالدٍ في الحربِ: أناةُ القطِّ ووثبةُ الأسدِ!
لولا الانسحابُ لكانتْ تلك المعركةُ مذبحةً!
وإنَّ الحياةَ فيها من الخلافاتِ ما يكفي لتكونَ حرباً،
وإنَّ الانسحابَ من بعضِ المعاركِ نصرٌ،
ثمَّةَ معاركٌ كلفتهُا أكبرُ بكثيرٍ من نصرِها ولو تحقَّقَ!
في خلافاتِ الأرحامِ إنَّ الشُّجاعَ فيها هو الجبانُ عنها!
أيُّ نصرٍ هذا الذي يطعنُ فيه المرءُ بعضَه؟!

64

«ولَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي»!

إذا سَأَلْتَ اللهَ المَالَ، فَاسْأَلْهُ أن يَأْتِيكَ مَقْرُوناً بِالعَافِيَةِ،
فَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ مَرِيضٍ قَدْ حُرِمَ أَرْخَصَ الطَّعَامِ!
وإِذَا سَأَلْتَ اللهَ المَنْصِبَ، فاسْأَلْهُ أن يَأْتِيك مَقرُوناً بالعَافِيَةِ،
فَكَمْ مِنْ مُتَنَفِّذٍ يَعمَلُ قَلْبُهُ على بَطَّارِيَّةٍ!
الجَسَدُ المَرِيضُ لا يَسْتَلِذُّ بِنِعْمَةٍ،
والقَلْبُ المَرِيضُ لا يَهْنَأُ بِعَطَاءٍ،
والنَّفْسُ المَرِيضَةُ لَا تَسْتَأْنِسُ بِحَبِيبٍ،
فَلَا تَطْلُبْ مِنَ اللهِ شيئاً إلا مَقْرُوناً بالعَافِيَةِ،
كَانَ عبدُالله بن مسعودٍ يقولُ: إنَّ للهِ عِبَاداً،
يُحْيِيهُم اللهُ في عَافِيَةٍ، ويُمِيتُهُم في عَافِيَةٍ، ويُدْخِلُهُم الجَنَّةَ في عَافِيَةٍ،
فاللهمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُم!

65

«فأعِنّي على نفسِكَ بكثرةِ السُّجودِ!»

يقولُ ربيعةُ بن كعبٍ الأسلميِّ: كُنتُ أبيتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ:
فأتيتُه بوَضُوئه، وحاجتِه، فقالَ لي: سَلْ!
فقلتُ: أسألُكَ مرافقتَكَ في الجنَّة،
فقال: أوْ غيرَ ذاكَ!
قلتُ: هو ذاكَ!
فقالَ لي: فأعِنِّي على نفسِكَ بكثرةِ السُّجُود!
لن يدخلَ أحدٌ الجنَّةَ بعملِه حتى النَّبيُّ ﷺ،
سندخلُها بإذنِ اللهِ برحمتِه سبحانَه ولكنَّ العباداتِ جالبةٌ للرَّحمةِ،
فإذا هجرتَ القرآنَ وعلا مصحفُكَ الغبارُ،
وإذا تكاسلتَ عن الصَّلاةِ ففاتكَ وقتُها،
وإذا نظرتَ إلى قيامِ الليل بعينِ الزاهدِ فيه المُستغنِي عنه،
وإذا نظرتَ إلى الصَّدقةِ على أنَّها ضياعُ مالٍ،
وإذا فترَ لسانُكَ عنِ ذكرِ اللهِ وهو أيسرُ العباداتِ،
فماذا لديكَ لترجُوَ به رحمةَ اللهِ؟!

66

«يَا عَائِشَةُ: أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللهِ»!

الذي لَا يَرَى فِي الرَّغِيفِ نِعْمَةً،
فَلَن يَرَى النِّعْمَةَ فِي المَائِدَةِ المُمْتَدَّة،
والذي لَا يَرَى فِي البَيْتِ البَسِيطِ نِعْمَةً،
فَلَن يَرَى النِّعمَةَ في القَصْرِ المُنِيفِ،
والذي لَا يَرَى في قَدَمَيْه نِعْمَةً،
فلن يَرَى النِّعْمَةَ فِي السَّيَّارَةِ الفَارِهَة،
اسْتِشْعَارُ النِّعَم مُرْتَبِطٌ بِنَظْرَةِ المَرْءِ إلى قِيمَةَ مَا يَمْلِكُ،
ولَيْسَ مُرْتَبِطاً بِنَظْرَتِهِ إلى ثَمَنِ مَا يَمْلِكُ،
فكُلَّمَا صَغُرَتِ النِّعَمُ فِي عَيْنَيْكَ تَذَكَّرْ:
لَقَدْ اسْتَيْقَظْتَ هَذَا الصَّبَاح لتَغْسِلَ وَجْهَك،
وَهُنَاكَ مَنِ اسْتَيْقَظ لِيَغْسِلَ كِلْيَتَيْهِ!

67
«أذهبْتَ حيثُ أمرتُكَ!»

يقولُ أنسُ بن مالكٍ، كان رسول الله ﷺ من أحسنِ النَّاسِ خُلُقاً، فأرسلني يوماً لحاجةٍ فقلتُ: والله لا أذهبُ!

وفي نفسي أن أذهبَ لما أمرني به النَّبيُّ ﷺ، فخرجتُ حتى مررتُ على الصِّبيانِ وهم يلعبُون في السُّوقِ، فإذا برسول الله صلى الله قد قبضَ بقفايَ من ورائي، فنظرتُ إليه وهو يضحَكُ فقالَ: يا أُنيسُ، أذهبتَ حيثُ أمرتُكَ؟!

فقلتُ: نعم، أنا ذاهبٌ يا رسولَ الله؟

أحياناً على المرءِ أن ينزلَ إلى أدنى درجاتِ العقلِ،

حتى يبلغَ أعلى درجاتِ القلبِ!

هذا بشكلٍ عامٍ على أنَّ مداراةَ الأطفالِ والحرصَ على عدم كسرِهم، هو الصُّعودُ إلى أعلى درجاتِ العقلِ مرفوقاً بصُحبَةِ القلبِ!

التَّربيةُ مطلوبةٌ ولكنَّ القسوةَ ليست تربيةً، وغرسُ القيمِ ضروريٌّ ولكنَّ تحويلَ البيتِ إلى ثكنةٍ أمرٌ مذمومٌ، أسوأُ ما في التَّربيةِ الخاطئةِ للأطفالِ أنها تُشوِّه العالمَ في عيونِهم، عندما تضربُ زوجتكَ فأنتَ تُرسي مفاهيمَ خاطئةً في أذهانِ أولادِكَ،

أنت تُخبرُ ابنكَ أنَّ الضربَ هي الطريقةُ المثاليَّةُ للتَّعاملِ مع النِّساء، وتُخبرُ ابنتكَ أنَّ الزَّوجَ هو هذا الوحشُ الذي لا يعرفُ إلا العنفَ!

68

«مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم أَنْ يَكُونَ لَهُ خِبْءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»!

لِيَكُنْ لكَ عباداتٌ خَفِيَّةٌ بينكَ وبَيْنَ اللّٰهِ،
صَدَقَةٌ دُونَ تَوْثِيقٍ ولا تَصويرٍ،
قِيَامُ لَيلٍ تَتَسَحَّبُ إِلَيْهِ تَسَحُّبَ الخَائِفِ أن يَرَاهُ أَحَدٌ،
وِرْدُ قُرْآنٍ لَا تُبَاهِي بِهِ،
صِيَامُ تَطَوُّعٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ الغَادِي والرَّائِحُ،
كَفَالَةُ يَتِيمٍ لَا يَعْلَمُ مَن كَفلَهُ،
عُلْبَةُ دَوَاءٍ لِمَرِيضٍ لَا يَعْلَمُ مَن اشْتَرَاهَا لَه،
دَيْنٌ يُقْضَى فِي الدَّكَاكِين عَن الغَارِمِين والحِسَابُ لِيَومِ الحِسابِ،
الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لَا تَدْعُو للخَجَلِ لِتُخْفَى،
وَلَكِن كلُّ مَا كَانَ أَمَامَ النَّاسِ عُرْضَةٌ أَنْ تَفْسَدَ نِيَّتُهُ،
ثُمَّ فِي هَذَا الدِّينِ عِبَادَاتٌ كَثِيرةٌ لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهَا،
لِهَذَا فَلْيَكُن لَكَ عِنْدَ اللّٰهِ خَبِيئَةٌ!

69

«كانَ ينفخُ النَّارَ على إبراهيمَ!»

عن أُمِّ شَريكٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، أمرَ بقتلِ الوزَغِ،

وقال: كان ينفخُ النَّارَ على إبراهيم!

ليس هناكَ أتفَه من أهلِ الباطلِ،

إلا أولئكَ الذين يقفُون على الحيادِ في الصِّراعِ بين الحقِّ والباطلِ!

الحيادُ لا تعرفُه الجماداتُ والأشجارُ والحيواناتُ!

أُحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه هذا وهو حِجارةٌ!

والجذعُ حنَّ وهو نباتٌ، والغرقدُ من شجرِ يهود!

الحيواناتُ تُسارعُ لإطفاءِ النَّارِ التي أُلقيَ فيها إبراهيمُ عليه السَّلام!

والوزغُ ينفخُ فيها لتزدادَ اشتعالاً!

الحيواناتُ، والأشجارُ، والجماداتُ أخذتْ موقعَها بين الحقِّ والباطلِ،

وما زالَ هناك إنسانٌ له عقلٌ وقلبٌ يقولُ لكَ: أنا على الحِياد!

70
«لَا تُحَنِّطُوهُ ولَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ»!

وَقَعَ رَجُلٌ عن رَاحِلَته في عَرَفَة فَانْكَسَرَتْ عُنُقُهُ فَمَات،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُحَنِّطُوهُ، أَي لَا تَضَعُوا لَهُ طِيباً،
وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، أَي لَا تُغَطُّوهُ،
فإِنَّهُ يُبْعَثُ يَومَ القِيَامَة مُلَبِّياً!
نَسْتَبْشِرُ بِمَن مَاتَ سَاجِداً، أو صَائِماً، أو مُحْرِماً،
وَلَكنَّ حُسْنَ الخَاتمَةِ لَيْسَتْ مَقْصُودَةً عَلَى أَن تَمُوتَ فِي عِبَادَةٍ،
حسن الخاتمة أن تموتَ وليس للنَّاسِ عندك حقوق،
أن تموتَ وقد سلِمَ الناسُ منك في أموالِهم وأعراضِهم ودمائِهم،
أن تموتَ واصلاً رحمك، باراً والديك،
لا النبي ﷺ مَاتَ سَاجِداً ولَا أَبُو بَكْرٍ،
إِنَّ القَضِيَّةَ لَيْسَتْ كَيْفَ مَاتَ المَرْءُ،
بِقَدْرِ مَا هِيَ كَيْفَ عَاشَ،
ثَمَّةَ شَيْءٌ رَفِيعٌ كَالمَوْتِ فِي سَبيلِ اللّهِ:
هوَ الحَيَاةُ فِي سَبِيلِ اللّهِ!

71

«أَتَأْذَنَ لِيَ أن أُعطِيَ هؤلاء؟!»

أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بشَرابٍ فشربَ منه،
وعن يمينِه غلامٌ، وعن يسَارِه شيوخٌ،
فقالَ للغلام: أتأذنَ لي أن أُعطِيَ هؤلاء؟!
فقالَ الغلامُ: لا واللهِ، لا أُوثِرُ بنصيبِي منكَ أحداً!
أشْعِرُوا الأطفالَ أنَّ لهم قيمة،
خذُوا آراءَهم بطبخةِ الغدِ فلا بأسَ بذلكَ،
اسألُوهم عن مكانِ النُزهةِ العائليَّةِ الذي يفضِّلُونَه،
شجِّعُوهم على أن يُبدُوا آراءَهم ولكن بأدبٍ واحترام،
أحيُوا فيهم فضيلةَ أن يرفضُوا ويقبلُوا ويُقرِّرُوا،
لا تقمعُوهم وتقتُلُوا شخصيَّاتِهم ثم تبحثُون لهم لاحقاً عن علاجٍ، إنَّ بناءَ شخصيَّةِ طفلٍ أسهلُ بكثيرٍ من ترميمِ شخصيَّةِ رجلٍ!

72
«يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُم مَا لَمْ يَعْجَلْ»

لَا خَيْبَةَ فِي الدُّعَاءِ،
فَإِمَّا أَنْ تُعْطَى وهَذهِ هِيَ الرَّحْمَةُ،
وإِمَّا أَن تَمْنَعَ وهَذِهِ هِيَ الحِكْمَةُ!
وقَدْ كَانَ الصَّالِحُونَ يَفرَحُونَ بِالدُّعَاءِ الذي لم يُجَبْ أَكْثَرَ مِنَ الذي أُجِيبَ،
لأَنَّ المُجَابُ اخْتِيَارُهُم لأَنْفُسِهِم، والمَمْنُوعُ اخْتِيَارُ اللهِ لَهُم!
عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَن يُعْلَمَ أَنَّ الدُّعَاءَ بِحَدِّ ذَاته عِبَادَةٌ،
أُعْطِيْتَ، أو مُنِعْتَ، فَأَنْتَ مَأْجُورٌ فِي الحَالَتَين،
وَلَكِن قَد تَتَأَخَّرُ الإِجَابَةُ بِسَبَبِ ذَنْبٍ أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ،
واللهِ لَا يُرِيدُ مِنْكَ إِلَا أَنْ تَرْجِعَ لِيُعْطِيكَ،
وَقَد تَتَأَخَّرُ الإِجَابَةُ لأَنَّكَ بِالأَسَاسِ تَطْلُبُ مَا فِيهِ ضَرَراً لَكَ،
واللهُ تَعَالَى يُعْطِينَا مَا نَحْتَاجُ لَا مَا نُرِيدُ،
وَقَد تَتَأَخَّرُ الإِجَابَةُ لأَنَّ الوَقْتَ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ،
فَلَعَلَّ اللهُ استجابَ وَلَكِنَّهُ يُهَيِّءُ الأَسْبَابَ،
تَبَارَكَتْ حِكْمَتُهُ، إِنَّهُ يَخْتَارُ أَحْسَنَ الوَقْتِ لَا أَسْرَعَهُ!

73
«وتَشِبُّ منه اثنتَانِ!»

حدَّثَ النَّبيُّ ﷺ يوماً أصحابَه فقالَ:

يهرَمُ ابنُ آدم، وتَشِبُّ منه اثنتانِ:

الحِرْصُ على المالِ، والحِرْصُ على العُمْرِ!

لا أحد يُحِبُّ أن يموتَ!

حتى أولئكَ الذين ينتحِرُون هم يهربُون جُبناً من الحياةِ وليس رغبة بالموتِ،

وأولئكَ الذين يبذُلُونَ أرواحَهم في سبيلِ اللهِ إنَّما يبذلونَها لقاءَ حياة أبديَّة،

لا تتوقَّعُوا أن يكون كبيرُ السِّنِّ قد اكتفى،

الموتُ مفزِعٌ مهما كان العمر، والقبرُ فكرةٌ مخيفةٌ ولو كان المرءُ مؤمناً!

أمَّا المالُ فأشدُّ مطلوبٍ عند الإنسانِ،

والإنسانُ في آخرِ عمره أشدُّ طلباً له منه في أوَّلِه،

ذاك أنه يُشعره بالأمانِ والطُّمأنينة وأنَّه لن يحتاجَ أحداً،

المالُ عند النَّاسِ صِنْوُ الرُّوحِ وكلُّهم يُحبُّونَه،

ولكن من فضلِ اللهِ على بعضِ النَّاسِ أنَّه هوَّنَ عليهم البذلَ وسخَّاهُم،

وهذا مصداقُ قولِه سبحانه: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

74

«المُؤْمِنُ إذَا عَمِلَ الحَسَنَةَ سَرَّتْهُ، وَإِذَا عَمِلَ السَيِّئَةَ سَاءَتْهُ»!

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النّبي ﷺ وسأله عن الإيمان،

فقال له: أُدْنُ مني!

فما دنا منه قال له:

إنّ المؤمن إذا عمل الحسنةَ سرّته، ورجا ثوابها،

وإذا عمل السيِّئَةَ ساءته، وخاف عقابها!

الخوفُ ليس من وقوعِ الذّنبِ فكلُّ بني آدم خطّاء،

وإنّما الخوفُ أن يألفَ العبد الذّنبَ حتى لا يعود يراه ذنباً!

الخوفُ ليس من ألفِ ذنبٍ تعود فيه كل مرَّةٍ منكسراً تائباً،

وإنَّما من ذاك الذّنب الذي يُخدِّرُ قلبك فلا يشعر به،

أن ترتشي وتحسبها شطارة وتحثّ غيرك عليها،

أن تزني وتحسبها بطولة وتتباهى بها،

أن تنامَ عن صلاة الفجر وتستيقظ كأنّه ما فاتك شيء،

أن تطلقَ بصركَ فتستلذ ولا تجد بعدها وخزة،

مقتل القلب يا صاحبي ليس في ذنبٍ أبكـــاك،

وإنَّما في ذنب خدَّرَكَ!

75

«فَرَدَّ نِكَاحَهَا!»

جاءتْ خنساءُ بنتُ خذام إلى النّبَيِّ ﷺ،
وأخبرتْهُ أنَّ أباها زوَّجَها وهي ثيِّبٌ، وأنَّها تكرَهُ هذا الزَّواج!
فردَّ النَّبيُّ ﷺ نِكَاحَها!
لا يوجدُ دينٌ ولا حضارةٌ ولا مجتمعٌ كرَّمَ المرأةَ كالإسلامِ،
لقد جعلَها الأمَّ التي تحتَ أقدامِها الجنَّة،
والزَّوجةُ التي لا يكون الزَّوجُ من خيارِ النَّاسِ إلا إذا أكرمَها،
والأختُ التي وصْلُها عبادةٌ، والعمَّة التي إكرامُها واجبٌ،
والخالةُ التي بمنزلةِ الأمِّ، والجارةُ التي عِرضُها مصانٌ،
وقد أتَى على هذه الأمَّةِ زمانٌ كانت تُحرَّكُ فيه الجيوشُ لأجلِ امرأةٍ!
وها هو النَّبيُّ ﷺ يردُّ نِكاح امرأةٍ لا ترغبُ بهذا الزَّوج،
ثم يأتيكَ أعمى قلبٍ، وأعمى بصيرةٍ ويقولُ لكَ:
الإسلامُ أهانَ المرأةَ!

قيمةُ المرءِ الحقيقيَّةِ ليس بمقدارِ
ما يتخلَّى بل بمقدارِ ما يلتزِم،
إلقاءُ المسؤوليةِ عن الأكتافِ يُجيدُها الجميعُ،
الأبطالُ وحدهُم يحملُونَها!

76

«أَيْنَ عُلْبَة بِنْ زَيْدٍ»؟!

حثّ النّبيُّ ﷺ عَلَى الصَّدَقَةِ لِتَجْهِيزِ جَيْشِ العُسْرَةِ،

فَقَامَ عُلْبَةُ بنُ زَيْدٍ فقالَ: يَا رَسُولَ اللّه، إنِّي فَقِيرٌ، وَلَيس لَدَيَّ مَا أَتَصَدَّقُ بِهِ، وَلَكِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى مَن نَالَهُ مِنَ المُسلِمِينَ، فَلَمْ يُعَلِّقْ النَّبيُّ ﷺ عَلَى قَوْلِهِ، وَلَكِن فِي اليَوْمِ التَّالِي قَالَ: أينَ عُلبَةُ بن زيدٍ؟

فَقَامَ عُلبةُ فَقَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللّه!

فقالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: إنَّ اللّه قَد قَبِلَ مِنكَ صَدَقَتَكَ!

تَصَدَّقْ بِعِرْضِكَ عَلَى أَخِيكَ، وَصِلْ رَحِمَكَ، وَكُنْ خَيْرَ وَلَدَي آدَمَ!

تَصَدَّقْ بِعِرْضِكَ عَلَى جَارِكَ، ولَا تَرْضَ أَنْ تَدُومَ القَطِيعَةُ!

تَصَدَّقْ بِعِرْضِكَ عَلَى زَوْجَتِكَ، النَّاسُ فِي الغَضَبِ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْنُونَهُ بِالحَرْفِ!

تَصَدَّقْ بِعِرْضِكَ عَلَى زَمِيلِ العَمَلِ، المُنَافَسَةُ تُخْرِجُ أَسْوَأَ مَا فِي النَّاسِ!

لَا تَدَعِ الشَّيْطَانَ يُدَنْدِنُ لَكَ عَلَى وَتَرِ الكَرَامَةِ!

وَلَا تُرْخِ الحَبْلَ لِنَفْسِكَ فَتَتَضَخَّمَ وَلَا تَعُودَ تَرَى غَيْرَهَا!

الصُّلْحُ لَا يَعْنِي أَن نَتَعَانَقَ عِنَاقَ الأَحِبَّةِ بِالضَّرُورَةِ مِن أَوَلِ دَقِيقَةٍ،

وَلَكِنَّ الصُّلْحَ فِيمَا يَعْنِي أَن لَا تَدُومَ القَطِيعَةُ!

77
«أَرَغْبَةً عن سُنَّتِي؟!»

دخلتْ خولةُ بنتُ حكيم، وكانتْ زوجةً لعثمانَ بن مظعُونٍ، على عائشة، فرأى النَّبيُّ ﷺ رثاثةَ هيئتِها،

فقالَ: يا عائشة، ما أبذَّ هيئةَ خولة!

فقالتْ له: امرأةٌ لا زوجَ لها، يصومُ النهَّارَ، ويقومُ اللَّيلَ!

فهي كمن لا زوجَ لها، فتركتْ نفسَها وأضاعتْهَا!

فبعثَ النَّبيُّ ﷺ إلى عثمانَ وقال له: أرغبةً عن سُنَّتِي!

فقالَ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، ولكن سنَّتكَ أطلبُ!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: فإنِّي أنامُ وأُصلِّي، وأصومُ وأفطرُ، وأنكِحُ النِّساءَ، فاتَّقِ الله يا عثمانُ فإنَّ لأهلكَ عليكَ حقًّا!

هذا الدِّينُ هو دين الاعتدالِ والتَّوازنِ والوسطيَّة، لا غُلُوَّ ولا تفريطَ، جميلٌ أن تُقبلَ على العباداتِ ولكن لا تنسَ أنَّ معكَ ناسٌ من لحمٍ ودمٍ، وجميلٌ أن تُتاجر وتثرى ولكن لا تتحوَّلْ إلى أداةِ جمعِ أموالٍ!

وجميلٌ أن تُحِبَّ الثَّقافةَ والقراءةَ ولكن لا تنشغِلْ بعقلِكَ عن قلبكَ، ثمّ إنَّ القراءةَ التي لا تُرهِّفُ حسّكَ وذوقك ليست إلا إضاعةً للوقتِ!

وجميلٌ أن يكون لك صُحبةٌ تخرجُ معهم ولكن لا تُحوِّل زوجتَك إلى أثاثٍ البيتِ!

أعطِ كل مجالٍ حقَّه من الالتفاتِ والاهتمام،

لا تكُنْ أنانيًا تريدُ من هذا الكون كلّه أن يدورَ في مدارِكَ!

78

«فَلْيَدَعِ النَّاسَ مِنْ أَذَاهُ»

سَأَلَ أبُو ذَرٍّ النَّبيَّ ﷺ عَن عَمَلٍ يُدْخِلُ العَبْدَ الجَنَّةَ،
فَجَعَلَ النَّبيُّ يُعَدِّدُ عَلَيْهِ أَعْمَالاً، وأبو ذَرٍّ يَقولُ لَهُ: فَإن لَم يَجِدْ!
فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: فَلْيَدَعِ النَّاسَ مِنْ أَذَاهُ،
مِنَ النَّصِّ النَّبَوِيِّ نَفهَمُ أنَّ كَفَّ الأَذَى عَنِ النَّاسِ عِبَادَةٌ،
فَعِشْ عَلَى مَبْدَأ: إنْ لَمْ تَنْفَعْ فَلَا تَضُرْ!

الفَقِيرُ الذِي لَا تُرِيدُ أن تُعْطِيهِ فَلَا تُشَكِّكْ فِي صِدْقِهِ، الخِلافُ الذِي لا تُرِيدُ أن تُساعِدَ فِي حَلِّهِ لَا تَصُبَّ فيهِ الزَّيتَ على النَّارِ!

إن لم تَستَطِعْ أن تُجَارِيَ المُتَصَدِّقَ فَلا تَقُلْ عَنْهُ مُرَاءٍ، وإن لم تَسْتَطِعْ أن تُزَاحِمَ حُفَّاظَ القُرْآنِ الكَرِيمِ فَلَا تَقُلْ عَنْهُم مُتَشَدِّدُونَ، وإن لم تَسْتَطِيعِي أن تُجَارِي المُتَحَجِّبَاتِ فَلَا تَقُولِي عَنْهُنَّ مُعَقَّدَاتٍ، لَا تَجْمَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم ذَنْبَينِ كَبِيرَينِ:

ذَنْبُ تَرْكِ الطَّاعَةِ، وذَنْبُ الخَوضِ فِيمَنْ قَامَ بِهَا!

79
«فأسْمَعُ بكاءَ الصَّبيِّ فأتجوَّزُ في صَلاتي»

قال النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه:
إنِّي لأدخلُ في الصَّلاةِ وأنا أريدُ إطالتَها،
فأسمعُ بكاءَ الصَّبيِّ، فأتجوَّزُ في صَلاتي،
مما أعلمُ من شدَّةِ وجدِ أمِّه من بكائِه!
ما مُلئَ القلبُ بعد الإيمانِ بشيءٍ أجمل من الرَّحمةِ،
على أنَّ كُلَّ إيمانٍ ليس فيه رحمة هو إيمانٌ أعرج!
فرحمَ اللهُ كل من خفَّفَ عن النَّاسِ ورحمهم!
رحمَ اللهُ المُدرِّسَ الذي لا يُثقِلُ كاهلَ طلابِه بالواجباتِ،
ورحمَ اللهُ المديرَ الذي لا يُرهقُ موظَّفيه بكثرةِ الطلباتِ،
ورحمَ اللهُ الحاكمَ الذي لا يُنهكُ شعبَه بالضَّرائبِ،
ورحمَ اللهُ الزَّوجَ الذي لا يُفنِي صحَّةَ زوجتِه بكثرةِ المسؤوليَّاتِ،
ورحمَ اللهُ الزَّوجةَ التي لا ترهقُ زوجَها بكثرةِ المشترياتِ!
اِرحَموا تُرحَمُوا، وترفَّقُوا تُوفَّقُوا!

80

«إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُم»!

دَخَلَ عبدُاللهِ بن مَسعُود عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَهُ يَتَوَجَّعُ.
فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً!
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَجَل، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنكُم!
وَمَا مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَى شَوكَةٍ فَمَا فَوقَهَا إِلّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِه!

إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُرْسِلُ إِلَينَا الرَّسَائِلَ دَائماً،
والمَرَضُ إِحْدَى رَسَائِلِ اللهِ لعبدِهِ يقولُ لَهُ فِيهَا: مَا أَضْعَفَكَ!
نَحْتَاجُ من فترةٍ إلى أخرى أن نَتَذَكَّرَ حَجْمَنَا الحَقِيقِيَّ!
والمرضُ لا يَتَنَافَى معَ رَحْمَةِ اللهِ، بَلْ هُوَ عَينُ رَحْمَتِه،
فَقَد يَبْتَلِيكَ لِيَغْفِرَ لَكَ ذُنُوباً ما كنتَ مَاحِيهَا بِطَاعَتِكَ،
وقد يَرَى أَنَّكَ ابتعدتَ عَنهُ فَيَشُدُّ أُذُنَكَ بِالمَرَضِ لِيُعِيدَكَ إِلَيهِ،
أَو لَعَلَّهُ قد خَلَقَ لَكَ في الجَنَّةِ مَنزِلَةً لا تَبْلُغُهَا بِعِبَادَتِكَ،
فَابْتَلَاكَ لِتَكونَ لائقاً بِجَزَاءٍ قَد أَعَدَّهُ لَكَ!
هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ امتِحَانٍ وبَلَاءٍ، وانظُرْ فِي قَصَصِ الأَنبِيَاءِ فِي القُرآنِ، تَجِدُ المَرَضَ، والخوفَ، والفقدَ، والفقرَ، والعُقمَ، والتكذِيبَ،
ولكن جَزَاءُ كُلِّ هَذَا رِضَى اللهِ عن عَبْدِهِ إن تَأَدَّبَ بِأَدَبِ العَبْدِ!

81

«فعُمْرَةٌ في رمضانَ تقضِي حجَّةً معِي!»

لمَّا رجعَ النَّبيُّ ﷺ من حجَّته، قال لأُمِّ سِنانٍ:

ما منعكِ أن تكونِي حججتِ معنا؟

فقالتْ: كان لزوجِي جملانِ، حجَّ على أحدِهما، والآخرُ يسقِي عليه غلامنا!

فقالَ لها: فعمرةٌ في رمضانَ تقضِي حجّةً معي!

توازيها في الأجرِ ولكنّها لا تُسقِط حجَّة الفريضة!

إنَّ للّهِ مواسمَ يزيدُ فيها الأجورَ فاغتنمُوها!

مواسم اللّهِ تعالى هديةٌ منه لكم فلا تردُّوا هديَّته!

صيامُ يوم عرفة يُكفِّرُ ذنوبَ سنتين فلا تفرِّطُوا فيه!

وخواتيمُ سورة البقرةِ قبل النَّومِ تكفي من كلِّ شيءٍ فحافظُوا عليها!

وصيامُ يوم عاشوراءَ يُكفِّر ذنوب سنة فأقبِلُوا عليه!

وركعتا الضُّحى تعدِلُ صدقةً عن كل عضوٍ ومفصلٍ في الجسدِ فثابرُوا عليها،

وقيامُ ليلةِ القدرِ هي غنيمةُ العمر كُلّه فتحرُّوها!

82

«أَمْسِكْ بِنِصَالِهَا»!

مَرَّ رَجُلٌ بِالمَسْجِدِ ومَعَهُ سِهَامٌ،

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَمسِكَ بِنِصَالِهَا!

مِن هَدي النُّبُوَّةِ أنَّ كُلَّ أَدَاةٍ جَارِحَةٍ يُمسِكُ بِنِصَالِهَا كَي لَا تُؤْذِي النَّاسَ، دُونَ أن نَنْسَى أنَّ اللِّسَانَ لَهُ نَصْلٌ جَارِحٌ أَيْضاً!

وَقَد يَكُونُ الجُرْحُ الذي يُحْدِثُهُ أَشَدَّ أَذىً مِن جِرَاحِ السِّهَامِ والرِّمَاحِ،

فَجِرَاحُ السِّهَام والرِّمَاحِ تَبْرَأُ سَرِيعاً وتَنْدَمِلُ،

أمَّا جِرَاحُ نَصْلِ اللِّسَانِ فَتَبْقَى تَنِزُّ أَلَماً فِي القَلْبِ،

لِمَاذَا لَم تُنْجِبِي حَتَّى الآنَ؟! أَهَذَا سُؤَالٌ أم طَعْنَةٌ؟!

لِمَاذَا لَم تَتَزَوَّجْ بعد؟! أَهَذَا اسْتِفْهَامٌ أم لَكْمَةٌ؟!

لِمَاذَا لَم تُغَيِّرُوا أَثَاثَ بَيتِكُم؟! أَهَذَا حِرْصٌ عَلَيهِم أَم هَدْم صَبْرِهِم؟!

لِمَاذَا لَمْ تَشْتَرِ ثِيَاباً جَدِيدَةً؟! أَهَذه مَحَبَّةٌ أم تَحْرِيضٌ؟!

الطَّعَنَاتُ لَهَا أَشْكَالٌ عَدِيدَةٌ، الأَسْئِلَةُ الغَبِيَّةُ أَحَدُ أَشْكَالِهَا!

83
«لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ!»

كانَ لعمرِ بن الخطَّابِ امرأةٌ تشهدُ الفجرَ والعشاءَ في المسجدِ،
فقيلَ لها: لِمَ تخرجين، وقد تعلمين أنَّ عمرَ يكرَه ذلكَ، ويغار؟!
فقالتْ: وما يمنعُه أن ينهانِي؟
فقالُوا: يمنعُه قولُ النَّبيِّ ﷺ: لا تمنعُوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ!
يا لعُمر، يُقدِّمُ أمرَ النَّبيِّ ﷺ على هواه،
وكذلك المؤمنُ يريدُ أمراً فإن أرادَ اللهُ غيرَه سلَّمَ له وانصاع،
ما من امرأةٍ إلا وتحِبُّ أن تبدُو فاتنةً وجميلةً،
ولكنَّ الحجابَ والسَّترَ أمرُ اللهِ، والمؤمنةُ بأمرِ اللهِ لا بهوَاها!
وما من رجلٍ إلا وله شهوةٌ في النِّساءِ،
ولكنَّ العفَّةَ أمرُ اللهِ، والمؤمنُ بأمرِ اللهِ لا بأمرِ غريزتِهِ!
وما أُشتُقَّ اسمُ الإسلامِ إلا من التَّسليمِ!
نريدُ أمراً، ويريدُ اللهُ أمراً، والمؤمنُ من قدَّمَ أمرَ اللهِ!

84
«إنَّ الشَّمْلَةَ التي غلَّهَا لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَاراً»!

كَانَ للنَّبِيِّ ﷺ مَوْلًى يُقَالُ لَهُ مِدْعَم شَارَكَ مَعَهُ فِي فَتْحِ خَيْبَرٍ،
وَفِي طَرِيقِ العَودَةِ أَصَابَهُ سَهْمٌ طَائِشٌ فَمَاتَ،
فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئاً لَهُ الشَّهَادَةُ!
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إنَّ الشَّمْلَةَ التِي غلَّهَا لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَاراً،
يَحْرِصُ النَّاسُ أَنْ لا يَسْرِقُوا مَالَ شَخْصٍ بِعَيْنِهِ وَلَكِنَّهُم يَسْتَهِينُونَ بِالمَالِ العَامِّ،
مَعَ أنَّ سَرِقَةَ المَالِ العَامِّ هِيَ سَرِقَةُ النَّاسِ جَمِيعاً!
إتْلَافُ المَقَاعِدِ فِي الحَدَائِقِ العَامَّةِ هُو إتْلَافُ مَقَاعِدِ كُلِّ النَّاسِ، وَأَخْذُ كُتُبِ المكْتَبَةِ العَامَّةِ هُو سَرِقَةُ كُتُبِ كُلِّ النَّاسِ،
إنشَاءُ الطُّرقِ والجُسورِ بِخِلَافِ المُواصَفَاتِ المُتَّفقِ عَلَيهَا فِي العُقُودِ، هُو غِشٌّ لِكُلِّ النَّاسِ الذِينَ يَسْلُكُونَ هَذِهِ الطُّرُقِ والجُسُورِ،
إنَّ اللّه رَحِيمٌ فِي كُلِّ ذَنبٍ كَانَ فِي حَقِّه سُبْحَانَهُ،
ولَكِنَّهُ عَادِلٌ فِي كُلِّ ذَنْبٍ كَانَ فِي حَقِّ النَّاسِ!

85

«لتُلْبِسْهَا صاحبَتُها جلبَابِها!»

كان النَّبيُّ ﷺ يأمرُ النِّساءَ بحضُور صلاةِ العيدِ،
حتّى الحوائِض منهُنَّ يخرجْنَ، ويكُنَّ في آخرِ الصُّفوفِ ولا يُصلينَ،
فقالتْ امرأةٌ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ إحدانا ليسَ لها جلبابٌ!
فقالَ: لتُلبسْهَا صاحبتُها من جلبابِها!
تعاونُوا على المعرُوفِ، وتكاتفُوا في البرِّ، فإنَّما النَّاسُ للنَّاسِ!
الجارُ الذي يحترقُ بيتُه فليعطِه كلُّ جارٍ شيئاً من أثاثٍ،
القليلُ على القليلِ يكثرُ، وإنَّما حزمةُ العِصيِّ عودٌ على عودٍ!
وقد يكون عند الجارِ مناسبةُ فرحٍ أو عزاءٍ وبيتُه صغيرٌ،
افتحْ له دارك، شارِكْه فرحَه، وواسِه حزنَه!
وقد يكون عند صديقتَكِ مناسبةٌ وليس لديها ما ترتدِي،
بادري أنتِ واعرضِي عليها أن تُعيريها ولا تنتظرِيها لتطلبَ،
وقد يرسبُ زميلُكَ في مادَّة أنتَ بارعٌ فيها فأعنْه عليها،
وقد يُثقِلُ كاهلُ زميلكَ في العملِ مشروعٌ فساعدْه فيه،
الناسُ عيالُ اللهِ، وأحبُّهم إلى اللهِ أنفعُهم لعيالهِ!

86
«أَفْئِدَتُهُم مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ»!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصحَابِهِ لافِتاً أَنْظَارَهُم إلى أَهَمِّيَّةِ رِقَّةِ القَلْبِ:
يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهم مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ!
وأَقُولُ: مَن أَعْطَاهُ اللّه قَلْباً رَقِيقاً فَقَدْ أَجْزَلَ لَهُ العَطَاءَ!
فَهَنِيئاً لِمَنِ انْتَقَى كَلامَهُ كَيْ لَا يُحْرِجَ أَحَداً!
هَنِيئاً لِمَنْ كَانَ قَرِيباً مِنَ النَّاسِ يَأْلَفُ ويُؤْلَفُ!
هَنِيئاً لِمَنْ كَانَ هَيِّناً، سَهْلاً، بَطِيءَ الغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَى!
هَنِيئاً لِمَنْ كَانَ سَمْحاً إِذَا بَاعَ وإِذَا اشْتَرَى وإِذَا اقتَضَى!
هَنِيئاً لِمَنْ كَانَ كَالمَطَرِ أَيْنَمَا وَقَعَ نَفَعَ،
هَنِيئاً لِمَنْ سَارَ بَيْنَ النَّاسِ جَابِراً لِلخَوَاطِرِ،
هَنِيئاً لِمَنْ تَفَقَّدَ حَاجَاتِ النَّاسِ وأَعْطَى دُونَ مَنٍّ وَلَا أَذًى،
هَنِيئاً لِمَنْ كَانَ مَلَاذاً آمِناً لِلنَّاسِ يَأْمَنُونَهُ عَلَى جُرُوحِهِم،
هَنِيئاً لِمَنْ كَانَ كَهْفاً لِلمُضْطَرِّينَ، ومَفْزَعاً لِلخَائِفِينَ، وسَلْوَى لِلمَحْزُونِينَ،
هَنِيئاً لِكُلِّ مَن عَبَدَ اللّه بِحُبِّهِ لِلنَّاسِ!

87

«خَيْرُ نسَاءٍ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه:

خيرُ نساءٍ ركبْنَ الإبل: صالحِ نساءِ قريشٍ،

أحنَاهُ على ولدٍ في صِغرِه، وأرعَاهُ على زوجٍ في ذاتِ يدِه!

لم تبلغْ نساءُ قريشٍ هذه المنزلةَ بالأناقةِ وإن كانتْ مطلوبةً،

ولا بالعملِ والاجتهادِ والشَّهاداتِ وإن كانتْ مندوبةً،

وإنَّما بلغْنَها بالحنانِ والشَّفقةِ!

وإن كان الحنانُ على الولدِ فطرةً، فالرِّفقُ بالزّوجِ أخلاقٌ وتربيةٌ،

فإن جاءتِ المناسباتُ وليس لديه ما يشتري لكِ فلا تُحرجيه،

اسوأ شعور يشعره الرَّجال هو العجز فلا تشعريه أنه عاجز،

اِقبلِي منه القليلَ، ومثّلي فرحًا كأنّه قد أحضرَ لكِ الكثيرَ،

وغُضِّي الطَّرفَ عن حياةِ النَّاسِ وركَّزي في حياتكِ تَسْعَدِي!

زوجُ صديقتكِ يستطيعُ أن يشتريَ لها ذهباً ولكنَّ زوجكِ لا يستطيع،

من قالَ إنَّ حياتكِ يجب أن تكون نسخةً من حياة النَّاسِ؟!

وزوجُ أختكِ يستطيعُ أن يسافرَ بها في كل صيفٍ للإجازةِ،

ولكنّ زوجكِ لا يستطيعُ وهذه ليست نهايةّ الدُّنيا!

كثرةُ الطلباتِ، وعدمِ التَّقديرِ يؤديان إلى النُّفور، وهذا النُّفور أنتِ من سيدفعُ ثمنه!

88
«نَزَعَ اللهُ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحْمَةَ»!

دَخَلَ أَعْرَابٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ سِبْطُهُ الحَسَنُ يُقَبِّلُهُ،
فَسَأَلُوهُ مُسْتَغْرِبِينَ: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُم؟!
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَعَم،
فَقَالُوا: كُلُّنَا واللهِ مَا نُقَبِّلُ!
فَقَالَ لَهُم: أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحْمَةَ!
لَنْ يَتَذَكَّرَ أَبْنَاؤُكَ مِنْكَ إِلَّا الحُبَّ الذِي أَغْدَقْتَهُ عَلَيْهِم،
لَنْ يَتَذَكَّرُوا الأَثَاثَ الفَاخِرَ، ولَا السَّيَّارَةَ الفَارِهَةَ، ولَا الطَّعَامَ الشَّهِيَّ،
سَيَتَذَكَّرُونَ الكَتِفَ الذِي أَسْنَدَهُم حِينَ كَسَرَتْهُم الحَيَاةُ،
ابْنُكَ سَيَتَذَكَّرُ الحُضْنَ الذِي ضَمَّهُ حِينَ فَشِلَ فِي دِرَاسَةٍ،
وَابْنَتُكَ سَتَتَذَكَّرُ العِنَاقَ بَعْدَ فَسْخِ خُطُوبَتِهَا،
سَيَتَذَكَّرُونَ دَوْماً الكَلِمَاتِ الدَّافِئَةِ فِي مَوْطِنِ الخَوْفِ،
واللَّمَسَاتِ الحَانِيَةِ فِي مَوْضِعِ الفَزَعِ،
سَيَتَذَكَّرُونَ حَكَايَا مَا قَبْلَ النَّومِ، وكَسرَ قَوَاعِدِ الحَيَاةِ الرَّتِيبَةِ أَحيَاناً لِشِرَاءِ خَاطِرِهِم،
وَكُلُّ مَا غَيْرَ ذَلِكَ سَيُنْسَى، فَكُونُوا لَيِّنِينَ!

89

«كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ»

قال النّبيُّ ﷺ يوماً لإصحَابِه:
مَثَلُ المنافقِ كمثلِ الشَّاةِ العائرةِ بين الغَنمينِ،
تعيرُ إلى هذه مَّرةً، وإلى هذه مَّرةً!
في زحمة الأقنعةِ اِجعَلْ لكَ وجهاً واضحاً!
وفي كثرةِ المواقفِ الرَّماديَّةِ اجعلْ لكَ موقفاً ناصعاً!
وفي غمرةِ التَّشابهِ كُنْ متميِّزاً!
صديقُ الجميعِ ليس صَديقاً لأحدٍ فاخترْ صُحبَتكَ!
والذي ليس له عداواتٌ ليس لديه مبادئ فتشبَّثْ بمبادئكَ!

90

«هُوَ واللهِ كَذَلِكَ»!

دَخَلَ عُمَرُ بِن الخَطَّابِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَأَى أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَى!

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا يُبكِيكَ؟!

فَقَالَ: كِسْرَى وقَيصَر يَعِيشَانِ فِي نَعِيمٍ وأَنتَ عَلَى هَذَا الحَصِيرِ؟!

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا تَرْضَى أَن تَكُونَ لَهُم الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟!

فَقَالَ: بَلَى،

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: فَهُوَ واللهِ كَذَلِكَ!

فَإِنْ ضَاقَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرْ أَنَّ سَيِّدَكَ كَانَ يَنَامُ عَلَى حَصِيرٍ،
وَإِنْ شَحَّ رِزْقُكَ فَتَذَكَّرْ يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلَام فِي السِّجْنِ وفِي الجُبِّ،

وإِنْ ضَاقَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرْ أَنَّ رَأْسَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ مَهْراً لِبَغِيٍّ،

وإِنْ ضَاقَتْ بِكَ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرْ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَحْفَظُ النَّاسِ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ،

وَحُذَيفَةُ بن اليَمَانِ أَمِينُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ،

كَانَا مِن أَهْلِ الصُّفَّةِ وَلَا طَعَامَ لَهُمَا إِلَّا صَدَقَاتِ النَّاسِ!

إنَّ اللهَ ليس في المساجدِ فقط

وإن كانت أشرف الأماكن،

إنَّ اللهَ سبحانه أيضاً عند النَّاس!

91

«فإنِّي أُسِرُّ إليكَ أمراً!»

في غزوةِ تبوكٍ أُوحيَ إلى النَّبيِّ ﷺ بأسماءِ المنافقين،
فلقيَ النَّبيُّ ﷺ حُذيفةَ بن اليمانِ، فقالَ له:
فإنِّي أُسِرُّ إليكَ أمراً فلا تذكرنَّه،
إني نُهيتُ أن أُصلِّي على فلانٍ وفلانٍ!
وكانَ عمرُ في خلافتِه إذا ماتَ الرَّجلُ نظرَ إلى حُذيفة،
فإن صلّى عليه صلّى عُمر، وإن لم يُصلِّ تركَ الصلاةَ عليه!
السِّرُ أمانةٌ فلا تكُنْ خوَّاناً!
أسرارُ النَّاسِ للنّاسِ وإن كانتْ عندكَ،
لا تكشِفْ سرًّا ولو على قطعِ رقبتكَ،
ولا تجعلْ صدركَ بئراً يشربُ منه كلُّ النَّاسِ،
أسرَّ أعرابيٌّ لأعرابيٍّ بسرٍّ، ثمَّ سألَه: هل وعيتَ؟
فقالَ له: بل نسيتُ!

92
«إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا أَسِيرَهَا»!

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعلَمُ أَنَّ صِهرَهُ أَبَا العَاص أَسِيرَ حَرْبٍ،
وَيَعْلَمُ أَنَّ قَلْبَ ابْنَته أَسِيرَ حُبٍّ!
وَكَانَتْ زَينَبُ ذَكِيَّةً جِدّاً حِينَ أَرسَلَتْ فِي فِدَاءِ زَوجِهَا،
قِلَادَةَ أُمِّهَا التِي طَالَمَا أَسَرَتْ قَلبَ أَبِيهَا،
وَكَأَنَّهَا تَقُولُ لَهُ: قَلْبِي أَسِيرٌ عِندَكُم فَأَطْلِقُوهُ!
فَرَقَّ النَّبِيُّ ﷺ لِلأَسِيرَينِ مَعاً: أَسِيرَ الحَرْبِ، وَأَسِيرَ الحُبِّ!
تَقَعُ القُلُوبُ فِي القَيْدِ كَمَا يَقَعُ الأَسِيرُ،
فَعَامِلُوا أَسْرَى قُلُوبِكُم بِسَمَاحَةِ العُشَّاقِ،
شُدُّوا قُيُودَهُم بِالحَنَانِ،
وَأَقِيمُوا حَوْلَهُم قُضْبَاناً مِنَ الاهْتِمَامِ،
واصْنَعُوا لَهُم أَقْفَالاً مِنَ الرِّقَّةِ،
لَا شَيءَ يَهَوِّنُ أَسْرَ القَلْبِ سِوَى أَنْ يَلْقَى لِقَلْبِهِ صَدًى!

93
«أَلَمْ تسمَعْ إلى ما قالَ أبو حُباب؟!»

في أوَّلِ أيام هجرتِه، دخل النَّبيُّ ﷺ على الأنصارِ يدعُوهم،
فقالَ له عبدُ اللهِ بن سلُولٍ: إليكَ عنِّي فقد آذانِي نتنُ حمارِكَ!
فقالَ له رجلٌ من الأنصارِ: لحِمَارُ رسولِ اللهِ خيرٌ منكَ!
فغضِبَ لابنِ سلولٍ رجلٌ من قومِه، فشتَمَه!
فكان بين القومِ تضاربٌ، وأخذَ النَّبيُّ ﷺ يُهدِّئهم،
ثم أتى النَّبيُّ ﷺ سعدَ بن عبادةٍ وقالَ له:
يا سعدُ، ألمْ تسمعْ ما قال أبُو حُبابٍ؟!
فقالَ له سعدٌ: يا رسول الله اصفَحْ عنه،
فقد اصطلحَ النّاسُ أن يُتوِّجُوه مَلكاً، ثم جاءَ اللهُ بكَ!
بعضُ النَّاسِ سيعادونَكَ لشيءٍ يتعلَّقُ بهم لا بكَ!
سيكرهُك شخصٌ لا تعرفه يعتقدُ أنكَ أخذتَ وظيفتَه،
وستكرهُكِ امرأةٌ لا تعنيكِ لأنكِ ظفرتِ برجلٍ تريدُه،
حُدّثتُ عن امرأةٍ حقودةٍ كانت تدعُو على صديقِ ابنِها،
فقط لأنَّه لم يمُتْ مع ابنِها في حادث السَّيارةِ حينما كانا معاً!
النّاسُ الذين لا يرضُون عن قدرِ اللهِ مرضى،
تجاهلهُم ولا تُحاوِلْ حتى أن تتفهَّمَ أو تبحثَ لهم عن علاجٍ!

94

«إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا»!

خَدِيجَةُ، يَا لِبَهَاءِ الاسْمِ، وَأَنَاقَةِ الحُرُوفِ،

إِنَّهَا المَرأَةُ التِي لَا يُوجَدُ مِنْهَا نَسْخَةٌ ثَانِيَةٌ فِي تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ، مَلَكَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَلْبَهُ وَلَقَدْ كَانَتْ جَدِيرَةً بِأَنْ تُحَبَّ، وَبَقِيَ يَذْكُرُهَا حَتَّى آخِرِ أَيَّامِهِ وَلَقَدْ كَانَتْ خَلِيقَةً بِأَنْ تُذْكَرَ،

وَلَكِنْ «إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا» لَا تَعْنِي فَقَط،

إِنَّ مِنْ رِزْقِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَنْ أُحِبَّهَا،

وَإِنَّمَا تَعْنِي فِيمَا تَعْنِي أَنِّي رُزِقْتُ أَنْ تُحِبَّنِي!

وَتَلَقِّي الحُبَّ فِيهِ مَفْهُومُ الرِّزْقِ أَكْثَرَ مِمَّا فِيهِ تَقْدِيمُهُ،

عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْتَمِلُ إِلَّا إِذَا تَعَانَقَ القَلْبَانِ،

وَوَجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي الآخَرِ رَاحاً وَمُسْتَرَاحاً وَمُتَّكَئاً لِرُوحِهِ!

أَحَبَّتْهُ فَتَرَكَتْ مَالَهَا كُلَّهُ بَينَ يَدَيْهِ يَفْعَلُ بِهِ مَا شَاءَ،

وَهَامَتْ بِهِ فَأَهْدَتْهُ ثِمَارَ قَلْبِهِ أَوْلَادَهُ،

وَآمَنَتْ بِهِ فَكَانَتْ جَيْشَهُ وَجَبْهَتَهُ الدَّاخِلِيَّةَ وَمَلَاذَهُ الآمِنَ،

لَمْ يُحِبَّهَا فَقَط، خَدِيجَةُ أيضًا أَحَبَّتْهُ!

95
«مَا بَالُ أقوَامٍ؟!»

جاءتْ بريرةُ إلى أُمِّنا عائشة تسألُها أن تساعدَها في عِتقِها،
فقالتْ لها: إن شئتِ أعطيتُ أهلكِ وكان الولاءُ لي،
وقالَ أهلُها: إن شئتِ أعتقتِها ويكون الولاءُ لنا!
فذكرتْ عائشةُ ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقالَ لها:
ابتاعِيها، فأعتقِيها، فإنَّ الولاءَ لمن أعتقَ!
ثم صعدَ المنبرَ فقالَ: ما بالُ أقوامٍ يشترطُون شروطاً ليست في كتابِ اللهِ؟!
من اشترطَ شرطاً ليسَ في كتابِ اللهِ فليس له وإن اشترطَ مئة مرَّةٍ!
الولاءُ في الحديثِ معناه أن يكون للمعتوقِ رُحمَةٌ كرحمةِ النَّسبِ!
والولاءُ في الاسلامِ ليس لمالكِ العبدِ وإنَّما لمعتقِه، ومهما يكن في أمرٍ، ومهما كانت القضيّةُ، ومهما اختلفَ المجالُ، ليس لأحدٍ أن يشترطَ شرطاً ليس في كتاب اللهِ ولا سنّةِ نبيّه،
لا يجوزُ في الزَّواجِ أن تشترطَ شرطاً حرَّمه اللهُ،
ولا يجوزُ في الطَّلاقِ أن تبتزَّ زوجتكَ بحضانةِ أولادِها لتطلّقها،
ولا يجوزُ في الميراثِ أن تُعطيَ ولداً فوق ما أعطاه اللهُ من نصيبٍ، هذا الدّين ليس عباداتٍ من صيامٍ وحجٍّ وزكاةٍ، هذا الدّين شريعةٌ ومعاملاتٌ وقوانينٌ ويُؤخذُ كلُّه كما جاء!

96
«إلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»

سَأَلَ رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ: أرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا،
يَلْتَمِسُ الأَجْرَ والذِّكْرَ، فَمَا لَهُ؟
فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: لَا شَيْءَ لَهُ،
فَجَعَلَ الرَّجُلَ يُعِيدُ سُؤَالَهُ، والنَّبيُّ ﷺ يُعِيدُ إجَابَتَهُ،
ثُمَّ قَالَ: إنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهَهُ!
يَا لِلنَّوَايَا إنْ فَسَدَتْ كَمْ تَهْدِمُ مِنَ الأعْمَالِ!
يَا لِلرُّعْبِ حِينَ يُخْبِرُنَا النَّبيُّ ﷺ أنَّ أوّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِم النَّارُ، ثَلَاثَةٌ: مُتَصَدِّقٌ، وَقَارِئٌ لِلقُرْآنِ، وشَهِيدٌ!
كُلُّهُم كَانُوا يَعْمَلُونَ طَلَباً لِلثَّنَاءِ مِنَ النَّاسِ!
إنْ لَمْ يَكُنْ اللهُ وُجْهَتَكَ فَكُلُّ بِنَاءٍ بَنَيْتَهُ خَرَابٌ،
وَإنْ لَم يَكُنِ اللهُ مَقْصِدُكَ فَكُلُّ سَعْيٍ سَعَيْتَهُ هَبَاءٌ،
وَإنْ لَم يَكُنِ اللهُ مَطْلَبَكَ فَكُلُّ طَرِيقٍ مَشَيْتَهُ ضَيَاعٌ،
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، أخَذَت النَّصَبَ وَفَاتَهَا الأَجْرُ،
مُرْعِبَةٌ مَقُولَةُ ابنُ القَيِّمِ: إذَا لَمْ تُخْلِصْ فَلَا تَتْعَبْ!

97

«وَمَنْ أنزَلَها باللهِ أوشكَ اللهُ له بالغِنَى!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابه:

من أصابتْه فاقةٌ فأنزلهَا بالنَّاسِ، لم تُسَدَّ فاقتُه!

ومن أنزلَهَا باللهِ، أوشكَ اللهُ له بالغِنى، إمَّا بموتٍ عاجلٍ، أو غنىً آجلٍ!

خُذْ بالأسبابِ ما استطعتَ ولكن لا تنسَ أنَّها مجرَّد أسبابٍ!

لا تنفعُ إلا من بعد أن يأذنَ اللهُ بذلك،

الطبيبُ لا يشفِي ولكنَّه سببٌ، والعملُ لا يرزقُ ولكنَّه سببٌ،

والأسبابُ إنَّما تجري على النَّاسِ ولا تجرى على اللهِ سبحانه،

فإنَّه إن شاءَ أعطى بالسَّببِ، وبدون السَّببِ، وبخلافِ السَّببِ،

النَّارُ لم تحرقْ إبراهيم، والسِّكينُ لم تذبحْ إسماعيل، والحوتُ لم يأكلْ يونس،

العصا لا تشقُّ البحرَ عادةً ولكن عندما شاءَ اللهُ ذلك شقَّته،

أنزِلْ حاجتكَ باللهِ أوّلاً، ليكُن بابه قبل كلِّ الأبوابِ،

أرِه أنكَ تُؤمنُ أنهَّ لا يكون شيءٌ في كونِه إلا بأمرِه،

ثمّ اعَمدْ إلى الأسبابِ وخُذْ منها ما شئتَ!

98

«لَيْسَ بَينَهَا وبَينَ اللهِ حِجَابٌ»

بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ مُعَاذ بِن جَبَلٍ إِلَى اليَمَنِ،
وَخَرَجَ يَمْشِي مَعَهُ، يُوَدِّعُهُ، ويُوصِيه، وكَانَ ممَّا قَالَ لَهُ:
اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُوم، فَإِنَّهَا لَيسَ بَينَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ!
احْذَرُوا دَعوَاتِ المَظْلُومِينَ فَإِنَّهَا سِهَامٌ لَا تُخْطِئُ!
وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى ضَعْفِ مَنْ ظَلَمْتُم،
وَلَكِن انْظُرُوا إِلَى قُوَّةِ مَن عَصَيْتُم!
لَرُبَّمَا ظَلَمْتَ إِنْسَاناً فَنِمْتَ تَحْسَبُ أَنَّ المَعْرَكَةَ انْتَهَتْ،
فَقَامَ هُوَ فِي جَوفِ اللَّيْلِ وَدَعَا سَاجِداً: رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ!
دَعْوَة نُوح عَلَيْهِ السَّلَام التِي أَغْرَقَ اللهُ الأرضَ كُلَّهَا اسْتِجَابَةً لَهَا!
غَضِبَ الرَّشِيدُ عَلَى البَرَامِكَةِ ونَكَّلَ بِهِم وسَجَنَهُم بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَقَالِيدُ الدَّولَةِ بِأَيْدِيهِم،
وفِي السِّجْنِ قَالَ الفَضْلُ بِن يَحْيَى البَرْمَكِيُّ لِأَبِيه:
بَعدَ الأَمْرِ والنَّهيِ والنِّعْمَةِ والمُلْك صِرْنَا إلى هَذَا؟!
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ هَذِهِ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيلٍ،
غَفِلْنَا عَنْهَا، وَلَمْ يَغْفَلِ اللهُ عَنْهَا!

99
«طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»

مَا زَالَ المَرْءُ عَالِماً مَا طَلَبَ العِلْمَ، فَإِنْ قَالَ: عَلِمْتُ، فَقَدْ جَهِلَ!

وَانْظُرْ إِلى مُوسَى عَلَيْهِ السّلاَم حِينَ عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ عَبْداً أَعْلَمُ مِنهُ،

قَطَعَ البِلَادَ لِيَتَعَلَّمَ مِنهُ، هَذَا هُوَ كَلِيمُ اللّهِ!

العِلْمُ بَحْرٌ لا سَوَاحِلَ لَهُ، وَحْدَهُم الذِينَ لَمْ يُبْحِرُوا يَظُنُّونَ أَنَّ البَحْرَ بُقْعَةُ مَاء!

كُلُّ كِتَابٍ تَقْرَأُهُ يُضِيفُ إِلَيكَ جَدِيداً،

وَيَكْشِفُ لَكَ فِيكَ عَن مَسَاحَةِ جَهْلٍ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا،

ثُمَّ هَبْ أَنَّكَ قَد عَلِمتَ، فَأَيْنَ العَمَلُ ؟!

القَلْبُ يَحْتَاجُ إِلى تَزْكِيَةٍ، والفِكْرُ يَحْتَاجُ إِلى تَنْمِيَةٍ، والنَّفْسُ تَحْتَاجُ إِلى تَحْلِيَة!

أَوْدَى إِبْلِيسُ كِبْرَهُ لَا قِلَّةَ عِلْمِه!

والذين حَرَّفُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ هُم القَسَاوِسَةُ والرُّهْبَانُ لَا عَوَامُ النّاس!

والخَوَارِجُ كَانُوا أَعْبَدَ مِنَ الصَّحَابَة!

فَإِنْ عَلِمْتَ، وَأَنَا أُقْسِمُ لَكَ أَنَّكَ مَا عَلِمْتَ، ضَعْ عَينَكَ فِي عَيْنِي، وَأَخْبِرْنِي:

مَا مِقْدَارُ مَا عَمِلْتَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا عَلِمْتَ؟!

100

«فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا»!

أَنْتَ الذي تُرِيدُ مِنَ هَذِهِ الدُّنْيَا أَنْ تَكُونَ فَانُوساً سِحْرِيّاً بَينَ يَدَيك،

كُلَّمَا أَرَدْتَ حَصَلَتْ، وَكُلَّمَا مَشَيْتَ وَصَلْتَ، وَكُلَّمَا سَعَيْتَ بَلَغْتَ،

هَلْ قَرَأْتَ قَصَصَ الأَنْبِيَاءِ فِي القُرْآنِ بِقَلْبِكَ قَبْلَ عَيْنِكَ؟!

كُذِّبَ نُوحٌ، وَأُلْقِيَ فِي النَّارِ إِبْرَاهِيم، وَخَرَجَ مُوسَى خَائِفاً يَتَرَقَّبُ،

أَضْجِعَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيل، وَافْتَقَرَ عِيسَى، وَلَبِثَ يُونُس فِي بَطْنِ الحُوتِ،

نُشِرَ بِالمنشَارِ زَكَرِيَّا، ورَأْسُ يَحْيَى قُدِّمَ لِبَغِيٍّ!

طُرِدَ النَّبِيُّ ﷺ مِن مَكَّةَ، وَرُجِمَ فِي الطَّائِف، وشُجَّ رَأْسُهُ فِي أُحُد، وَأَنْتَ تَحْسَبُهَا صُنْدُوقَ أَمَانِيٍّ كُلَّمَا اشْتَهَيتَ مَدَدْتَ يَدَكَ فَأَخَذْتَ!

سَلِ اللهَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيكَ فِي الرِّضَا وإِنْ ضَيَّقَ عَليكَ فِي الرِّزْقِ،

وَأَنْ يُعَافِيكَ في قَلْبِكَ وإِن أَصَابَكَ فِي جَسَدِكَ!

لَيسَ غَيرُ الرِّضَا يَصْلُحُ مَرْكَباً لِلعُبُورِ يَا صَاحِبِي،

فَارْضَ تَجِدْ الضِّيقَ رَحْباً، والقَلِيلَ كَافِياً،

وإِنَّكَ بِغَيرِ الرِّضَى فَقِيرٌ وَلَو كَانَتْ الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي جَيبِكَ!

101
«قَدْ غفرَ اللّهُ لكَ!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ وقالَ: يا رسولَ اللّهِ،
إنِّي قبَّلتُ امرأةً دون أن أُصيبَ منها! فها أنا بين يديكَ، فاقضِ فيَّ ما شئتَ!
فقالَ له عُمر: لقد سترَكَ اللّهُ فلو سترتَ نفسكَ!
وأُقيمت الصَّلاةُ، فلم يقلِ النَّبيُّ ﷺ شيئاً،
فلمَّا سلَّمَ منها، قال للرَّجلِ: هل حضرتَ الصَّلاة معنا؟!
فقالَ: نعم.
فقالَ له: اذهبْ فقد غفرَ اللّهُ لكَ!
لا يُفهَمُ من الحديثِ أنَّه ضوءٌ أخضرُ أن عانقُوا وقبِّلُوا،
ثم بعد ذلك صلُّوا فذلك كفارةٌ!
وإنَّما المقصودُ أنَّه إذا غلبتكُم شهواتُكم، وزيَّنَ لكم الشَّيطانُ أعمالَكُم،
فبابُ اللّهِ مفتوحٌ لا يُسدُّ، والحسنةُ تمحُو السَّيئةَ،
هذا حديثٌ بعد الوُقوعِ في المحظُورِ لا قبلَهَ!
ثمّ إنَّ المعادلةَ سهلةٌ ولا غيرها:
إذا لم تستطِعْ التَّخلُّصِ من معصيةٍ فزاحمْهَا بالطَّاعاتِ!

102
«إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ»

سَأَلَ أُبَيّ بِن كَعْبِ النَّبِيَّ ﷺ: كَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِن صَلَاتِي؟
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا شِئْتَ،
فَقَالَ أُبَيٌّ: الرُّبُعَ؟
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لَكَ!
فَقَالَ: النِّصْفُ؟
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُو خَيرٌ لَكَ!
فَقَالَ: الثُّلُثَينِ؟
فَقَالَ لَهُ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُو خَيرٌ لَكَ!
فَقَالَ أُبَيّ: أَجْعَلُ صَلَاتِي كُلَّهَا لَكَ!
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: إِذًا تُكْفَى هَمّكَ وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ!
بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تُقْضَى الحَوَائِجُ،
وَتَزُولُ الهُمُومُ، وتُغْفَرُ الذُّنُوبُ، وتَنْحَلُّ العُقَدُ،
وَمَا زَالَ المَرْءُ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تَأْتِيهِ أَمَانِيهِ رَاكِعَةً!

103

«تَصَدَّقُوا عليهِ!»

أُصيبَ رجلٌ في عهدِ النَّبيِّ ﷺ في ثمارٍ ابتاعَها،
فكثُرَ دَينُه، وطالبَه غرماؤُه،
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: تصدَّقُوا عليه!
فتصدَّقَ النَّاسُ عليه، فلم يبلغْ ذلك وفاءَ دَينِه،
فقالَ النَّبيُّ ﷺ لغُرماءِ الرَّجلِ: خُذُوا ما وجدتُمْ،
وليسَ لكم إلا ذلكَ!
تأمَّلْها بقلبكَ لا بعينيكَ: تصدَّقُوا عليه!
كلَّما سمعتَ عن مريضٍ يُجمعُ له لعمليَّةٍ جراحيَّةٍ،
تخيَّلِ النَّبيَّ ﷺ يقولُ لكَ: تصدَّقُوا عليه!
وكلَّما سمعتَ بفقيرٍ عاجزٍ عن تسديدِ أُجرةِ الشَّهرِ،
تخيَّلِ النَّبيَّ ﷺ يقولُ لكَ: تصدَّقُوا عليه!
وكلَّما ترنَّحَ رجلٌ تحت وطأةِ الدَّينِ ووصلَ الأمرُ إليكَ،
تخيَّلِ النَّبيَّ ﷺ يقولُ لكَ: تصدَّقُوا عليه!
وصايا الحبيبِ لم تمتْ بموتِه، هذا الدِّينُ باقٍ،
فإن فاتَتْكَ لُقيا حبيبكَ، فلا تفتْكَ وصايَاه!

104

«نَفِي لَهُم بِعَهْدِهِم وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيهِم»

يَقُولُ حُذَيفَةُ بن اليَمَان: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْراً،
إلَّا أَنِّي خَرَجْتُ وَصَاحِبِي أَبِي حُسَيْلٍ نُرِيدُ المَدِينَةَ،
فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيش، فَقَالُوا: إنَّكُم تُرِيدُونَ مُحَمَّداً!
فَقُلْنَا لَهُم: مَا نُرِيدُهُ وَإِنَّمَا نُرِيدُ المَدِينَةَ،
فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْداً إذَا وَصَلْنَا المَدِينَةَ أَن لَا نُقَاتِلَهم مَعَهُ!
فَأَتينَا النَّبيَّ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ بِالخَبَرِ،
فَقَالَ: انْصَرِفَا، نَفِي لَهُم بِعَهْدِهِم، ونَسْتَعِينُ بِاللهِ عَلَيهِم!
هَذَا وَفَاؤُهُ مع أَعْدَائه، فَكَيفَ كَانَ وَفَاؤُهُ مَعَ أَصْحَابِه؟!
ثُمَّ، بِاللهِ عَلَيكَ وَعَلَيَّ: كَيفَ هُوَ وَفَاؤُنَا نَحنُ؟!
الحُرُّ تَربِطُهُ الكَلِمَةُ، والنَّذْلُ لا يَربِطُهُ عَقْدٌ مَكْتُوبٌ،
الحُرُّ إنْ أَعْطَى وَعْداً وَلَو شَفَاهَا صَارَ دَيْناً فِي رَقَبَتِهِ،
وَمِن أَجْمَلِ مَا قَالَتِ العَرَبُ: وَعْدُ الحُرِّ دَيْنٌ!
والنَّذْلُ يَحْتَالُ فِي عَقْدٍ مَكْتُوبٌ، ويَتَمَلَّصُ مِن وَعْدٍ مَقْطُوعٍ،
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الرَّجُلَينِ تَكُونُ!

105

«أَمَا علِمْتَ أنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما كان قبلَه؟!»

دخلَ عمرُو بن العاصِ إلى المسجدِ مُسْلماً وقال للنَّبيِّ ﷺ:
يا رسولَ اللهِ، ابسُطْ يمينكَ لأبايعكَ.
فبسطَ النَّبيُّ ﷺ يدَه، ولكنَّ عمرو قبضَ يدَه!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: ما لكَ يا عمرو!
قالَ: أردتُ أن أشترطَ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: تشترطُ ماذا؟
قالَ: أن يُغفرَ لي!
فقالَ له: أما علمتَ أنَّ الإسلامَ يهدمُ ما كان قبلَه!
كلُّ توبةٍ هي إسلامٌ جديدٌ!
فأقبِلْ على اللهِ ولا تستعظمْ ذنبكَ مهما كان!
ما من ذنبٍ أكبرُ من الشِّركِ، ولو تابَ المشركُ لَقبِلَ الرَّحمنُ منه!
على أن تعلمَ أنَّ للتوبةِ شروطاً ثلاثةً:
الأوَّلُ: الإقلاعُ الفوريُّ عن الذَّنبِ،
الثَّاني: النَّدمُ والعزمُ على عدم العودةِ،
الثَّالثُ: إن كان الذَّنبُ في حقٍّ من حقوقِ العبادِ أن يُعادَ إليهم،
ثمَّ وإن تُبتَ فضعفتَ، فتُبْ مرَّةً أخرى،
الشَّيطانُ يريدكَ أن تيأسَ من رحمةِ اللهِ، فلا تُعطِه مُرادَه!

لا تسأل:

متى ستنهضُ هذه الأمَّة؟!

انهضْ أولاً أنتَ!

106

«أَنْظِرْ جَابِراً»

كَانَ عَلَى جَابِرِ بن عَبْدِ اللهِ دَيْنٌ عِنْدَ أَبِي الشَّحْمِ اليَهُودِيِّ،
وَحَانَ وَقْتُ السَّدَادِ وَلَمْ يَجِدْ جَابِرٌ عِنْدَهُ مَا يَفِي به دَيْنَهُ،
فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَطْلُبُ مِنْهُ أَن يَشْفَعَ لَهُ بِتَمدِيدِ وَقْتِ السَّدَادِ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لأَبِي الشَّحْمِ، أَنْظِرْ جَابِراً!
لَا تَزْهَدْ فِي شَفَاعَةٍ حَسَنَةٍ مَهْمَا كَانَتْ مَرْتَبَتُكَ،
نَبِيُّ الأُمَّةِ بِالمَفْهُومِ الدِّينِيِّ، ورَئِيسُ الدَّولَةِ بِالمَفْهُومِ السِّيَاسِيِّ،
لَا يَتَحَرَّجُ أَبَداً أَن يَمْشِيَ فِي حَاجَةٍ مِن حَاجَاتِ النَّاسِ،
حُلَّ مَشَاكِلَ البُسَطَاءِ إن اسْتَطَعْتَ،
وَتَوَسَّطْ لِلضُّعَفَاءِ فرُبَّمَا أَرْجَعَ اللهُ حُقُوقَهُم عَلَى يَدَيْكَ،
وَلَا عَلَيكَ مِنَ النَّتَائِجِ، ولا تَبتَئِسْ إِن رُفِضَتْ شَفَاعَتُكَ،
بِالمُنَاسَبَةِ رَفَضَ أَبُو الشَّحْمِ اليَهُودِيَّ وَسَاطَةَ النَّبِيِّ ﷺ،
وَمِنْ قَبْلُ تَوَسَّطَ لِمُغِيثٍ عِنْدَ زَوْجَتِهِ بُرَيْرَة أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَرَفَضَتْ،
وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَ يَتَوَسَّطُ وَيَشْفَعُ،
نَحْنُ نَتَعَبَّدُ اللهَ بَالسَّعْيِ لِا بِتَحْقِيقِ النَّتَائِجِ!

107
«ليُصَلِّ أحدُكُم نشَاطَه!»

دخلَ النَّبيُّ ﷺ المسجدَ، فإذا حبْلٌ ممدودٌ بين ساريتين،
فقالَ: ما هذا؟
فقالُوا: هذا لزينبَ، تُصلِّي الليلَ فإذا كسلتْ أمسكتْ به!
فقالَ: حلُّوه، ليصَلِّي أحدُكُم نشاطَه، فإذا كسلَ فليقعدْ!
يُحسبُ لأمِّنا زينبُ بنت جحشٍ هذا التَّفانِي في قيامِ الليلِ،
ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ يريدُنا أن نعبدَ اللَّه دون ضررٍ لأنفسِنا!
لو أفنينا العمرَ ساجدينَ فلن نفيَ اللَّه حقَّه،
ولو أمضينا العمرَ صياماً فهذا ليس كثيراً على اللَّهِ،
ولكنَّ اللَّه تعالى أرحمُ بنا من أنفسِنا، ويريدُ بنا اليُسر،
لهذا إذا أفتاكَ الطبيبُ أن تفطرَ فأطِعْه،
وإذا سافرتَ فاقْصُرْ من الصَّلاةِ فإنَّ اللَّه يحبُّ أن تُؤتى رخصُه،
ومجاهدةُ النَّفسِ وحملُها على العبادةِ أمرٌ محبَّبٌ ومطلوبٌ،
ولكن إذا ألحقتِ العبادةُ بكَ الضَّررَ فتوقَّفْ،
صلاةُ المريضِ في سريره قد تعدلُ ألفَ قيامٍ!

108
«إِلَى مَتَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟!»

جَاءَ عبدُاللهِ بن حُرَيب إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ لَهُ:
يَا رَسُولَ اللهِ: إِنِّي رَجُلٌ مِقْرَافٌ لِلذُّنُوبِ!
فَقَالَ لَهُ: تُبْ إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرْهُ،
فَقَالَ: إِنِّي أَعُودُ!
فَقَالَ لَهُ: تُبْ إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرْهُ،
فَقَالَ: إِنِّي أَعُودُ،
فَقَالَ لَهُ: تُبْ إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرْهُ،
قَالَ: إِلَى مَتَى يَا رَسُولَ اللهِ؟
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: حَتَّى يَكُونَ الشَّيطَانُ هُوَ المَدْحُورُ!
إِيَّاكَ أَنْ يَقِفَ الشَّيْطَانُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ!
سِرْ إِلَى اللهِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كُنْتَ،
إِذَا أَذْنَبْتَ اسْتَغْفِرْ، وَإِذَا ابْتَعَدْتَ فَسَارِعْ بِالعَوْدَةِ،
الشَّيْطَانُ لَا يُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا أَنْ تَشْعُرَ أَنَّ ذَنْبَكَ أَكْبَرُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيكَ بِنَفْسِهِ، فَمَا لَكَ وَلَهُ، لَسْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ مِنْكَ؟!
أَنْتَ ابْنُ النَّبِيِّ الذِي أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ المُحَرَّمَةِ فَسَارَعَ فِي التَّوبَةِ!

109
«إنَّما بُعثْتُم مُيسِّرين!»

بالَ أعرابيٌّ في المسجدِ، فهرعَ إليه الصَّحابةُ ينهونَه،
فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: لا تزرِمُوه، أي لا تقطعُوا عليه بولَه!
فلما انتهى الأعرابي أشار النبي ﷺ إلى مكان البول،
وقالَ للصَّحابةِ: أهريقُوا عليه دلواً من الماءِ!
ثمَّ قالَ لهم يعلِّمُهم أهمَّ درسٍ في الدَّعوةِ إلى اللهِ:
إنَّما بُعثتُمْ مُيسِّرين ولم تُبعثُوا مُعسِّرين!
إنَّ اللهَ يفتحُ باللينِ والرَّحمةِ قلوباً لا تُفتحُ بالسَّيفِ،
ويهدي بالرِّفقِ أقواماً ما كانوا ليهتدُوا بالشِّدةِ والعنفِ!
العاصي إن لم يجدْ في الدَّاعيةِ حُبًّا وشفقةً،
فما الذي سيدفعُه إلى أن يتركَ معصيتهَ؟!
وكثيراً ما تؤدِّي الغلظةُ في الموعظةِ إلى الاستمرارِ في المعصيةِ عناداً!
وظيفتُنا أن نضعَ أقدامَ النَّاسِ على الطريق المؤدِّيةِ إلى الله،
لا أن نقفَ بينهم وبينَ اللهِ!

110
«أَنْ تَتَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ»!

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟
فَقَالَ لَهُ: أَنْ تَتَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الفَقْرَ وَتَأْمَلُ الغِنَى،
وَلَا تَمْهَلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ:
لِفُلَانٍ كَذَا، ولِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ!
جَمِيلٌ أَنْ تَهْتَمَّ لِوَرَثَتِكَ مِنْ بَعْدِكَ وَلَكِنْ لَا تَنْسَ نَفْسَكَ!
لَا تَنْسَ صَحِيفَتَكَ التِي عَلَيكَ أَنْ تَمْلَأَهَا بِالصَّدَقَةِ،
وَقَبْرَكَ الذِي عَلَيكَ أَنْ تُنِيرَهُ بِمَدِّ يَدِ العَوْنِ لِلنَّاسِ،
مَنْ كَفَّ يَدَ فَقِيرٍ عَنِ السُّؤَالِ أَغْنَى اللهُ يَدَهُ مِنَ السُّؤَالِ!
وَمَنْ سَدَّ حَاجَةَ مِسْكِينٍ عَصَمَهُ اللهُ أَنْ يَكُونَ يوماً مِسْكِيناً!
بِهَذَا اليَقِينِ تَعَامَلْ مَعَ الصَّدَقَةِ،
وَلَا تَحْسَبْ كُلَّ شَيْءٍ بِالوَرَقَةِ وَالقَلَمِ،
وَإِنَّ لَكَ نَبِيّاً قَدْ أَقْسَمَ أَنَّهُ مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ!

111

«إنَّ اللهَ لا يُدْرَكُ ما عِنْدَه إلا بطاعَتِه»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحَابِه:

إنَّ روحَ القُدُسِ نفثَ في روعِي أنَّ نفساً لن تموتَ، حتّى تستكمِلَ رزقَهَا،

فاتَّقُوا اللهَ وأَجمِلُوا في الطَّلَبِ،

ولا يحملنَّكُم استبطاءَ الرِّزقِ أن تطلبُوه بمعاصِي اللهِ،

فإنّ اللهَ لا يُدرَكُ ما عندَه إلا بطاعتِه!

أَكثر ما يُقلِقُ النَّاسَ الأجلَ والرِّزقَ،

رغم أنَّهم يَعلمون أنَّهما قد كُتبا قبل مجيئِهم إلى الدُّنيا وقُضِيَ الأمرُ!

وأنَّ اللهَ سُبحانَه يُؤَخِّرُ الرِّزقَ امتحاناً لعبادِه واختباراً،

لا عن قلَّة ذاتِ يدٍ منه سبحانه فخزائنُه ملأى ويداهُ مبسوطتَان،

فلا تستعجِلي العريسَ بخلعِ الحجابِ والتَّبرجِ!

العريسُ رزقٌ، ورزقُكِ سيأتيكِ لعتبةِ بابكِ ولو كان في القطبِ الشِّماليِّ!

ولا تستعجلْ ترقيةَ الوظيفةِ بالوشايةِ والنَّميمةِ،

الرَّواتبُ والمناصبُ رزقٌ، وما كان لكَ فأنتَ آخذُه لا محالةَ!

حتى طريقِ الحرامِ الذي نسلكُه لنحصِّلَ شيئاً من **الدُّنيا**،

لو صبرْنَا لحصَّلناه حلالاً لأنَّه رزقنا!

ولكن الأشياءَ التي تُحصَّلُ بالحرامِ منزوعةُ البَركة!

112
«نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ»

عِشْ حَيَاتَكَ بِبَسَاطَةٍ وَلَا تَتَكَلَّفْ!
لَا تَمُدَّ رِجلَيْكَ أَبعدَ مِنْ مَقَاسِ لِحَافِكَ،
إِنَّ المَرْءَ إِذَا تَطَاوَلَ لِمَا لَا يَسْتَطِيعُ بَدَا عَارِياً!
مَا أَهْلَكَ النَّاسُ فِي أَيَّامِنَا إِلَّا الجَرْيَ وَرَاءَ الكَمَالِيَّاتِ،
الهَاتِفُ القَدِيمُ مِنْ مَالِكَ خَيْرٌ مِنْ الهَاتِفُ الجَدِيدُ بِالدَّيْنِ،
وَالعُرْسُ البَسِيطُ خَيرٌ مِنَ العُرْسِ الفَخْمِ إِذَا رَاكَمَ عَلَيْكَ دَيْناً،
وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا عَادُوا مِنْ عُرْسِ ابْنَةِ المَلِكِ أَبْدَوا عَلَيْهِ مُلَاحَظَاتٍ!
ثُمَّ وَإِنْ عَادُوا وَمَدَحُوكَ، مَا هِيَ إِلَّا لَيلَةٌ سَعِدُوا فِيهَا،
وَبَقِيَ الدَّينُ مَرْبُوطاً كَاللِّجَامِ فِي رَقَبَتِكَ وَحْدَكَ!
لَا تُسَافِرْ بِالدَّينِ وَإِنْ قَالُوا عَنْكَ مِسْكِينٌ لَا تُسَافِرُ،
وَلَا تَلْبِسْ ثَوباً بِالدَّينِ وَإِنْ قَالُوا عَنْكَ بَائِسٌ لَا تَشْتَرِ،
مَا دَخَلَ التَّكَلُّفُ بَابَ بَيتٍ إِلَّا وَهَرَبَتْ الطُمَأْنِينَةُ مِنَ النَّافِذَةِ!

113

«فإنَّها من أبرِّ الدَّواب»

مرَّ النَّبيُّ ﷺ برجلٍ يحلِبُ شاةً فقالَ له:

أي فُلان، إذا حلبتَ فأبقِ لولدها، فإنَّها من أبرِّ الدَّواب!

إنَّ الذين علَّمناهُم حقوقَ الحيوانِ منذ ألفٍ وأربعمئةِ سنةٍ،

يريدُون اليومَ أن يُعلِّمُونا حقوقَ الإنسانِ!

هُنَّا على النَّاسِ يوم هانَ علينا دينُنَا فلم نأخذْهُ كما أخذَه الأوائلُ،

ولكَ أن تتخيَّلَ أنَّ عمرَ بن الخَّطابِ حين توجَّه إلى القُدس لتسلُّمِ مفاتيحِها،

لم يكن معه إلا محمَّدُ بن مسلمة وناقتُه،

فكان يركبُ حيناً، ويُركِبُ ابن مسلمةَ حيناً،

ثم يمشي هو وابنُ مسلمة ويتركُ الدَّابةَ تمشي من غير ركوبٍ لتستريحَ!

لم يكُنْ يُعاملها على أنَّها دابةٌ للسَّفر، لقد عاملهَا كأنَّها رفيقُ طريقٍ!

ما أجملَ هذا الدِّين حين نُطبِّقه كما جاء!

114

«إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ»!

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى صَفِيَّةٍ بِنْتُ حُيَيٍّ فَوَجَدَهَا تَبْكِي!

فَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟

فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَة أَنَّنِي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ!

فَقَالَ لَهَا: إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ زَوْجَةُ نَبِيٍّ، فَبِمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟!

ثُمَّ قَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا حَفْصَةُ!

يَا لِجَبْرِ الخَوَاطِرِ فِي لَحَظَاتِ الحُزْنِ مَا أَعْذَبَهُ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ!

وَيَا لِلنِّسَاءِ مَا أَرَقَّهُنَّ، كَلِمَةٌ تُبْكِيهِنَّ وَكَلِمَةٌ تُسْعِدُهُنَّ!

فِي كُلِّ امْرَأَةٍ طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ بِجَدِيلَتَيْنِ تَحْتَاجُ حَنَاناً مَهْمَا كَانَ عُمْرُهَا، فَكُنِ الصَّدْرَ الحَنُونَ الذِي يَسَعُ، والقَلْبَ الكَبِيرَ الذِي يُوَاسِي، اِطْبَعْ عَلَى جَبِينِهَا قُبْلَةً، وَأَخْبِرْهَا أَنَّكَ تَهْتَمُّ، عَانِقْهَا وَأَخْبِرْهَا أَنَّهَا عَزِيزَةٌ عِنْدَكَ، وَأَنَّهَا لَا تَهُونُ، قُلْ لَهَا أَنَا مَعَكِ، وَقَوِيٌّ بِكِ، ولا أَسْتَغْنِي عَنْكِ،

سَتَجِدُهَا فِي ثَانِيَةٍ أَزَالَتْ غُيُومَ الحُزْنِ وَأَشْرَقَتْ!

115
«كانَ كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ!»

قال النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابهِ: إنَّ هذا المالَ حُلوةٌ،
من أخذَه بحقِّهِ، ووضعَه في حقِّة، فنعمَ المعونةُ هو،
ومن أخذَه بغيرِ حقِّة، كان كالذي يأكلُ ولا يشبعُ!
وتأملْ معي قول النَّبيِّ ﷺ: فنِعمَ المعونةُ هو!
سمَّاهُ معونةً، أي وسيلةً لا غايةً، أداةً لا معبوداً!
الغنى ليس سُبَّةً، السُّبةُ أن يملكَكَ المالُ بدل أن تملكَه،
والمالُ ليس عيباً، العيبُ أن يكون لكَ سيِّداً بدل أن يكون لكَ خادماً،
أبو بكرٍ، وعثمانُ بن عفَّان، وعبدُ الرَّحمنِ بن عوفٍ كانوا فاحشِي الثَّراءِ،
ولكنَّ مالَهُم كان في أيديهِم ولم يكن في قلوبِهم!
وضعُوه تحت أقدامِهم فارتفعُوا، ولم يضعُوه فوق رؤوسهم فينخفِضُوا!
الغنى الحقيقيُّ ليس أن تستطيعَ شراء الدُّنيا مجتمعة،
بل أن تجتمعَ الدُّنيا كلُّها ولا تستطيعُ شراءَك!

116
«مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ!
فَقَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟
قَالَ: نَعَم، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ/ أُجْرَةٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ!
وَحَدَّثَهُم مَرَّةً فَقَالَ: كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامَ نَجَّاراً!
المِهَنُ والوَظَائِفُ لِكَسْبِ العَيْشِ وتَحْصِيلِ الرِّزْقِ وَلَيْسَتْ «للفَشْخَرَةِ»،
مَا دُمْتَ تَكْسَبُ رَغِيفَكَ بِالحَلَالِ فَارْفَعْ رَأْسَكَ،
ثِيَابُكَ المُتَّسِخَةُ لَيْسَتْ عَيْباً،
العَيْبُ أَنْ تَكُونَ ثِيَابُكَ أَنِيقَةٌ بَينَمَا قَلْبُكَ مُتَّسِخٌ وَمَالُكَ حَرَامٌ!
الأَيْدِي المُمْتَلِئَةُ بِالنُّدُوبِ مِنَ العَمَلِ شَهَادَةُ عِزٍّ وَشَرَفٍ!
وَالأَكُفُّ المُتَّسِخَةُ بِالسَّوَادِ والشَّحْمِ والغُبَارِ صَكٌّ بَرَاءَةٍ مِنَ الكَسَلِ!
إِيَّاكَ أَنْ تَخْجَلَ بِمِهْنَتِكَ مَا دَامَتْ كَسْباً حَلَالاً،
وَإِيَّاكَ أَكْثَرَ أَنْ تَخْجَلَ بِأَبِيكَ لِأَنَّ لَهُ مِهْنَةٌ بَسِيطَةٌ،
ضَعْهُ كَالتَّاجِ عَلَى رَأْسِكَ، وقَبِّلْ كُلَّ يَومٍ هَذِهِ اليَدَ الَّتِي أَطْعَمَتْكَ!

117
«أنتُم أعوانُ الشَّيطانِ على صاحِبِكُم!»

يقولُ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ: إنَّ أوَّلَ رجُلٍ قُطِعَتْ يدهُ في الإسلامِ، رجلٌ أُتيَ به إلى النَّبيِّ ﷺ، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ هذا سرقَ!
فرُئِيَ الحزنُ على وجهِ النَّبيِّ ﷺ،
فقالُوا: يا رسولَ اللهِ، فكأنَّكَ كرهتَ قطعَه؟
فقالَ: وما يمنعُنِي وأنتم أعوانُ الشَّيطانِ على صاحبِكم،
واللهُ عفُوٌّ يُحِبُّ العفوَ، ولا ينبغِي لوالي أمرٍ أن يُؤتَى بحدٍّ إلا أقامَه!

ليس في دينِنَا ما نخجلُ منه، هذا الدِّينُ كلُّه رحمةٌ حتى حدُودُه، ولا يوجدُ مجتمعٌ بشريٌّ على مرِّ التَّاريخِ إلا وكان فيه قانونُ عقوباتٍ، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُحِبُّ أن تُدرَأَ الحدودُ بالشُّبهاتِ،
وكان يُحِبُّ من العبدِ إذا أذنبَ أن يتوب بينه وبين اللهِ، وكان يُحِبُّ أن يتراحمَ النَّاسُ بينهم ولا يرفعُوا إليه ما يوجِبُ الحدَّ، أمَّا إن وصلتْهُ القضيَّةُ فحدودُ اللهِ واجبةٌ،
كان يُحِبُّ ألا يقيمَ الحدَّ لا من كراهيَّةٍ لها وإنَّما من حُبِّه ورحمتِه بالنَّاسِ،
واللهِ لو تعاملَ النَّاسُ بينهم بالرَّحمةِ لما وجدْنَا قضيَّةً في المحاكمِ!

118

«مَنْ تَرَكَ شَيْئاً للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْراً مِنْهُ»

الحَلَالَ يَفْعَلُهُ المُؤْمِنُ والكَافِرُ، والصَّالِحُ والطَّالِحُ، والبَرُّ والفَاجِرُ،
أَمَّا تَرْكُ الحَرَام فَلَا يَفْعَلُهُ إِلَا مَنْ كَانَ قَلْبُهُ خَالِصاً للهِ!
يَحْدُثُ أَنْ يَبْنِيَ صَاحِبُ المَرْقَصِ مَسْجِداً،
وَلَكِنَّ إِقْفَالَ المَرَاقِصِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ بِنَاءِ المَسَاجِدِ!
وَيَحْدُثُ أَنْ يُقِيمَ تَاجِرُ المُخَدِّرَاتِ مَوَائِدَ إِفْطَارٍ،
وَلَكِنَّ التَّوَقُّفَ عَنْ تِجَارَةِ المُخَدِّرَاتِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ تَفْطِيرِ الصَّائِمِينَ،
وَيَحْدُثُ أَنْ تُحَدِّثَكَ رَاقِصَةٌ عَنْ كَثْرَةِ حَجِّهَا وَعُمْرَتِهَا،
وَلَكِنَّ التَّوَقُّفَ عَنْ هَزِّ خَصْرِهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ عُمْرَةٍ!
كَانَ الأَوَائِلُ يَرونَ أَنَّ الدِّينَ فِي تَرْكِ الحَرَامِ،
أَكْثَر مِنْهُ فِي فِعْلِ الحَلَالِ!
وكَانَ مَالِكُ بن دِينَارٍ يَقُولُ: أَنْ يَتْرُكَ الرَّجُلُ دِرْهَماً مِن حَرَامٍ،
خَيرٌ لَهُ مِن أَن يَتَصَدَّقَ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ!

119
«لقد تابَتْ توبَةً!»

عندما رَجَمَ الصَّحابةُ الغامديَّةَ التي زَنَتْ،

نضخَ دمُها على وجهِ خالدٍ فسبَّهَا، فسمعَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ذلكَ،

فقالَ له: مهلاً يا خالد، فو الذي نفسِي بيده،

لقد تابتْ توبةً لو تابَها صاحبُ مُكْسٍ لغُفرَ له!

الحدودُ توبةٌ وكفَّارةٌ!

ومن أصابَ ذنباً يوجِبُ الحدَّ، فطُبِّقَ عليه، لم يسألْهُ الله عنه يومَ القيامةِ،

ومن أصابَ ذنباً يوجبَ الحدَّ فلم يُطبَّقْ عليه،

فهو تحتَ مشيئةِ اللهِ وعدْلهِ ورحمتِه إن شاءَ عاقبَ وإن شاءَ عفا،

وبكلِّ الأحوالِ فإنَّ الحدودَ ليستْ مُطبِّقةً في غالبِ بلادنا،

لهذا فإنَّ السَّترَ مطلوبٌ، فمن أذنبَ فليَتُبْ،

ولا يُحدِّثْ أحداً بذنبِه فإنَّ هذا من المُجاهرةِ!

وكلَّما كبرَ الذَّنبُ وجبَ أن تكبرَ معه الطاعاتُ والقُرباتُ والصّدقاتُ،

واللهُ عفوٌّ كريمٌ ما خلقنَا ليُعذّبنا،

ولكنَّه سبحانه وضعَ الحدودَ صيانةً للمجتمعِ، وحفاظاً على النَّاسِ!

120
«هَذه بتلْك»

اصْطَحَبَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّنَا عَائِشَةُ فِي إحْدَى غَزَوَاتِه،
فَلَمَّا كَانُوا فِي الصَّحْرَاءِ أَمَرَ الجَيْشَ أَنْ يَتَقَدَّمَ،
وَقَالَ لِعَائِشَةَ: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ!
وَكَانَتْ عَائِشَةُ يَومَذَاكَ صَغِيرَةَ السِّنِّ، قَلِيلَةَ الوَزْنِ، فَسَبَقَتْهُ!
ثُمَّ دَارَ الزَّمَانُ، وَكَبُرَتْ عَائِشَةُ قَلِيلاً، وَزَادَ وَزْنُهَا،
فَقَالَ لَهَا: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ!
فَتَسَابَقَا، فَسَبَقَهَا، فَقَالَ لَهَا مُبْتَسِماً: هَذِهِ بِتِلْكَ!
مَهْمَا كَثُرَتْ الانْشِغَالاتُ هُنَاكَ مُتَّسَعٌ لِلحُبِّ!
النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأْسِ الجَيْشِ فِي غَزْوَةٍ وَيُسَابِقُ زَوْجَتَهُ،
فَلَا تَتَذَرَّعْ بِكَثْرَةِ الانْشِغَالِ وَالأَعْمَالِ لِتُهْمِلَ زَوْجَتَكَ،
وَلَا تَتَذَرَّعِي بِالوَظِيفَةِ وَعَمَلِ البَيتِ لِتُهْمِلِي زَوجَكِ،
مَا قِيمَةُ الحَيَاةِ إِنْ مَاتَ فِيهَا الحُبُّ، وَذَهَبَ الاهْتِمَامُ؟!
مَا قِيمَةُ المَالِ إِنْ كَانَ بَدِيلاً عَنْ الحُبِّ؟!
وَمَا قِيمَةُ البُيُوتِ الفَاخِرَةُ إِنْ كَانَتْ كَالمَقَابِرِ بِلَا حَيَاةٍ؟!
لَيسَ غَيرُ الحُبِّ يُسَهِّلُ عَلَينَا عُبُورَ الطَّرِيقِ، فَلَا تَنْشَغِلُوا عَنْهُ!

الرِّجالُ الأسوياءُ شبِعُوا من الحُبِّ
وهم أطفال، لا تكونوا قُساةً، لا تصنعُوا
الوحوش في بيوتكِم ثم تشتكُوا منهم!

121
«اِسْجَعْ كسَجَعِ الجاهليَّةِ!»

عن المُغيرةِ بن شُعبة أنَّ ضرَّتين اقتَتَلتَا،

فضربتْ إحداهُما الأخرى ضربةً وهي لا تقصدُ قتلَها فماتتْ ومـاتَ جنينُها،

فقضَى النَّبيُّ ﷺ: بالدِّيةِ على القاتلةِ،

وبأَمةٍ مملوكةٍ كفَّارةَ الجنينِ الذي في بطنِها،

فقالَ قريبٌ للقاتلةِ: تُغرِّمنِي من لا شربَ ولا أكلَ؟!

فقال له النّبيُّ: اِسْجَعْ كسجعِ الكُهّان!

ثمَّ أمضى حكمَه ﷺ نحن عبيدٌ نُطيعُ ولسنا أرباباً نُشرِّعُ!

ما قضَى اللّه سبحانه به فهو العدلُ وإن لم نفهمْهُ،

وما وزَّعه بين النَّاسِ فهي الحكمةُ وإنْ لم تُعجبْنَا،

للذَّكرِ مثلُ حظِّ الأُنثيين هذا هو العدلُ وإن لم نُحِطْ به عِلماً، والسَّارقُ تُقطَعُ يدُه هذا هو الحقُّ وإنْ بدا الحكم بنظرة بشرية قاسياً، في كل أمرٍ من أوامر اللّه ضَعْ نُصبَ عينيكَ قاعدتين:

لا أحدَ أرحم من اللّه، ولا أحدَ أعدل من اللّه،

ثُمَّ بعد ذلك فكِّرْ وتأمَّلْ ولكن لا تخرجْ عنهما!

122
«لا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُم»!

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ الذِي يَنْظُرُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي الآخَرِينَ،
لَنْ يَجِدَ وَقْتاً لِيَسْتَمْتِعَ بِمَا فِي يَدِهِ،
وَأَنَّ أَشَدَّ الأَمْرَاضِ فَتْكاً هِيَ أَمْرَاضُ القُلُوبِ لِهَذَا قَالَ لأَصْحَابِهِ:
اُنْظُرُوا لِمَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُم، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُو فَوْقَكُم،
فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُم!
لَا تَنْظُرْ إِلَى صَاحِبِ السَّيَّارَةِ الفَخْمَةِ بَلْ إِلَى الذِي بُتِرَتْ قَدَمُهُ،
لَا تَنْظُرْ إِلَى صَاحِبِ القَصْرِ بَلْ إِلَى المُشَرَّدِينَ فِي الخِيَامِ،
لَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ يُسَافِرُ لِلإِجَازَةِ بَلْ إِلَى الذِي يَأْخُذُ جُرْعَةً كِيمْيَائِيَةً،
لَا تَنْظُر إِلَى الوَظَائِفِ المَرْمُوقَةِ بَلْ إِلَى الذِي يَغْسِلُ كِلْيَتَيهِ!
إِحْدَى مَشَاكِلِنَا نَحْنُ البَشَرُ أَنَّ عُيُونَنَا فَارِغَةٌ،
نَتَحَسَّرُ عَلَى مَا نَفْقِدُ مِنَ النِّعَمِ أَكْثَر مِمَّا نَشْكُرُ عَلَى مَا أَعْطَينَا مِنْهَا!
ثُمَّ مَا من إِنْسَانٍ إِلَّا وَيَنْقُصُهُ شَيءٌ، هَذِهِ دُنْيَا وَسِمَتُهَا النَّقْصُ،
وَلَكِنَنَا لَا نَرَى إِلَّا وَجْهاً وَاحِداً مِنَ الصُّورَةِ!

123
«ولكنِّي أُحبُّ الزّرعَ»

حدَّثَ النّبيُّ ﷺ يوماً أصحابَه فقالَ:

إنّ رجلاً استأذنَ ربَّه في الزّرع، يعنِي في الجنّة!

فقالَ له ربُّه: أولستَ فيما شئتَ؟

فقالَ: بلى، ولكنِّي أُحبُّ أن أزرعَ.

فبذرَ وحصدَ من ساعته فكانَ كأمثالِ الجبالِ.

فقالَ له اللّه: دونكَ يا ابنَ آدم فإنَّهُ لا يُشبعكَ شيءٌ!

فقالَ أعرابيٌّ عند النَّبيِّ ﷺ: واللهِ لا تجِدُه إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا،

وأما نحنُ فلسنَا أصحابَ زرعٍ!

فضحكَ النَّبيُّ ﷺ من فطانةِ الأعرابيِّ وجوابهِ!

بعضُ المواقفِ طريفةٌ فلا تأخذْها على محملِ الجَدِّ،

وبعضُ الكلامِ دُعابةٌ فلا تفتحْ لأجله حرباً،

وبعضُ الأحاديثِ استظرافٌ فلا تكُنْ قاضياً،

النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من قريش واستظرفَ ردَّ الأعرابيِّ،

الكثيرُ من مواقفِ الحياةِ لا تحتاجُ كلَّ هذا التعَصُّبِ!

124

«لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْراً لَكَ»!

عِنْدَمَا زَنَى مَاعِزٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذَهَبَ إِلَى صَدِيقِهِ هُزَالٌ الأَسْلَمِيِّ،
وَأَخْبَرَهُ بِالمَعْصِيَةِ التي ارتَكَبهَا، وبالجُرْمِ الذي اقْتَرفَهُ،
فَلَمْ يَعِظْهُ هُزَالٌ، وَلَمْ يَأْمُرهُ بالتَّوبَةِ، وَإِنَّمَا نَصَحَهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبيَّ ﷺ،
فَذَهَبَ مَاعِزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ زَنَى، والحُدُودُ إِذَا وَصَلَتْ إلى الإِمَام سَقَطَ فِيهَا العَفْوُ، فَأَمَرَ النّبيُّ ﷺ بِرَجْمِهِ،
ثُمَّ إِنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَقِيَ هُزَالاً بَعدَ ذَلِكَ،
فَقَالَ لَهُ: لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوبِكَ كَانَ خَيراً لَكَ!
لَا تُخْبِرْ أَحَداً بِمَعَاصِيكَ لَا مِن بَابِ الفَخْرِ وَلَا مِن بَابِ الشَّكْوَى،
الفَخْرُ بالمَعَاصِي مِن المُجَاهَرَةِ وكُلُّ النّاسِ مَعْفِيٌّ عَنهُ إِلّا المُجَاهِرُ،
وَالشَّكْوَى مُنَافِيَةٌ لِلسِتْرِ واللهُ تَعَالَى سِتِّيرٌ يُحِبُّ السِّتْرَ،
ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ تُعَيِّرُ وتَفْضَحُ، واللهُ يَغْفِرُ وَيَسْتُرُ!
حَدِّث العَاصِي عَنِ التَّوبَةِ، وَذَكِّرْهُ بِرَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ،
اُسْتُرْهُ وَلَوْ بِثَوْبِكَ وَلَا تَشْمَتْ بِعَاصٍ،
كُلُّنَا عُصَاةٌ وَمَا الفَرْقُ بَيْنَ عَاصٍ وَعَاصٍ إِلَّا سِتْرُ اللهِ!
وَلَا تَتَتَبَّعِ عَورَاتِ النَّاسِ فَيَتَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَكَ وَيَفْضَحُكَ بَيْنَ جُدْرَانِ بَيْتِكَ!

125
«ثُمَّ أمرَ له بعطَاءٍ!»

كانَ النَّبيُّ ﷺ يسيرُ رفقةَ أنسِ بن مالكٍ،
فجاء أعرابيٌّ فجبذَ النَّبيَّ ﷺ جبذةً شديدةً شقَّ بها رداءهَ،
واحَّمرتْ عُنقُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بفعلِ هذا،
ثم قالَ: يا محمَّد، مُرْ لي من مالِ اللهِ الذي عندكَ!
فالتفتَ إليه النَّبيُّ ﷺ، وضحكَ، ثم أمرَ له بعطَاءٍ!
النّاسُ عقولٌ، وطباعٌ، وبيئاتٌ، وأهواءٌ، ومشاربٌ،
وفي هذه الحياةِ ستلتقي بالذي يتكلَّمُ الكلمةَ دون أن يُفكِّرَ بها،
وبالذي يتصرَّفُ بوقاحةٍ، ومشكلتُه مع نفسه لا معكَ!
وبالذي يغضبُ لصغائرِ الأمُورِ، وهذا طبعُه لا حقيقة تصرُّفكَ،
البعض تنقُصُهم اللباقة، فلا تعتبرِ الأمرَ مسألةً شخصيَّةً،
والبعضُ تنقُصُهم التَّربيةُ، فلا تنظرْ إلى الأمرِ نظرةً فرديَّةً،
هذه الحياةُ تحلُو بالتَّغاضِي، وتصفُو بالتَّجاهلِ،
ليس بالضَّرورةِ أن يكون لكَ ردٌّ من جنسِ الفعلِ،
فلو عاملَ الإنسانُ كلَّ إنسانٍ بنوعِ فعلِه فما الفرقُ وقتَها بينَه وبينَه!

126

«لا، هُوَ حَرَامٌ»!

عن جابرِ بن عبدِ اللهِ أنَّه سمعَ النَّبيَّ ﷺ بمكَّةَ يومَ الفتحِ يقولُ:
إنَّ اللّه حرَّمَ بيعَ الخمرِ، والميتةِ، والخنزيرِ، والأصنامِ!
فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ شحومَ الميتَةِ؟
فإنَّه يُطلى بها السُّفنُ، ويُدهنُ بها الجلودُ، ويستضيءُ بها النَّاسُ!
فقالَ: لا، هو حرامٌ!
ثمَّ قالَ لهم: قاتلَ اللّهُ اليهودَ، إنَّ اللّهَ تعالى لمَّا حرَّمَ عليهم الشُّحومَ،
أذابُوه، ثم باعُوه، فأكلُوا ثمنَه!
إيَّاكَ والاحتيالِ على الله سبحانَه، فإنَّه لا يراكَ من أعلى وإنَّما يراكَ من الدَّاخلِ!

الرِّبى حرامٌ وإن اختلفتِ التَّسميةُ، وصار له عقدٌ ومعاملةٌ،
وحجابُ التَّبرُّجِ حرامٌ وإن صارَ شائعاً وموضةً،
والخمرُ حرامٌ وإن كثرتْ أنواعُه وتعدَّدتْ تسمياتهُ،
إنْ كنتَ تبحثُ عن غلافٍ للحرام فالأغلفةُ كثيرةٌ،
وإن كنتَ تبحثُ عن دِينٍ فهذا الدِّينُ واحدٌ!

127

«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ النَّقِيَّ الخَفِيَّ»!

لَيْسَ بِالضَرُورَةِ أَنْ تُوَثِّقَ كُلَّ خَيْرٍ تَفْعَلُهُ،
كَلَّفَ اللّٰه تَعَالَى المَلَائِكَةَ بِهَذِهِ المَهَمَّةِ فَاسْتَرِحْ!
أَحَبُّ الأَعمَالِ إِلَى اللّٰه عِبَادَاتِ الخَفَاء،
وَكَانَ الأَوَائِلُ يُخَبِّئُونَ حَسَنَاتِهِم كَمَا يُخَبِّئُونَ مَعَاصِيهِم!
كَانَ فِي جَيْشِ هَارُونَ الرّشِيد عِشْرِينَ أَلْف مُجَاهِد،
لَا يَكْتُبُونَ أَسْمَاءَهُم فِي دِيوَانِ الجُنْدِ كَي لَا يَعْرِفُهُم أَحَدٌ إِلَّا اللّٰه!
وَفِي القُرْآنِ لَم يُسَمِّ اللّٰه لَنَا إِلَّا خَمْسَةً وعِشْرِينَ نَبِيّاً،
آلافُ الأَنْبِيَاءِ لَم يَحَدِّثْنَا عَنْهُم، وَلَكِنَّهُم أَنْبِيَاء!
اِطْمَئِنْ: حَتَّى وَإِنْ لَم يُذْكَرِ اسْمُكَ، اللّٰه يَعْرِفُكَ!

128
«أَيُّكم مُحمَّدٌ؟!»

يقولُ أنسُ بن مالكٍ: نُهينا أن نسألَ النَّبيَّ ﷺ عن شيءٍ، فكان يُعجبُنا أن يأتيَ الرَّجلُ العاقلُ من الباديةِ فيسألُه، ونحن نسمعُ!

وبينما نحن جلوسٌ مع النَّبيِّ ﷺ في المسجدِ،
دخلَ رجلٌ من أهلِ الباديةِ فقالَ: أيكُّم مُحمَّد؟!
فقلنَا: هذا الرَّجلُ الأبيضُ المتَّكِئُ!
إنَّه التَّواضعُ في أنصعِ صورةٍ،
لا مظاهرَ مُلكٍ، ولا صولجانَ، ولا رياسةَ،
واحدٌ من أصحابِه لا يعرفُه الغريبُ من بينِهم إلا إذا دُلَّ عليه!
الأناقةُ مطلوبةٌ وليس من التَّواضعِ أن يكون المرءُ رثًّا،
والترتيبُ حلوٌ وليس من التَّواضعِ أن يكون المرءُ مبتذلاً،
وإنَّما التَّواضعُ ألّا تتطاولَ على النَّاسِ بنعَمِ اللهِ!

129

«ذَرُونِي ما تركتُكُم!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً وهو يخطبُ النَّاسَ:

يا أيها النَّاسُ، قد فرضَ اللهُ عليكم الحجَّ فحُجُّوا.

فقالَ رجلٌ: أكلَّ عام يا رسولَ اللهِ؟!

فسكتَ النَّبيُّ صلىً اللهُ عليه وسلم، وجعلَ الرَّجلُ يُردِّدُها ثلاثاً،

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لو قلتُ نعم لوجبَتْ، ولما استطعتُم!

ذرُونِي ما تركتكُم، فإنَّما هلكَ من كان من قبلكُم بكثرةِ سؤالِهم، واختلافِهم على أنبيائهِم!

فإذا أمرتُكم شيءٍ فأتُوا منه ما استطعتُم، وإذا نهيتكُم عن شيءٍ فدعُوه!

الأعرابيُّ أمره هيِّنٌ مقارنةً بالذين يغوصُون في تفاصيلَ لا طائلَ منها،

يريدُ أحدُهم أن يعرفَ ما اسمُ زوجةِ ابليس!

والآخرُ يسألُ ما نوعُ الحوتِ الذي ابتلعَ يونس!

والثَّالثُ يبحثُ عن فصيلةِ الكلبِ الذي رافقَ فتيةَ الكهف!

ولا أستغربُ أن يسألَ رابعٌ عن نوعِ الحطبِ الذي أشعلُوه لحرقِ إبراهيمَ عليه السَّلام، أو أن يسألَ خامسٌ من أيِّ شجرةٍ كانت عصا موسى عليه السَّلام، يتركُون أهمَّ ما في المعجزةِ، وهي العبرةُ منها، وينشغلون بالقُشُورِ، وكأنَّ أحدَهم لو عثرَ على عصا موسى عليه السَّلام يمكنه أن يشقَّ البحرَ بها!

130
«لَوْ أَنَّكُم تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه»!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوماً لأَصْحَابِه: لَو أَنَّكُم تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه، لَرَزَقَكُم كَمَا يَرْزُقُ الطَّيرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً!
والأَخْذُ بِالأَسْبَابِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ، بَلْ إِنَّ قِمَّةَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ هِيَ فِي الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ!

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أكثر النَّاس توكُّلاً على الله، وكان أكثر النَّاس أخذًا بالأسباب لأنَّه يعلم أنّ للكونِ سُنناً وقوانين، يوم الهجرة اصطحبَ معه دليلاً يرشده إلى الطريق،

ولم يقل أنا نبيٌّ وسأصلُ على أيّةِ حالٍ،

ويوم أُحدٍ لبس درعين لا درعاً واحداً،

ولم يقلِ الأعمارُ بيد الله وما فائدة الدُّروع،

نحن نتعبَّدُ الله بالأخذ بالأسباب لكننا لا نضعُ يقيننا عليها،

نؤمنُ أنَّ اللهِ هو الشَّافي ولكن من الحمق عدم قصد الطبيبِ عند المرض،

ونؤمنُ أنَّ الله هو الرَّازق ولكن من الحمق ترك العمل،

التَّوكل على الله في أبلغ تشبيهاته كعمل الفلاح،

حرثُ الأرض، وبذرُها، وريُّها، ثم سؤال الله أن تنبت!

131

«سبحان الله، لا تطيقه»!

عَادَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ لِمَرَضٍ أَصَابَهُ، وَانْتَبهَ لِشدَّةِ مَرَضِه، فَقَالَ لَهُ: أَكُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ؟! فَقَالَ: نَعَم، كُنْتُ أَقُولُ: اللهمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا!

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ اللهِ، لَا تُطِيقُهُ، أَفَلَا قُلْتَ: اللهمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، فَدَعَا الرَّجُلَ بِهَا، فَشَفَاهُ اللهُ!

القَدَرُ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُسِيءُ الدُّعَاءَ!

الرَّجُلُ دَعَا بِعَذَابِ الدُّنْيَا بَدَلَ الآخِرَةِ، مَا ضَرَّهُ لَو سَأَلَ اللهَ العَافِيَةَ فِيهِمَا؟!

يَمْرَضُ وَلَدٌ، فَتَدْعُو أُمُّه، اللهمَّ خُذْ مِن عَافِيَتِي لَهُ!

وَكَأَنَّ خَزَائِنَ اللهِ مِنَ العَافِيَةِ نَفَدَتْ! سَلِي اللهَ العَافِيَةَ لَكِ ولابْنِكِ!

تَكْسِرُ البِنْتُ صَحْناً، فَتَقُولُ أُمُّهَا: كَسَرَ اللهُ قَلْبَكِ!

يَتَشَاجَرُ الأَوْلَادُ فَتَدْعُو أُمُّهُم: رَبِّ يَغْضَبُ عَلَيْكُم!

الدُّعَاءُ الخَارِجُ مِنَ اللِّسَانِ كَالرَّصَاصِ الطَّائِشِ قَدْ يُصِيبُ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ!

فَأَمْسِكُوا أَلْسِنَتَكُم يَرْحَمُكُم اللهُ!

132
«أَطِبْ مَطْعَمَكَ»

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ أَنَّ سَعْدَ بن أَبِي وَقَّاص قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:
يَا رَسُولَ اللّٰه، ادْعُ اللّٰه أَن يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَة،
فَقَالَ لَهُ: يَا سَعْد، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَة!
والحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ كَلَامٌ إِلَّا أَنَّهُ يُوَافِقُ شَيْئاً فِي الأَثَرِ!
جَاءَ فِي الأَثَرِ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ: أَوْصِنِي،
فَقَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى رَغِيفِكَ من أَيْنَ هُوَ!
وَأَقْوَى مِنْهَا حَدِيثُ الرَّجُلِ الأَشْعَثِ الأَغْبَرِ الذِي يُطِيلُ السَّفَرَ وَيَدْعُو، يَا رَبُّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ!
لَا شَيْءَ أَحْجَبُ لِلدُّعَاءِ مِنْ مَالِ حَرَام،
المِيرَاثُ الذِي تَسْتَأْثِرُ بِهِ وَحْدَكَ مَالٌ حَرَامٌ،
وَالرِّشْوَةُ التِي تَتَلَقَّاهَا فِي العَمَلِ مَالٌ حَرَامٌ،
والعَمَلُ الذِي لَا تُنْجِزُهُ بِحَسَبِ المُوَاصَفَاتِ مَالٌ حَرَامٌ،
والبِضَاعَةُ التِي تَغُشُّ فِيهَا مَالٌ حَرَامٌ،
فَإِذَا مَا حُجِبَ الدُّعَاءُ فَانْظُرُوا إِلَى أَرْغِفَتِكُم مِنْ أَيْنَ هِي،
اجْعَلُوهَا حَلَالاً ثُمَّ سَتَرَونَ أَدْعِيَتَكُم تَتَحَقَّقُ كَأَنَّهَا فَلَقُ الصُّبْحِ!

133
«دُلُونِي عَلَى قَبْرِهَا»!

كَانَتْ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ تُنَظِّفُ المَسْجِدَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ،
فَمَاتَتْ، وَكَأَنَّهُم اسْتَصْغَرُوا شَأْنَهَا فَدَفَنُوهَا وَلَمْ يُخْبِرُوهُ بِأَمْرِهَا!
ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَدَهَا، فَسَأَلَ عَنْهَا،
فَقَالُوا: مَاتَتْ يَا رَسُولَ اللهِ!
فَقَالَ: أَفَلَا كُنْتُم آذَنْتُمُونِي، دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا!
فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا!
مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ أَنَّهُم جَعَلُوا المَوْتَ طَقْساً مِن طُقُوسِ المُجَامَلَةِ،
إِذَا مَاتَ لِأَحَدِ أَصْحَابِ الجَاهِ قَرِيبٌ مَشَى الجَمِيعُ فِي جَنَازَتِهِ،
وَإِذَا مَاتَ المِسْكِينُ البَسِيطُ لَم يُشَيِّعْهُ إِلَا قَلِيلٌ!
رَوَى ابنُ الجَوْزِيِّ فِي عُيُونِ الأَخْبَارِ أَنَّهُ مَاتَتْ خَادِمَةُ كَبِيرِ القُضَاةِ،
فَجَاءَ التُّجَّارُ، والأَعْيَانُ، وَوُجَهَاءُ البَلَدِ يُعَزُّونَهُ بِهَا،
وَلَمّا مَاتَ كَبِيرُ القُضَاةِ لَمْ يَمْشِ فِي جَنَازَتِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ،
فَقَدْ كَانُوا يُبَارِكُونَ لِكَبِيرِ القُضَاةِ الجَدِيدِ مَنْصِبَهُ!

134
«لتَرِكْتُهُمْ لَه»!

عندما رُجِمَ النَّبيُّ ﷺ في الطّائفِ عاد إلى مكة، فمُنِعَ من دخولها،
لا القريبُ قبلَ دعوته، ولا الغريبُ كفَّ عنه الأذى،
عندها طلبَ النبي ﷺ من مطعم بن عديٍّ أن يُجيره ليدخلَ مكَّة،
فأجاره مطعمُ بن عديٍّ، وأدخله مكَّة تحت حمايته،
ثم كانتْ غزوةُ بدرٍ، فاستعرضَ النَّبيُّ ﷺ أسرى قريشٍ وقال:
لو كان مطعمُ بن عديٍّ حيًّا وكلمني في هؤلاءِ النَّتنى لتركتهم له!
العبدُ تُقيِّده السَّلاسلُ، أمَّا الحرُّ فيقيِّده المعرُوف!
فكُنْ حُرًّا ولا تنسَ معروفاً أُسديَ إليك،
صحيحٌ أنَّ الذي يفعلُ المعروفَ في الغالبِ لا ينتظرُ سداداً،
ولكن من العارِ أن تنسى أنت!

135

«إنَّ أباها كان يدعُو إلى مكارمِ الأخلاق»!

مرَّ النَّبيُّ ﷺ بأسرى طيء، فقامت امرأةٌ من السَّبي فقالتْ له:
يا محمد، إنْ رأيتَ أن تُخلِّي عني ولا تشمِّتْ بي العرب،
إنَّ أبي كان سيِّدَ قومِه، يفُكُّ العّاني، ويعفُو عن الجّاني،
ويُفرِّجُ عن المكرُوبِ، ويُعينُ على نوائبِ الدَّهرِ، وما جاءَه أحدٌ فردَّهُ خائبًا،
أنا سَفَّانةُ بنتُ حاتمِ الطائيِّ!
فقال لها: هذه صِفاتُ المؤمنينَ حقّاً، ولو كانَ أبُوكِ مُسلمًا لترحَّمنا عليه!
خَلُّوا عنها، فإنّ أباها كان يدعُو إلى مكارمِ الأخلاق!
دِينُكَ لَيْسَ فِي مسجدكَ وإنّما في متجركَ ووظيفتكَ،
دِينُكَ لَيْسَ فِي صيامكَ وإنّما في ذلِّك لوالديك،
دِينُكَ لَيْسَ فِي حجِّكَ وإنما في أخلاقكَ مع جيرانكَ،
دِينُكَ لَيْسَ فِي سِوَاكِكَ وإنّما في تعاملكَ مع زوجتكَ،
وأخلاقُك الحقيقيَّةُ ليست مع مديركَ وإنّما مع العمَّال المساكين،
صحيح أنَّ الأخلاقَ كلها لا تشفعُ للمرء إن كان كافراً،
ولكن الإيمان بلا أخلاقٍ هو إيمانٌ أعرج!

مُخْطِئٌ من يعتقدُ أَنَّهُ بالقَسوةِ
يمكن تطويعَ امرأةٍ،
المرأةُ لا يروِّضُهَا إلا الحُبُّ!
ولا تمتلكُ إلا من قَلْبِهَا!

136
«ليلقينَّ اللهَ أحدُكُم وليسَ بينَه وبينَه تُرجُمَان»

لا تُعلِّقْ فسادَكَ على شمَّاعةِ أحد،
المكانُ لم يكُنْ يوماً عثرةً في وجهِ أحدٍ،
في قصرِ فرعون كان هناك رجلٌ يكتمُ إيمانه!
والزَّمانُ لم يكُنْ يوماً عثرةً في وجهِ أحدٍ،
آمنَ الصَّحابةُ في الجاهليَّةِ زمن الوأدِ والرِّبا وعبادةِ الأصنام!
والزَّوجُ لم يكُنْ يوماً عثرةً،
المرأةُ التي بنى اللهُ لها بيتاً في الجنَّةِ كانتْ زوجةَ فرعون!
والزَّوجةُ لم تكُنْ يوماً عثرةً،
في بيتِ نوحٍ ولوطٍ عليهما السَّلام كان يوجدُ زوجاتٌ كافراتٌ!
المكانُ يساعدُ، والزَّمانُ يُعينُ،
ولكن صلاحكَ وفسادكَ أوَّلاً وآخراً مرهُونٌ بكَ وحدكَ!

137

«لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»!

كَانَ النَّبيُّ ﷺ يمشي لَيلاً فِي طُرقَاتِ المَدينَة،
فَسَمِعَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ يَقْرَأُ القُرْآنَ فِي دَارِه، فَأُعجِبَ بِصَوتِه، وَوَقَفَ يَسْتَمِعُ إِلَى تِلَاوَتِه، فَلَمَّا انْتَهَى أَبُو مُوسَى أَكْمَلَ النَّبيُّ ﷺ طَرِيقَهُ، وَفِي الصَّبَاحِ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى، لَو رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البَارِحَة، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ!
الثَّنَاءُ عَلَى قُدرَاتِ الآخَرِينَ من خُلُقِ الأَنْبِيَاءِ ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾،
وَنُكْرَانُ مَزَايَاهُم من خُلُقِ إِبْلِيسَ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾،
أَثْنِ عَلَى زَمِيلِكَ الذِي أَنْجَزَ عَمَلاً رَائِعاً،
أَخْبِرْ صاحِبَ البَيتِ أَنَّ بَيْتَهُ جَميلٌ مُرَتَّبٌ، وَادْعُ لَهُ بِالبَرَكَةِ،
أَشِدْ بِالفِكْرَةِ الحُلْوَةِ، وَصَفِّقْ لِلأُسْلُوبِ العَذْبِ،
عِنْدَمَا لَا تَرَى نَفْسَكَ قَزَماً إِذَا تَفَوَّقَ النَّاسُ،
فَأَنْتَ صَاحِبُ قَلْبٍ سَلِيم،
وَإِذَا كَانَتْ نَجَاحَاتُ النَّاسِ، وَتَفَوُّقُهُم يُشْعِرُونَكَ بِالنَّقْصِ،
فَعَلَى الفَوْرِ رَاجِعْ قَلْبَكَ!

138
«أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟!»

اِخْتَلَفَ بِلَالٌ وأَبُو ذَرٍّ، فَغَضِبَ أَبُو ذَرٍّ مِنْ بِلَالٍ،
وَقَالَ لَهُ: يَا ابنَ السَّودَاءِ!
فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَشَكَا أَبَا ذَرٍّ عِنْدَهُ، فَاسْتَدْعَى النَّبِيُّ ﷺ أَبَا ذَرٍّ عَلَى جَنَاحِ السُّرْعَةِ، وَقَالَ لَهُ: أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ!

اِعْتِقَادُ البَعْضِ أَنَّهُم أَفْضَلُ مِن الآخَرِينَ لِأَنَّهُم يَنْتَمُونَ إِلَى قَبِيلَةٍ مَا جَاهِلِيَّةٌ، اِعْتِقَادُ البَعْضِ أَنَّهُم أَفْضَلُ مِن الآخَرِينَ لأَنَّ لَهُم وَظِيفَةً مَرْمُوقَةً جَاهِلِيَّةٌ، اِعْتِقَادُ البَعْضِ أَنَّهُم أَفْضَلُ مِن غَيْرِهِم لأَنَّهُم يَحْمِلُونَ شَهَادَةً جَاهِلِيَّةٌ.

كَنَّاسُ الطَّرِيقِ قَدْ يَكُونُ بِدِينِهِ وَأَخْلَاقِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ طَبِيبٍ، وَطَبِيبٌ بِأَمَانَتِهِ وَرَحْمَتِهِ قَدْ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ أَلْفِ دَاعِيَةٍ، والذِي يَعْمَلُ بِوَظِيفَةٍ يَرَاهَا النَّاسُ وَضِيعَةً لَيسَ بِالضَّرُورَةِ وَضِيعاً، والذِي يَتَقَلَّدُ مَنْصِباً مَرْمُوقاً لَيسَ بِالضَّرُورَةِ شَخْصاً مَرْمُوقاً، لَا تُصَنِّفُوا النَّاسَ بِأَلْوَانِهِم، وَعَائِلَاتِهِم، وَوَظَائِفِهِم، هَذِهِ مُجَرَّدُ أَدْوَارٍ فِي الحَيَاةِ لَيسَ إِلَّا،

قِيمَةُ النَّاسِ الحَقِيقِيَّةِ كَيفَ هُمْ عِندَ اللهِ، وَوَحْدَهُ اللهُ يَعْلَمُ،
أَمَّا مَعَ النَّاسِ فَالأَدَبُ مَطْلُوبٌ،
وَالاحْتِرَامُ وَاجِبٌ، والخُلُقُ فَرِيضَةٌ!

139

«فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوضِ»!

هَذَا أَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي التَّثْبِيتِ فِي تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ،
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الحَالُ، وَارْتَشَى النَّاسُ مِنْ حَولِكَ،
تَخَيَّلِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَكَ: اصْبِرْ حَتَّى تَلْقَانِي عِنْدَ الحَوْضِ!
وَإِذَا نَزَلَ بِكَ مَرَضٌ أَوْجَعَكَ، وَأَنْهَكَ قِوَاكَ،
تَخَيَّلِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَكَ: اصْبِرْ حَتَّى تَلْقَانِي عِنْدَ الحَوْضِ!
وَإِذَا خُلِعَ الحِجَابُ حَولَكِ إِظْهَاراً لِأُنُوثَةٍ أَو طَمَعاً بِعَرِيسٍ،
تَمَسَّكِي بِدِينِكِ، وَتَخَيَّلِي النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَكِ: اِصْبِرِي حَتَّى تَلْقِينِي عِنْدَ الحَوْضِ!

إِذَا ظَلَمَكُم الأَقْرَبُونَ، وَهَجَرَكُم المُحِبُّونَ، وَقِيلَ فِيكُم مَا لَيسَ فِيكُم، تَخَيَّلُوا النَّبِيَّ ﷺ يُعَزِّيكُم: اِصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَونِي عِنْدَ الحَوْضِ!

إِذَا تَزَيَّنَتْ لَكُم المَعَاصِي، وَرَاوَدَتْكُم الدُّنْيَا عَنْ دِينِكُم،
تَذَكَّرُوا أَنَّهَا فَانِيَةٌ، وَأَنَّهَا دَارُ عُبُورٍ لَا دَارَ مُقَامَةٍ،
وَلْيَكُنْ عَزَاؤُكُم فِي رِحْلَةِ العُمْرِ كُلِّهَا، اِصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَونِي عِنْدَ الحَوْضِ!

140
«يَعْمِدُ أَحَدُكُم إِلَى جَمْرَةٍ مِن نَارٍ»!

رَأَى النَّبِيُّ ﷺ خَاتَماً مِن ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ،
فَنَزَعَهُ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ طَرَحَهُ أَرْضاً وَقَالَ:
يَعْمِدُ أَحَدُكُم إِلَى جَمْرَةٍ مِن نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!
فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ أَنْ مَضَى النَّبِيُّ ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ!
فَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا آخُذُهُ وَقَدْ طَرَحَهُ النَّبِيُّ ﷺ.
يَا لِلتَّسْلِيمِ مَا أَعْذَبَهُ، وَيَا لِلاقْتِدَاءِ مَا أَحْلَاهُ،
طَرَحَ النَّبِيُّ ﷺ الرِّبَا أَرْضاً فَهَلْ تَرَكْنَاهُ؟
وَقُلْنَا سَمْعاً وَطَاعَةً، الحَلَالُ يَكْفِي وَإِنْ قَلَّ، وَالحَرَامُ لَا يُشْبِعُ وَإِنْ كَثُر،
طَرَحَ النَّبِيُّ ﷺ قَطْعَ الأَرْحَام أَرْضاً،
فَهَلِ امْتَثَلْنَا، فَتَغَاضَيْنَا مَرّةً، وَتَجَاهَلْنَا مَرَّةً كَي لَا يَذْهَبُ الودُّ!
طَرَحَ النَّبِيُّ ﷺ الإِسَاءَةَ إِلَى الزَّوْجَة أَرْضاً،
فَهَلِ اتَّبَعْنَا، فَصَبَرْنَا، وَتَجَاهَلْنَا، وَأَحْبَبْنَا، وَأَكْرَمْنَا، وَدَلَّلْنَا؟!
طَرَحَ النَّبِيُّ ﷺ الإِسَاءَةَ لِلزَّوجِ أَرْضاً،
فَهَلْ أَطَعْنَا، فَاحْتَرَمْنَا، وَقَدَّرْنَا، وَوَقَّرْنَا، وَلِنَّا؟!
حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ فِي طَاعَتِهِ، وَكُلُّ حُبٍّ لَا طَاعَةَ فِيهِ مَنْقُوصٌ!

141

«اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ»!

قَالَ النَّبيُّ ﷺ لِرَجُلٍ يَعِظُهُ: اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ،
شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ،
وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ!
تَلَذَّذُوا بِالسُّجُودِ وَأَنْتُم أَقْوِيَاءَ، ضَعُوا جِبَاهَكُم عَلَى الأَرْضِ،
قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِكُم العُمْرَ وَتُصَلُّونَ عَلَى الكَرَاسِي!
تَلَذَّذُوا بِالحَجِّ وَأَنْتُم أَقْوِيَاءَ، طُوفُوا، وَاسْعَوا، وَارْجُمُوا،
قَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ الصِّحَّةُ وَيُطَافَ بِكُم عَلَى الكَرَاسِي!
اِشْبَعُوا مِنَ الصِّيَامِ وَأَنْتُم أَصِحَّاءَ، فَرْضاً وَتَطَوُّعاً،
قَبْلَ أَنْ يُبَاغِتَكُم الضَغْطُ والسُّكَّرِيُّ وَمَرَضُ القَلْبِ فَتَدْفَعُوا الكَفَّارَاتِ،
تَلَذَّذُوا بِالصَّدَقَةِ وَأَنْتُم لَكُم وَظَائِفٌ وَرَوَاتِبٌ وتِجَارَاتٌ،
قَبْلَ أَنْ تُحَالُوا عَلَى التَّقَاعُدِ، وَيَنْزِلَ بِكُم حِرْصُ آخِرُ العُمْرِ!
نِعْمَ سُجُودُ المَرِيضِ عَلَى الكُرْسِيِّ فَإِنَّ اللّه يَقْبَلُهُ،
وَنِعْمَ حَجُّ العَاجِزِ عَلَى الكُرْسِيِّ فَإِنَّ اللّه يَقْبَلُهُ،
وَنِعْمَ كَفَّارَةُ المَرِيضِ فَإِنَّ اللّه يَرضَاهَا،
وَلَكِنْ فِي أَدَاءِ العِبَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا لَذَّةٌ لَنْ يَعْرِفَهَا إِلَّا مِن فَقَدَهَا!

142
«إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا»!

حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَامْتَثَلَ الصَّحَابَةُ،
فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُم فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ،
فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: هَذَا مُرَاءٍ!
وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ مِن تَمْرٍ،
فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا!
هُنَاكَ فِئَةٌ لَا عَمَلَ لَهَا إِلَّا التَّنْظِير، وَالدُّخُول فِي نَوَايَا النَّاسِ!
الشَّابُّ الذِي يَرتَادُ المَسَاجِدَ، وَيَحْفَظُ القُرْآنَ، عِنْدَهُم مُعَقَّدٌ!
وَالفَتَاةُ التِي تَلْتَزِمُ بِالحِجَابِ عِنْدَهُم جَاهِلَةٌ بِالمُوضَةِ، «وَدَافِنَةٌ نَفْسَهَا»!
الذِي يَقْضِي وَقْتاً فِي القِرَاءَةِ وَتَطْوِيرِ نَفْسِهِ عِنْدَهُم مُنْطَوٍ،
التِي تَصْنَعُ الحَلْوَى فِي بَيْتِهَا بَخِيلَةٌ،
والذِي يَحْتَرِمُ وَالِدَيْهِ وَلَا يُخَالِفُهُمَا عِنْدَهُم ضَعِيفُ شَخْصِيَّةٍ،
هَكَذَا هُم دَوماً يَبحَثُونَ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ عَن رَذِيلَةٍ هِيَ أَسَاساً فِي أَنْفُسِهِم،
هَؤُلَاءِ مَرْضَى لَا تُعَاشِرُوهُم، وَلَا تُجَالِسُوهُم، وَلَا تُصَاحِبُوهُم،
أُهْرُبُوا مِنهُم كَمَا تَهْرُبُونَ مِنَ الطَّاعُونِ والجُذَامِ فَإِنَّ الأَفْكَارَ مُعْدِيَةٌ!

143
«إِنَّكُم سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا»!

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يُحَدِّثَ أَصحَابَهُ عَمَّا سَيَقَعُ فَقَالَ لَهُم:
إِنَّكُم سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيرَاطُ،
فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُم ذِمَّةً وَرَحِماً وَصِهْراً!

فَأَمَّا الرَّحِمُ الذي قَصَدَهُ فَلِكَوْنِ هَاجَر أُمِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْ مِصْرَ،
وَأَمَّا الصِّهْرُ فَلِكَوْنِ أُمِّنَا مَارِيَة مِن هُنَاكَ!
«لأَجْلِ عَيْنٍ أَلْفُ عَيْنٍ تُكْرَمُ»!
لأَجْلِ هَاجَر يَجْعَلُ بَلَداً كَامِلاً رَحِماً وَيَأْمُرُ بِصِلَتِه،
وَلأَجْلِ مَارِيَة يَجْعَلُ مَلَايِينَ النَّاسِ أَصْهَاراً وَيَأْمُرُ بِإِكْرَامِهِم،
ثُمَّ يَأْتِيكَ مَنْ يَقُولُ: الإِسْلَامُ قَد امْتَهَنَ المَرْأَة!
وَهَلْ هُنَاكَ دِينٌ عَلَى الأَرْضِ يُكْرِمُ بَلَداً كَامِلاً لأَجْلِ امْرَأَةٍ؟
وَحْدَهُ الإِسْلَامُ العَظِيمُ يَفْعَلُ هَذَا الوَفَاءَ،
وَلَكِنْ كَمَا تَقُولُ العَجَائِزُ: مَنْ لَا يَرَى مِنَ الغِرْبَالِ فَهُوَ أَعْمَى!

144
«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ»!

خَطَبَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ امْرَأَةً مِن مَكَّة اسْمُهَا أُمُّ قَيْسٍ،
كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ، وَهَاجَرَتْ، ووافقت على الخطبة،
وَاشْتَرَطَتْ عَلَيهِ أَن يُهَاجِرَ إلى المَدِينَةِ فَهَاجَرَ لِأَجْلِهَا فَقَط،
فَكَانَ أَهْلُ المَدِينَةِ يُلَقِّبُونَهُ بِمُهَاجِرِ أُمِّ قَيْسٍ!
وَهَذِهِ الحَادِثَةُ هِيَ سَبَبُ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الشَّهِيرِ:
إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى!
قَدْ تَتَشَابَهُ الأَفْعَالُ وَمَا بَينَ النَّوَايَا كَمَا بينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ،
يُوسُفُ عَلَيهِ السَّلَام وَزُلَيخَةُ اسْتَبَقَا البَابَ،
أَحَدُهُمَا كَانَ يَهْرُبُ مِنَ المَعْصِيَةِ، وَالآخَرُ كَانَ يَرْكُضُ وَرَاءَهَا!
تَتَحَجَّبُ امْرَأَةٌ للهِ، وَأُخْرَى لِعرِيسٍ لَا يُرِيدُ إِلَّا مُحَجَّبَة،
يَذْهَبُ رَجُلٌ إِلَى المَسْجِد للهِ،
وَآخَرُ لِيَرَاهُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَخْطُبَ ابْنَتَهُ،
يَزُورُ رَجُلٌ مَرِيضاً للهِ، وَيَزُورُهُ آخَرُ لِأَجْلِ دُنْيَا يَصِيبهَا،
حَتَّى المَلَائِكَةُ لَا تَعْلَمُ النَّوَايَا، وَحْدَهُ اللهُ يَرَانَا مِنَ الدَّاخِلِ،
وَسَيُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا نَوَى!

145

«ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»!

فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً مُشْرِكاً يُثْخِنُ بِالمُسْلِمِينَ،
فَتَنَاوَلَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، وَأَعْطَاهُ لِسعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ لِأَنَّهُ كَانَ رَامِياً،
وَقَالَ لَهُ: ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي!
فَأَخَذَ سَعْدٌ السَّهْمَ وَرَمَى بِهِ المُشْرِكَ فَأَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ،
فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ!
التَّشْجِيعُ وَالتَّحْفِيزُ يُخْرِجَانِ أَفْضَلَ مَا فِي النَّاسِ،
تَمَاماً كَمَا أَنَّ الانْتِقَادَ الدَّائِمَ يُصِيبُهُم بِالإِحْبَاطِ،
وَيَقْتُلُ فِيهِمُ الإِبْدَاعَ، وَيُطْفِئُ فِيهِمِ الدَّافِعِيَّةَ،
رَغْمَ أَنَّ الوَقْتَ حَرْبٌ، وَالمَعْرَكَةَ عَلَى أَشُدِّهَا دَائِرَةٌ،
إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُشَجِّعُ صَاحِبَهُ وَيُحَمِّسُهُ،
فَلِينُوا، وَشَجِّعُوا، وَحَفِّزُوا، يُعْطِيكُم الآخَرُونَ أَقْصَى طَاقَاتِهِم!

146
«بَلْ لكُمْ جَمِيعاً»!

كان أحدُ الصَّحابةِ يُحِبُّ ابنَه حُبًّا شديداً، ويحضرُه معه إلى مجلسِ النَّبيِّ ﷺ، فانقطعَ هذا الصَّحابيُّ عن مجلسِ النَّبيِّ ﷺ فسألَ عنه،

فقالُوا: ابنُه الذي كنتَ تراه معه قد ماتَ!

فلقيَه النَّبيُّ ﷺ وعزَّاه به، ثم قالَ: أيهُّما أحبُّ إليكَ، أن تُمتَّعَ به بقيَّةَ عمركَ، أو تأتيَ بابَ الجنَّةِ فتجدُه قد سبقكَ يفتحُ لكَ؟!

فقالَ: بل يسبقني إلى بابِ الجنَّةِ فيفتحُه لي!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: فذاكَ لكَ!

فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، له خاصَّةٌ أمْ لنا جميعاً؟!

فقالَ: بل لكُمْ جميعاً!

من أبلغِ ما قالته العربُ: فقدُ الأحبِّةِ غُربة!

يملأُ عليكَ ابنُكَ الدَّارَ حياةً ثم تفقده، فيا للوجعِ!

وتُؤنسُ ابنتكَ قلبكَ ثم تفقدها، فيا للألمِ!

تمطرُ أمُّكَ عليكَ حناناً ثم تموتُ، فيا للوحشةِ!

يسندكَ أبوكَ عمراً ثم يمضي، فيا للخسارةِ!

يكون لكَ حبيبٌ هو مهجةُ قلبكَ فيحُولُ الموتُ بينكما، فيا للغربةِ!

ولكنَّها دارَ فُرقةٍ، وفقدٍ، ودمعٍ، وحسرةٍ، وامتحانٍ، فإيَّاكَ أن تتسخَّطَ، وتعزَّ بقولِ النَّبيِّ صلى اللّٰه عليه وسلم: تجدُه عند بابِ الجنَّةِ قد سبقكَ يفتحُ لكَ!

147
«أُمُّ العيالِ، وَرَبَّةُ البيْتِ»!

روى ابنُ سَعْدٍ في الطَّبقاتِ:
بعدما ماتتْ خديجةُ بنتُ خويلدٍ جاءتْ خولةُ بنتُ حكيمٍ إلى النَّبيِّ ﷺ،
وقالتْ له: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أراكَ قد دخلتْكَ خَلَّةٌ / حزنٌ لفقدِ خديجة،
فقالَ لهَا: أجل، أمُّ العيالِ، وربَّةُ البيتِ!
فقالتْ: أفلا أخطبُ لكَ!
قالَ: بلى، إنكنَّ معشرَ النِّساءِ أرفقُ بذلك!
فخطبتْ له عائشةَ بنت أبي بكرٍ الصِّديق!
في كلِّ قلبٍ جرحٌ يظهرُ على الوجهِ رغماً عنَّا،
كنْ لمَّاحاً، أبسطُ العلاماتِ ستخبركَ بالحكايةِ كلِّها!
وخُذْ عندكَ هذه، عن عمر بن الخطَّابِ الصَّلبِ الحازمِ الشَّديدِ،
يقولُ عبدُ اللهِ بن شدَّاد: صلَّيتُ الفجرَ في المسجدِ،
فسمعتُ نشيجَ عمرَ بن الخطَّابِ وأنا في آخرِ الصُّفوفِ يقرأُ:
﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾

148
«إِذَا آتاكَ اللهُ مالاً فليُرَ عليك»!

جاءَ مالكُ بن نضلةَ إلى النَّبيِّ ﷺ يرتدِي ثياباً باليةً،
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: هل لكَ مالٌ؟
قالَ: نعم.
فقالَ له: من أيِّ المالِ؟
فقالَ: من كلِّ المالِ قد آتانِيَ اللهُ، من الإبلِ والرَّقيقِ والخيلِ والغنم!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: إذا آتاكَ اللهُ مالاً فليُرَ عليكَ!
إظهارُ النِّعمةِ جزءٌ من شُكرِها!
والإنسانُ إذا أعطاه اللهُ مالاً عليه أن يرتديَ ثياباً أنيقةً،
والأنيقُ شيءٌ والغالي المبالغُ فيه شيءٌ آخر!
لأنَّ «الماركات» واللهثَ وراءَ الموضةِ وهناكَ ما يُضاهيه،
فيه شيءٌ من الحمقِ والتَّبذيرِ وكفران النِّعمةِ أحياناً!
وللأسف إن «الماركات» اخترعَها النَّاسُ لسرقةِ الأغنياءِ فاغترَّ بها الفقراءُ!
فصرنا نرى الشَّاب يشتري ما لا طاقةَ له به ليتباهَى،
والفتاةَ لا تحملُ الحقيبةَ إلا إذا كانت من «شانيل» أو «ديور»!
صحيحٌ أنَّ الأناقةَ مطلوبةٌ من الجميعِ، ولكنَّ التَّكلفَ خُلُقٌ مذمومٌ!

149
«زادكَ اللهُ حِرْصاً ولا تعُدْ!»

دخل أبو بكرةَ يوماً المسجد يُريدُ الصلاة خلفَ النبي ﷺ، فإذا هو في الركوع والمُسلمون خلفه كذلك، فلما شعرَ أبو بكرةَ أنَّ النبيّ ﷺ يُريدُ أن يرفع رأسه من الركوع، دخل في الصلاة على عجل وركعَ قبل أن يصل إلى الصف ويقف بين المصلين، فلما انتهتْ الصلاة، تقدّم أبو بكرة منه، وأخبره بالذي كان منه، فقال له النبي ﷺ: زادكَ اللهُ حِرْصاً، ولا تعُدْ!

أُنظُرْ لأدب النصيحة، لم يقُلْ له ما كان ينبغي لكَ أن تركعَ قبل أن تقف في الصف، ولم يقل له لِمَ أنتَ عجولٌ يا أبا بكرة، ولم يقل له إياك أن تكررها مرةً ثانية إنها ركعةٌ وكان بإمكانك أن تصليها بعد أن أُسلِّم!

لقد بدأ بالإيجابيات، زادكَ اللهُ حرصاً،

أثنى على حرص أبي بكرة في إدراك كل الركعات خلفه، ثم علَّمه الصواب!

والإنسان إذا تلقى مديحاً أولاً يكون على استعداد أن يتقبَّل النقد بعدها بصدرٍ رحبٍ،

هذا مبدأ عظيم في التعامل مع الناس فانتبهوا له جيداً!

150
«وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ»!

قالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابِه: يعُجبُنِي الفألُ!
فقالُوا: وما الفألُ يا رسولَ اللهِ؟
فقالَ: كلمةٌ طيِّبةٌ!
إذا دخلتَ على مريضٍ فأخبِرْهُ أنَّها أيامٌ وستمضي، وأنَّه اليومَ أفضل، فالحالةُ النَّفسيةُ للمريضِ لها تأثيرُ الدَّواءِ في الشِّفاءِ!
وإذا دخلتَ على فاقدِ حبيبٍ فأخبرْهُ أنَّ الجنَّةَ المُلتقى!
وإذا دخلتَ على مديونٍ فأخبرْهُ أنَّ الأيَّامَ دُوَلٌ والفرجَ قريبٌ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ ماتَ ودرْعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ!
وإذا دخلتَ على عقيمٍ فأخبرِيها أنَّ الأولادَ رزقٌ، والدُّنيا امتحانٌ، وأنَّ عائشةَ بنتِ الصِّديقِ ماتتْ ولم تنجِبْ!
وأنَّ الأملَ باللهِ دوماً، فسارةُ أنجبتْ بعد طولِ شوقٍ!
يحتاجُ النَّاسُ إلى من يربتُ على قلوبِهِم،
ويزرعُ فيهم الأملَ، ويخبرُهم أنَّ القادمَ أجملَ بإذنِ اللهِ!

إِنَّ القَضِيَّةَ لَيْسَتْ كَيْفَ مَاتَ المَرْءُ،
بِقَدْرِ مَا هِيَ كَيْفَ عَاشَ،
ثَمَّةَ شَيْءٌ رَفِيعٌ كَالمَوْتِ فِي سَبيلِ اللهِ:
هوَ الحَيَاةُ فِي سَبِيلِ اللهِ!

151
«اِقْبَلِ الحَديقةَ، وطَلِّقْها تَطليقةً»!

كان الصَّحابيُّ الجليلُ ثابتُ بن قيسٍ قصيراً، دميماً،
فجاءتِ امرأتُه إلى النَّبيِّ ﷺ وقالتْ له: يا رسولَ اللهِ،
ثابتُ بن قيسٍ ما أعيبُ عليه دِيناً ولا خُلقاً،
ولكنِّي أكرَهُ أن أكفرَ بدينِ الإسلامِ!
فقالَ لها: أتردِّينَ عليه حديقتَه؟ البستانُ الذي كان مهرُها،
قالتْ: نعم.
فقالَ النَّبيُّ ﷺ لثابتٍ: اقبلِ الحديقةَ، وطلِّقها تطليقةً!
أباحَ الإسلامُ النظرةَ الشَّرعيَّةَ كي لا يكون الزَّواجُ شراءَ سمكٍ في بحرٍ!
فتتحوَّلُ العلاقةُ من عبادةٍ لتحصينِ الفَرجِ، وإنشاءِ أُسرةٍ مسلمةٍ،
إلى ساحةِ حربٍ قائمةٍ على البُغضِ والهُجرانِ!
كما من حقِّ الشَّابِّ أن يطلبَ الفتاةَ الجميلةَ، فمن حقِّها أن تطلبَ الشَّابَّ الوسيمَ، على أنَّه إذا وقعَ الزَّواجُ فالأصلُ المحافظة على البيتِ والأسرةِ،
الطَّلاقُ وإن كان حلالاً إلا أنَّه دمارُ المجتمعاتِ وتلفُ النَّاسِ،
وكم من فتاةٍ اختارتْ الوسيمَ فما عادتْ بعد ذلك تطيقُ وجهَه،
وكم من شابٍّ اختارَ الحسناءَ فكرِهَ بسببها جنسَ النِّساءِ،
من حقِّ كلِّ إنسانٍ أن يطلبَ الجمالَ ولكن صدِّقوني هو ليس كلَّ شيءٍ!

152
«فَهُوَ في سَبيلِ اللّه»!

كان النَّبيُّ ﷺ جالساً وأصحابَه فمرَّ بهم رجلٌ قويُّ البنيةِ،
فقالُوا: يا رسولَ اللّهِ، لو كان هذا في سبيلِ اللّهِ!
فقالَ: إن كان خرجَ يسعَى على أولادٍ صغارٍ فهو في سبيلِ اللّهِ!
وإن كان خرجَ يسعَى على أبوينِ شيخينِ فهو في سبيلِ اللّهِ!
وإن كان خرجَ يسعَى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيلِ الشَّيطان!
تحسَّسُوا الأجرَ في كل سعيٍّ إلى الحلالِ فهو في سبيلِ اللّهِ!
نهوضُكَ صباحاً إلى عملكَ لأجلِ لقمةِ أولادكَ،
ليس نهوضاً إلى وظيفةٍ، هذا جهادٌ يوميٌّ في سبيلِ اللّه،
عملُكِ في بيتكِ لأجلِ أن تجدَ أسرتُكِ لقمةً طيِّبةً، وثياباً نظيفةً،
ليس عملاً بيتيًا مرهِقاً، هذا جهادٌ يوميٌّ في سبيلِ اللّهِ!
ذهابُكَ لزيارةِ مريضٍ ليس طقساً اجتماعيًا،
هذا جبرُ خاطرٍ، وجبرُ الخواطرِ في سبيلِ اللّهِ!
حضورُكَ إلى عزاءٍ، وربْتُكَ على أكتافِ النَّاسِ، ليس ذهاباً فقط،
هذا تأليفُ قلوبٍ، وتسليةُ محزونٍ، وهي في سبيلِ اللّهِ!
الحياةُ في الطَّاعةِ، والخيرِ، والتَّراحمِ كلُّها في سبيلِ اللّهِ وإن بدتْ شيئاً عاديًا،
فتحسَّسُوا فيها الأجرَ يحلُو لكم الجهادُ فيها!

153
«فَهَلْ أنتُمْ تارِكُو لي صَاحِبِي؟!»

جرتْ محاورةٌ بين أبي بكرٍ وعمرَ، فقامَ عمرُ منها غاضباً!
وحاولَ أبو بكرٍ أن يسترضيَه، فلم يرضَ!
فجاءَ أبو بكرٍ إلى النَّبيِّ ﷺ والحزنُ بادٍ عليه:
ثمَّ إنَّ عمرَ هدأ، وبحثَ عن أبي بكرٍ ليرضيَه، فوجدَه عند النَّبيِّ ﷺ،
ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ كان غاضباً لغضبِ أبي بكرٍ،
فخشيَ أبو بكرٍ على عمر وقالَ: يا رسولَ اللّهِ أنا كنتُ أظلَم!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: إنَّ اللّه بعثني إليكم فقلتُم كذبتَ وقال أبو بكرٍ صدقَ!
وواساني بنفسِه ومالِه، فهل أنتُم تارِكُو لي صاحبِي!
حتى النُّبلاءُ يقعُ بينهم الخلافُ أحياناً،
ولو نجَا من الخلافِ أحدٌ لنجَا منه سيِّدا النُّبلاءِ أبو بكرٍ وعمرَ!
ولكن شتَّانَ بين الذين يقلِبُون الصَّفحةَ سريعاً،
وبين الذين يجعلُونَ كلَّ خلافٍ شرارةً لحربٍ مستعرةٍ!
وانظُرْ لوفاءِ النَّبيِّ ﷺ، كلُّهم أصحابُه ولكن هذا أبو بكر،
فكن نبيلاً ولا تنسَ يداً مدّتْ إليك عندما ضاقتْ بكَ الدُّنيا!

154
«أَفَتَّانٌ أنتَ يا مُعاذ؟!»

كان معاذُ بن جبلٍ يصلِّي العشاءَ مع النَّبيِّ ﷺ في المسجدِ،
ثم يرجعُ إلى قومِه فيصلِّي بهم إماماً ويطيلُ في القراءةِ!
فأطالَ مرَّةً، فتركه شابٌّ قائماً، وخرجَ من الصَّفِّ وصلَّى وحده!
فقالَ له معاذٌ: هذا نفاقٌ، لأخبرَنَّ النَّبيَّ ﷺ!
فأخبرَه معاذٌ، فأرسلَ في طلبِ الفتى، وسأله عمَّا كان منه،
فقالَ: يا رسولُ اللهِ، يطوِّلُ علينا في الصَّلاةِ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أفتانٌ أنتَ يا مُعاذ؟!
لا تُكرِّهُوا عبادَ اللهِ بالعباداتِ،
من الخطباءِ من إذا اعتلى المنبرَ لم تطِبْ له نفسُه مفارقتَه،
يا أخي للنَّاسِ مشاغلٌ، وفيهم المريضُ، والضَّعيفُ!
وكم سمِعْنَا عمَّنْ يقصدُ مسجداً بعيداً لأجلِ أنَّ خطيبَ المسجدِ القريبِ يطيلُ!
ومن الأئمَّةِ من إذا وقفَ في الصَّفِّ لا يركعُ إلا بعد أن تتورَّمَ أقدامُ النَّاسِ،
يا أخي إن أعجبكَ صوتُكَ فالليلُ طويلٌ أمامكَ فاقرأ في القيام، أمَّا في صلاةِ الجماعةِ فليس من حقِّكَ أن تحبسَ النَّاسَ،
منَ النَّاسِ من لا يضبطُ وضوءَه، ومنهم المشغولُ، وصاحبُ الحاجةِ، لا تجعلِ النَّاسَ يكرهُون إتيانَ المسجدِ بسببكَ،
أعينُوا النَّاسَ على دينهِم ولا تنفِّرُونَهم منه!

155
«قُومُوا إلى جنَّةٍ عرضُهَا السَّمَاواتُ والأرْضُ»!

وقفَ النَّبيَّ ﷺ يوم بدرٍ بين الصَّفينِ يُحرِّضُ الصَّحابةَ على القتالِ،

ثمَّ قالَ لهم: قومُوا إلى جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ،

وكان عميرُ بن الحُمامِ يأكلُ تمراتٍ له فقالَ: جنَّةٌ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ،

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: نعم!

فقال: بخ، بخ!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: ما حملكَ على قولِ بخ، بخ؟!

فقالَ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ إلا رجاءَ أن أكونَ من أهلِها،

فقالَ له: فإنَّكَ من أهلِها!

فألقى التَّمراتِ، وقالَ: إنَّها لحياةٌ طويلةٌ حتى آكلهَا!

ثم اقتحمَ جيشَ المشركين، وقاتلَ حتى استشهدَ!

هنيئاً لكلِّ من فتحَ اللهُ له باباً للجهادِ فأحسنَ دخولَه،

فقاتلَ عدوًّا واضحاً، إعلاءً لكلمةِ اللهِ في الأرضِ،

ودفاعاً عن شرعِه، وسنَّةِ نبيِّه، وأعراضِ المسلمين،

فلم يصبّ دماً حراماً، ولم يؤذِ مسلماً في عرضِه ومالِه،

هنيئاً لهم تُغفرُ ذنوبُهم عند أوَّلِ قطرةٍ من دمائِهم،

هنيئاً لهم يأمنُون فتنةَ القبرِ لأنَّه كفى ببارقةِ السُّيوفِ فتنةً،

فاللهُمَّ شهادةً في سبيلكَ!

156

«ألا تَرَيْنَ أنِّي قد حُلْتُ بينَكِ وبينَ الرَّجلِ»؟!

جاءَ أبو بكرٍ لزيارةِ النَّبيِّ ﷺ وقبْلَ أن يدخلَ،
سمعَ عائشةَ ترفعُ صوتَها على النَّبيِّ ﷺ،
فدخلَ غاضباً وقالَ لها: أترفعينَ صوتَكِ على رسولِ اللّهِ؟!
ورفعَ يدَه يريدُ أن يضربَها فحالَ النَّبيُّ ﷺ بينهما،
فخرجَ أبو بكرٍ وتركَها، وجعلَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ لعائشةَ،
ألا ترينَ أنِّي قد حلتُ بينكِ وبينَ الرَّجلِ؟!
الخلافاتُ الزَّوجيةُ شيءٌ، وأن يهونَ عليكَ شريكُ العمرِ شيءٌ آخر!
النُّبلاءُ يظهرُونَ في الخصوماتِ لا في ساعاتِ الوفاقِ!
وانظرْ إلى نبلِ النَّبيِّ ﷺ لم تهُنْ عليه حبيبتُه،
رفعتْ صوتَها عليه، وهذا شأنُ البيوتِ، ولكنَّه منعَ أباها أن يطالهَا،
ولم يكتفِ بهذا، ولم يدرْ ظهرَه ويمضي، إنَّه يسترضيها أيضاً،
لقد طوى صفحةَ الخلافِ سريعاً، واستغلَّ الموقفَ للصُّلحِ،
عزَّةُ النَّفسِ حلوةٌ ولكن بين الأزواجِ مذمومةٌ،
اقلبُوا الصَّفحةَ سريعاً، ما خرَّبَ البيوتَ إلا التمادي في العنادِ!

157
«إنَّ فيكَ خصْلَتينِ يُحبُّهمَا اللهُ: الحِلْمُ والأَناةُ»!

عندما جاءتْ قبيلةُ عبدِ القيسِ إلى النَّبيِّ ﷺ لتُسْلِمَ،
دخلَ الجميعُ عليه مسرعينَ إلا سيّدهم أشجُّ عبدِ القيسِ،
تمهَّلَ، ولبسَ أحسنَ ثيابِه، ومسحَ نفسَه بالطِّيبِ، ثمّ دخلَ!
فقرَّبه النَّبيُّ ﷺ، وأجلسَه إلى جانبه، وقالَ له:
إنَّ فيكَ خصلتينِ يحُبُّهما اللهُ: الحِلمُ والأناةُ!
فقالَ: أجُبلتُ عليهما أم تخلّقتُ بهما يا رسولَ اللهِ؟
فقالَ له: بل جُبلتَ عليهمَا!

النَّاسُ يولدُون بطباعٍ مختلفةٍ، وإننا نرى في البيتِ الواحدِ، الكريمَ والبخيلَ، والهادئَ والعصبيَّ، والشَّهمَ والأنانيَّ، والحليمَ والغضوبَ، من أبٍ وأمٍّ كلهم، ولكنَّهم كالزَّرعِ يُسقى بماءٍ واحدٍ وليس ذاته في الأُكُلِ!

وهذا بالطَّبعِ ليس مُبرِّراً أن ينساقَ الإنسانُ وراءَ طبعِه السَّيء،
وإلا فأينَ مجاهدةُ النَّفسِ، وخلافُ الهوى، وقمعُ النَّزعات؟!
ثمّ إننا جميعاً نحبُّ المالَ فهل تبرِّرُ هذه الفطرةُ السَّرقة؟!
وجميعنا فينا شهوةٌ فهل تبرِّرُ هذه الغريزةُ الزِّنا؟!
مقاومةُ الطِّباعِ السَّيئةِ جهادٌ، والأجرُ دوماً على قدرِ المشقَّةِ!

158
«لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي»

مشى النَّبيُّ ﷺ يوماً رفقةَ أبي ذرٍّ الغفاريِّ،
فرأى تَيْسَيْنِ يتناطحَان،
فقالَ له: يا أبا ذرٍّ، أتدرِي فيما يتناطحَان؟!
فقالَ أبو ذرٍّ: لا.
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لكنَّ اللهَ يدرِي، وسيقضِي بينهما يومَ القيامةِ!
الدُّنيا ليست نهايةَ المطافِ، فعند اللهِ ستجتمعُ الخصومُ!
فيا أيُّها العاملُ المسكينُ الذي سمع الإهاناتِ، وأُوذيَ في كرامتِه،
ويا أيُّها الأخُ الذي غصبَه أخُوه حقَّه من الميراثِ،
ويا أيتَّها الزَّوجةُ التي أُهينتْ، وُضربتْ، وأُهملتْ، وظُلمتْ،
ويا أيَّها التَّقيُّ النَّقيُّ الذي رُميَ بالتَّشدُّدِ والإرهابِ،
ويا أيَّتها التي أُوذيتْ في عرضها، وقيلَ فيها ما ليس فيها،
ويا أيُّها الذي أُخذتْ منه الوظيفةُ بالواسطةِ،
إنَّ الرَّبَّ الذي سيحكمُ بين تيسين يتناطحانِ سيحكمُ في قضاياكُم،
ويا أيُّها الظلمةُ جميعاً ستقفُون بين يدي اللهِ،
وستتمنُّونَ لحظتذاك أنَّكم المظلُومون لا الظَّالمُون!

159
«أَتَدْرُونَ من المُفْلسُ؟!»

سألَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه: أتدرُون من المفلسُ؟

فقالُوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع.

فقالَ: إنَّ المفلسَ من أمَّتي الذي يأتي يوم القيامةِ بصيامٍ وصلاةٍ وزكاةٍ،

ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مال هذا، وسفكَ دم هذا، وضربَ هذا!

فيُعطى هذا من حسناتِه، وهذا من حسناتِه، حتى إذا فنيتْ حسناتُه،

أخذَ من خطاياهُم فطُرحتْ عليه ثم طُرِحَ في النَّارِ!

إنَّ من الإفلاسِ أن تعملَ لغيركَ!

فتكون كالغنيِّ الذي كان عنده سائقٌ عشرُ سنوات،

فماتَ وتركَ كلَّ ثروتهِ لزوجتهِ،

ثمَّ إنَّ الزَّوجةَ رأتْ أخلاقَ السَّائقِ فرضيتْهَا، ووسامتَه فأحبَّتْهَا،

فتزوَّجته وتركتْ كلَّ المالِ الذي ورثته بين يديهِ،

فقالَ السَّائقُ: كنتُ أحسَبُ أنِّي أعملُ عند الغنيِّ طوالَ هذه السَّنواتِ،

فاكتشفتُ أنَّه هو الذي كان يجمعُ المالَ ويعملُ عندي!

فلا تجمعْ حسناتَكَ لأحدٍ!

160

«هَذا خَيْرٌ من ملءِ الأرْضِ من ذَاك!»

مرَّ رجلٌ ثريٌّ وسيمٌ بالنَّبيِّ ﷺ وأصحابِه،
فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: ما تقولُون في هذا؟
فقالُوا: هذا واللهِ حريٌّ إن خطبَ أن يُزوَّج، وإن شفعَ أن يُشفَّع،
فسكتَ النَّبيُّ ﷺ ولم يقلْ شيئاً ...
ثمّ مرَّ رجلٌ من فقراءِ المسلمين فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: ما تقولُون في هذا؟
فقالُوا: هذا واللهِ حريٌّ إن خطبَ ألا يُزوَّج، وإن شفعَ ألا يُشفَّع،
فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ من ذاك!
الأناقةُ مطلوبةٌ ولكن ما أدراكَ أيُّ قلبٍ تحتها؟!
والغِنى جميلٌ ولكن ما أدراكَ بأيِّ طريقةٍ هذا المال قد جُمع؟!
والوسامةُ محبَّبةٌ ولكن قد يختبئُ ذئبٌ في وجهِ حمَلٍ!
أُمرْنَا أن نحكمَ على الظَّواهرِ ونتركَ للهِ السَّرائرَ،
ولكنَّنا أُمرنا ألا نكون ساذجين تعمينا معاييرُ الدُّنيا،
البطولةُ الحقيقيَّةُ ليست في رفعِ الأثقالِ في النَّادي الرِّياضيَ،
ولكنَّها في رفعِ اللِّحافِ والقيام لصلاةِ الفجرِ!
والأناقةُ الحقيقيَّةُ ليست في البدلاتِ الرَّسميةِ والفساتينِ الفاخرةِ،
ولكنَّها في نقاءِ القلبِ، وطيبِ النَّفسِ، وحبِّ الخيرِ للنَّاسِ!

161
«فإنَّهُما كَانَا مُتَحَابَّيْنِ!»

بينما النَّبيُّ ﷺ يشرفُ على دفنِ شهداءِ غزوةِ أُحد،
قالَ: اِدفنُوا عمرو بن الجموحِ وعبدِ اللّه بن حرامٍ في قبرٍ واحد،
فإنَّهما كانا مُتحابَّينِ!
ما أجملَ أن يُعرفَ الإنسانُ بين النَّاسِ بصفاتِه العَذبة!
أن يمشيَ فيُقالُ: هذا الذي أحبَّ فصدقَ، ودخلَ البيوتَ من أبوابِها!
أن يسيرَ فيُقالُ: هذا الذي يبرُّ والديهِ ويُكرمهما!
أن يغدُو فيُقالُ: هذا الموظَّفُ الأمينُ الذي لا يرتشي!
أن يرجعَ فيُقالُ: هذا الذي يزورُ أختَه دوماً، ويصلُ أخاه!
أن يمضيَ فيُقالُ: هذا الذي يُصلِّي كثيراً في المسجدِ،
ما أجملَ أن يُنعتَ التَّاجرُ بالأمينِ، والطبيبُ بالرَّحيمِ، والحِرفيُّ بالصَّادقِ!
ما أجملَ أن تغلبَ صفتُكَ على اسمِكَ،
من يحتاجُ اسمَه إن كان العوضُ عنه أن يُنادى،
الصَّادقُ، والمحبُّ، والأمينُ، والمخلصُ، والعطوفُ، والبارُّ، والرَّحيمُ،
إنَّما الإنسانُ أثرٌ فأحسِنُوا أثرَكُم!

162

«فإنَّه أشَدُّ عليهِمْ من رَشْقِ النَّبلِ!»

لم تكنِ الحربُ بين المسلمينَ وقريشٍ معركةَ سيفٍ فقط،
تقاذفَ الفريقان بالقصائدِ، والعربُ تضربُ بشِعْرها أمضَى مما تضربُ بسيفِها،
وحثَّ النَّبيُّ ﷺ الشُّعراءَ من أصحابِه على هجاءِ قريشٍ قائلاً:
أُهجُوا قريشاً، فإنَّه أشدُّ عليهم من رشقِ النَّبلِ!
وما أشبهَ اليومَ بالبارحةِ، وهذا الزَّمانُ بذاك،
أيضاً الحربُ اليومَ ليست حربَ رصاصٍ وبنادقَ فقط،
هذه الأمَّة تُشنُّ عليها الحروبُ في جميع ثغورها،
حربٌ على العقيدةِ يقودُها دعاةُ الإلحادِ واللادينيين،
وحربٌ على الفِطرةِ يقودُها دعاةُ الشُّذوذِ والانحرافِ،
وحربٌ على الأسرةِ تقودُها النَّسوياتُ الناشزاتُ،
وحربٌ على الجيلِ يقودُها دعاةُ تغييرِ المناهجِ،
فخذُوا أماكنكم كلَّ واحدٍ على ثغرِه،
الدُّعاة في مساجدهم، والإعلاميُّون في قنواتهِم، والكُتّابُ في مؤلَّفاتهم،
الآباءُ في أولادهِم، والأمَّهاتُ في بيوتهنَّ، والمعلمُون في مدارسهم،
رُقعةُ الحربِ واسعةٌ، فرُدُّوا عليهم: فإنَّه أشدُّ عليهم من رشقِ النّبلِ!

163

«إنَّ ليَ فيهِمْ نَسَباً!»

أرسلَ النَّبيُّ ﷺ إلى حسَّانَ بن ثابتٍ ليهجوَ قريشاً،
فجاءَ وقالَ له: والذي بعثكَ بالحقِّ لأفرينَّهم بلساني فريَ الأديمِ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لا تعجلْ، فإنَّ أبا بكرٍ أعلمُ قريشٍ بأنسابِها،
وإنَّ لي فيهم نسباً حتى يلخِّصَ لكَ نسبي!
فذهبَ حسَّان إلى أبي بكرٍ، ثمّ عادَ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وقالَ:
يا رسولَ اللهِ، قد لخَّصَ لي أبو بكرٍ نسبكَ،
لأَسُلَّنكَ منهم كما تسلُّ الشَّعرةُ من العجينِ!
على عداءِ النَّبيِّ ﷺ مع قريشٍ لم يهُنْ عليه نسبَه،
الأصيلُ لا يذمُّ عرضَه، ولا يهجُو رحمَه، والخلافُ حول عقيدة،
فما بالُ العائلاتِ تنشرُ غسيلَها على مواقعِ التَّواصلِ لأجلِ دُنيا؟!
ما بالُ الأخِ يهجُو أخاهُ، والكِنَّةُ تلطِشُ حماتَها؟!
ما بالُ الزَّوجِ قد هانَ عليه عرضُه، والقريبِ قد هانَ عليه دمُه ورحمُه؟!
فإن لم يكن من دِينٍ يردعُ، فخُلق يمنعُ،
لأيَّامِ الوصالِ حرمةٌ فاحفظُوا حرمتَها!

164
«لوْ لمْ تُعطِه شَيئاً كُتبَتْ عليكِ كذْبَةً!»

كان النَّبيُّ ﷺ جالساً في بيتِ عامرٍ الأسلميِّ،
وكان عبدُ اللهِ بن عامر طفلاً، فقالتْ له أمُّه: ها تعالَ أعطيكَ!
فقالَ لها النَّبيُّ ﷺ: وما أردتِ أن تُعطيه؟
قالتْ: أُعطيه تمراً.
فقالَ لها: أما إنَّكِ لو لم تعطِه شيئاً كُتبتْ عليكِ كذبةً!
الأولادُ زرعٌ وغرسٌ ونحن لا نحصدُ إلا ما زرعنَاه!
عندما يتربَّى الطفلُ على الخوفِ فإنَّه يتعلَّمُ الكذبَ!
وعندما يتربَّى على العنفِ فإنَّه يتعلَّمُ القسوةَ!
وعندما يتربَّى على الفوضَى فإنَّه يتعلَّمُ الاستهتارَ!
وعندما يتربَّى على قلَّةِ الاحترام فإنَّه يعتادُ الذُّلَّ!
وعندما يتربَّى على الأنانيةِ فإنَّه يعتادُ الجشعَ!
وعندما يتربَّى على الكذبِ فإنَّه يفقدُ الثِّقةَ!
لا تُضيِّعُوا أولادكُم صغاراً ثم تشتكُون منهم كباراً!
الذي يربِّي وحشاً سيفترسُه نهايةَ المطافِ!

165
«عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كَثيراً»

جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ رجلٌ مقنَّعٌ بالحديدِ،

فقالَ: يا رسولَ اللّهِ، أُقاتِلُ أو أُسلِمُ؟

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أَسْلِمْ ثمّ قاتِلْ!

فأسلَمَ ثمَّ قَاتل، فَقُتِلَ!

فقالَ النّبيُّ ﷺ: عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً!

أَسْلِمْ ثم قاتِلْ!

العقيدةُ قبل السَّيفِ، لأنَّ السَّيفَ بلا عقيدةٍ يصبحُ أداةَ إجرام!

والوُجهةُ قبل المسيرِ، في الطَّريق الخاطئةِ يصبحُ المقاتلُ قاطعَ طريقٍ!

والرَّايةُ قبل الجماعةِ، لأنَّ العددَ الكبير قد لا يكون أكثرَ من قطيع! والسَّاحةُ قبل المعركةِ، لأنَّ الدَّمَ المبذولَ في غيرِ مكانه رخيصٌ! والعدوُّ قبلَ كل شيءٍ، لأنَّ الأحمقَ قد يُقاتلُ قومَه فيجدعُ أنفَه بيديه!

الأخلاقَ كلها لا تشفعُ للمرء
إن كان كافراً،
ولكن الإيمان بلا أخلاقٍ
هو إيمانٌ أعرج!

166

«يَدْخُلُ من هذا البَابِ رجلٌ من أهلِ الجنَّةِ!»

كان النَّبيُّ ﷺ جالساً بين أصحابِه في المسجدِ،
فقالَ: يدخلُ من هذا البابِ رجلٌ من أهلِ الجنَّةِ!
فدخلَ عبدُ اللهِ بن سَلام، فقامُوا فأخبرُوه بذلك،
فقالَ: إنِّي عبدٌ ضعيفٌ، وإنَّ أوثقَ ما أرجُو اللهَ به، سلامةُ الصَّدرِ!
سلامةُ الصَّدرِ جنَّةٌ في الدُّنيا قبلَ أن يكون جنَّةً في الآخرة!
فالإنسانُ الذي يملأُ قلبُه الحقدَ والكراهية،
لا يجدُ طعمَ السَّعادةِ مع أحدٍ، ولا يجدُ السَّعادةَ معه أحدٌ!
والإنسانُ الممتلئُ قلبُه بالحسدِ لن يجدَ لذةَ النِّعمِ بين يديه،
لأنَّه يتجرَّعُ مرارةَ مراقبةِ النِّعمِ التي في أيدي النَّاسِ!
والإنسانُ المنشغلُ بالكراهيةِ ليس لديه وقتٌ ليحبَّ أحداً،
بل قد تجدهُ يكرَهُ نفسَه!
لا تحملْ في قلبكَ حقداً، فالقلبُ المليءُ بالحقدِ قبرٌ،
ولا تنشغلْ بالمقارنةِ فالمشغُول بالمقارنةِ محرومٌ من السَّكينةِ،
ولا تمتلئْ بالحسدِ فإنَّه سوءُ أدبٍ مع قدرِ اللهِ!

167
«هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بن فُلانٍ»

قال النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه يُحدِّثهم عن الوفاءِ:
إذا جمعَ الله بين الأولينَ والآخرين يومَ القيامةِ،
يُرفَعُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ، يُقال: هذه غدرةُ فُلانِ بن فُلانٍ!
لن يكملَ الجميعُ معكَ الطَّريقَ إلى أخرها،
بعضُ النَّاسِ في حياتك فتراتٌ، ما انتهَى منها ليس لكَ فيه!
احفظْ لأيَّام الوصالِ حرمتَها، ولا تنتهكِ الأسرارَ،
ولا تُبارزْ بنقاطِ الضَّعفِ، ولا تبكِ على اللّبنِ المسكوبِ!
اقلبِ الصّفحةَ، وعِشْ حياتكَ، وامضِ ولا تلتفتْ!
لا تنبِشْ قبراً قد رُدِمَ، ولا تنزِعْ قشرةَ جرحٍ قد التأمَ،
حاوِلْ أن تسعدَ بما تملِك، وتمنَّ السعَّادةَ للنَّاس،
لا تُفسِدْ قلبكَ بالضغائِن، ولا تتلفه بمراقبةِ الرَّاحلينَ عنك،
اهتمَّ بقلبكَ جيدًا، فهو الوحيدُ الذي سيرافقكَ حتى آخرِ الطَّريقِ!
لا تكتُبْ كلمةً مؤذيةً، وغادرِ الميدانَ فقد انتهتِ المعركة!
لم تعُدِ الغنيمةُ مغريةً، والخسائِرُ في كلِّ الأوقاتِ مُذِلَّة!

168

«إنِّي لا أَخِيسُ بالعَهدِ!»

أرسلتْ قريشٌ أبا رافعٍ موفداً منها إلى النَّبيِّ ﷺ،
فمكثَ في المدينةِ ريثما يكتبُ له النَّبيُّ ﷺ ردًّا،
فرأى أخلاقَ الصَّحابةِ عن قربٍ، وقرَّرَ أن يسلم!
فقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي واللهِ لا أرجعُ إليهم أبداً!
فقالَ له النَّبي ﷺ إنِّي لا أخيسُ بالعهدِ، ولا أحبسُ الرُّسل،
ولكن اِرجِعْ إلى قريش، فإن كان الذي في نفسكَ الآن، فارجِعْ!
فعادَ أبو رافعٍ برسالةِ النَّبيِّ ﷺ إلى قريشٍ، ثم عادَ إلى المدينة وأسلم!
قريشٌ على الشِّركِ وأوفى النَّبيُّ ﷺ بعهدِه معها،
فالعهدُ يُراعَى مع الكافرِ كما يُراعى مع المسلمِ!
أوفِ بعهدكَ، وكُنْ على قدرِ كلمتَكَ،
النُّبلاءُ تربطُهم ألسنتُهم لا العقُود التي يوقِّعُونها فقط!
وتذكَّرْ دائماً أنَّ لكل غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة،
يُقالُ للنَّاسِ في أرضِ المحشرِ: هذه غدرةُ فُلانٍ!

169

«انْطَلِقُوا بنَا إلى البَصيرِ!»

كان رجلٌ من بني واقفٍ وهم حيٌّ من الأنصار، أعمى،
وأرادَ النَّبيُّ ﷺ أن يزورَه، فقال لأصحابِه:
انْطَلِقُوا بنَا إلى البصيرِ الذي في بنِي واقفٍ نعودُه!
العربُ أكثرُ الأممِ انتقاءً لألفاظِها، ونبيُّ القومِ منهم!
كانوا يُسَمُّون الملدوغَ سليماً تيمُّناً بشفائِه،
وسمُّوا القافلةَ بهذا الاسمِ تيمُّناً برجوعِها،
والنَّبيُّ ﷺ سمَّى الأعمى بصيراً!
انتقُوا مفرداتِكُم بعنايةٍ، فبعضُ الكلامِ جارحٌ،
خفِّفُوا تعليقاتكم، فتعليقٌ سخيفٌ قد يُفسِدُ يومَ إنسانٍ،
حتى المضمُون القبيحُ يمكنُ أن يُقالَ بأسلوبٍ جميلٍ،
كما أنَّ الأسلوبَ القبيحَ قد يُفسِدُ المضمونَ الجميلَ،
يقولُ الصِّينيُّون في مثلهم الشّعبيِّ: إذا كنتَ عاجزاً عن الابتسامِ فلا تفتحْ دُكّاناً!
وهم بذلك يعنُون أنَّ البشاشةَ تُروِّجُ البضاعةَ!
وكذلك الأسلوبُ العذبُ، واختيارُ المفرداتِ، يمنحانِ المرءَ قبولاً عند النَّاسِ!



170
«وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَه لأمَّهاتِهِم!»

قالَ شابٌّ للنَّبيَّ ﷺ: يا رسولَ اللّه، ائذنْ لي بالزنا!
فزجَرَه من كان جالساً معه، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ له: اُدنُ منِّي!
فلمَّا دنَا منه وجلسَ، قال له: أتحبُّه لأمِّكَ؟!
فقالَ الشَّابُّ: لا واللّهِ، جعلنِي اللّه فداكَ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ ولا النَّاسُ يُحبُّونه لأمَّهاتِهِم!
ثمَّ جعلَ يُسمِّي له كلَّ امرأةٍ من قرابتِه ويسألُه أتحبُّه لها،
والشَّابُّ يقولُ في كلِّ مرَّةٍ: لا واللّهِ، جعلنِي اللّهُ فداكَ!
كلُّ ما تريدُ أن تقومَ به تجاهَ الآخرين قِسْه على نفسِكَ،
فإن رضيتَه لكَ فافعلْهُ، وإن كرهتَه فاتْرُكه!
العلاقةُ التي لا ترضَاها لأهلِ بيتكَ،
لا تقُمْ بمثلِها مع أهلِ بيتٍ آخر!
والكلمةُ التي لا ترضَى أن تسمعَها من غيركِ،
فلا تُسمعها لغيرك!
عِشْ حياتك على مبدأ واحد:
قدِّمْ للنَّاسِ ما تحبُّ أن يقدِّمُونه لكَ!

171
«أَبْشِرِي يا أُمَّ العَلاءِ»

مَرِضَتْ أمُّ العلاءِ، عمَّةُ الصَّحابيِّ الجليلِ حكيمِ بن حزامٍ،
فجاءَ النَّبيُّ ﷺ يعودُها، ثمَّ قالَ لها:
أبشري يا أمَّ العلاءِ، فإنَّ مرضَ المسلم يُذهِبُ اللّٰهُ به خطايَاه،
كما تُذهبُ النَّارُ خبثَ الذَّهب، والفضَّة!
املأْ قلبكَ بالتَّوحيد للّٰهِ، وللنَّبيِّ ﷺ بالرَّسالة، وأبشِرْ،
مع الإيمانِ كلُّ الأمورِ خيرٌ!
النِّعمةُ التي تُشكرُ أجرٌ، والبلاءُ الذي يُصبَرُ عليه أجرٌ!
هذا دينُ الشَّوكةِ يُشاكَها المؤمنُ يُكفِّرُ اللّٰه فيها خطاياه،
والهمُّ، والتَّعبُ يُصيبان المؤمنَ له فيهما كفّارةٌ،
هذا دينٌ يُؤجَرُ فيه المرءُ على الحُبِّ: واللقمةُ يضعهُا الرَّجلُ في فمِ امرأتِه صدقة!
فاحتسبُوا كُلَّ ألم، فإنَّ الأنينَ مع الصَّبرِ كالتَّسبيحِ،
واحمدُوا على كلٍّ وجعٍ، فإنَّ الحمدَ يحطُّ خطايا المؤمنِ،
رحيمٌ هذا الرّبُّ، واللّٰهِ رحيمٌ، تتجلى رحمتُه حتى في غمرةِ بلائِه!



172
«حَتَّى اللُّقْمَة تجعَلهَا في فمِ امرَأتِكَ!»

مرضَ سعدُ بن أبي وقَّاصٍ وجاءَ النَّبيُّ ﷺ يعودُه،
وظنَّ سعدٌ أنَّه سيموتُ في مرضِه هذا، فاستأذنَ أن يتصدَّقَ بثلثي ماله،
فنهاه النَّبيُّ ﷺ، فاستأذنَ في النِّصفِ، فنهاه أيضاً،
فاستأذنَ في الثُّلثِ، فقبلَ منه أن يتصدَّقَ بالثُّلث وقالَ له:
إنَّكَ إن تذرْ ورثتكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذرَهُم عالةً يتكفَّفون النَّاس!
ولستَ بمنفقٍ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلا آجركَ اللهُ بها،
حتى اللقمة تجعلَها في فمِ امرأتكَ!
النِّيةُ تجعلُ العاداتَ عباداتٍ، فاجعلْ نواياكَ دوماً للهِ!
الطَّعامُ الذي تشتريه لأهلكَ لا تربطْهُ بمفهومِ الواجبِ،
تحسَّسْ فيه الأجرَ، ففي كلِّ كبدٍ رطبةٍ صدقةٌ!
والمالُ الذي تعطيه لوالديكَ لا تربطْهُ بمفهومِ الواقعِ،
تحسَّسْ فيه البرَّ، ورتِّلْ على قلبكَ: وبالوالدينِ إحساناً!
زيارتُكَ لأختكَ لا تربطْهَا بمفهومِ الواجباتِ الأسريَّةِ،
تحسَّسْ بها صلةَ الرَّحمِ، وتذكَّرْ أنَّها مربوطةٌ بالعرشِ!
تتشابه أعمالُ النَّاسِ وتختلفُ نواياهم،
فاجعَلِ اللهَ دوماً في نيَّتكَ!

173

«فَلْيَتَعزَّ بمُصِيبتِه بِي!»

أمـرَ النَّبـيُّ ﷺ أبـا بكـرٍ أن يُصلـيَ بالنَّـاسِ فـي مرضِـه الـذي مـاتَ فيه،

وبينمـا المسـلمُون يُصلَّـون، إذ نظـرَ إليهـم النَّبـيُّ ﷺ مـن حجـرةِ عائشـة، فحمـدَ الله وأثنَـى علـى مـا رأى مـن اجتماعِهم وحسـنِ حالهِم، ثـم خـرجَ إليهـم وقـد أثقلَـه المـرضُ، وقـالَ لهـم كالمُعـزِّي بمـا سـيكون:

يا أيُّها النَّاسُ، أيُّما أحدٍ من المؤمنينَ أُصيبَ بمصيبةٍ،

فليتعزَّ بمصيبتِه بي عن المصيبةِ التي تُصيبُه بغيرِي،

فـإنَّ أحـداً مـن أُمَّتِـي لـن يُصـابَ بمصيبـةٍ بعـدي أشـدّ عليـه مـن مصيبتِـي!

واللهِ ما فاتنا من الدُّنيا شيءٌ إلا رؤيةُ النَّبيِّ ﷺ،

ما تبقَّى توافهُ لا يُؤبَه لها، وصغائرُ لا يُلتفتُ إليها!

فكلَّما فاتكَ شيءٌ من الدُنيا فقُلْ:

هو صغيرٌ، فاتنِي ما هو أعظمُ منه،

وكلَّما فقدتَ عزيزاً قُلْ: فقدتُ من هو أعزُّ منه من قبل!

الدُّنيا يا صاحبي ليستْ دارَ مقام وإنَّما دارُ رحيلٍ،

كُلُّنا جنازاتٌ تمشي على الأرضِ، الفارقُ فقط هو التَّوقيت!

174

«فَلا تُشْهِدْنِي إذاً!»

عن النُّعمانِ بن بشير، أنَّ أمَّه طلبتْ من أبيه أن يهبَه مالاً، فماطَلَها في ذلك سنةً، ثم بدا له أن يوافقَ!

فقالتْ: لا أرضَى حتى تُشهدَ النَّبيَّ ﷺ على ما وهبتَ لابنِي!

فأخذَ أبي بيدي، وأنا يومئذٍ غلامٌ، فأتى النَّبيَّ ﷺ،

فقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ أمَّ هذا يعجبُها أن أشهدكَ على ما وهبتُ له!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: يا بشيرُ، ألكَ ولد سِوى هذا؟

قالَ: نعم،

فقالَ له: أكُلُّهم وهبتَ لهم مثل الذي وهبتَ لابنكَ هذا؟

فقالَ: لا!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: فلا تُشهدْنِي إذاً، فإنِّي لا أشهدُ على زورٍ!

المواريثُ جعلها اللهُ بسببِ رابطةِ الدَّم لا بسببِ رابطةِ الحُبِّ!

لا يملكُ المرءُ زمامَ قلبِه، وقد يحبُّ الأَبُ ولداً أكثرَ من ولدٍ،

أمَّا في الأعطياتِ والمواريثِ فالعدلُ واجبٌ، واللهُ ساوَى بينهم،

والمحاباةُ توغِرُ صدورَ الإخوةِ على بعضهم البعض وتفرِّقُ شملَهم، حتى الحُبُّ يجب أن يُكتم، ما أوغرَ صدرَ إخوةِ يوسفٍ عليه إلا حبُّ يعقوبَ!

لا عذرَ لهم بفعلهم طبعاً، ولكن في قصَصِهم عبرةٌ لنتعلَّمَ!

175

«أَخشيتَ أنْ يعدُوَ غِنَاكَ عليهِ؟!»

بينما النَّبيُّ ﷺ يُحدِّثُ أصحابَه، إذ جاءَ رجلٌ من الفقراءِ، فجلسَ إلى جنبِ رجلٍ من الأغنياءِ، فقبضَ الغنيُّ ثيابَه عنه!

فتغيَّرَ وجهُ النَّبيِّ ﷺ، وقالَ للغَنيِّ:

أخشيتَ أن يعدُوَ غناكَ عليه، وأن يعدُوَ فقرَه عليكَ؟!

فقالَ: يا رسولَ اللّه، أشَرٌّ هو الغنى؟!

فقالَ له، نعم، إنَّ غناكَ يدعُوكَ إلى النَّارِ، وفقرَه يدعُوه إلى الجنَّةِ!

فقالَ: فما يُنجِّيني منه؟

فقالَ له النَّبيُّ: تواسيه!

فقالَ: أفعلُ يا رسولَ اللّه.

فقالَ الفقيرُ: لا حاجةَ لي فيه!

فقالَ النَّبيُّ ﷺ للغنيِّ: فاستغفِرْ، وادعُ لأخيكَ!

الغنَى ليس عيباً، العيبُ أن تنظرَ إلى الفقراءِ بعينِ الازدراءِ، والمنصبُ ليس عيباً، العيبُ أن تنظرَ إلى النَّاسِ بعينِ الاستصغارِ، والشّهادةُ ليست عيباً، العيبُ أن تنظرَ إلى غيرِ المتعلمين بعين الاحتقارِ، كُلُّ واحدٍ في هذه الدُّنيا كان من الممكنِ أن يكون مكانكَ وتكون مكانَه!

فلا تتكبَّرْ بنعمِ اللّهِ على عبادِ اللّهِ!

176
«الآنَ يا عُمَر!»

مشَى النَّبيُّ ﷺ بين أصحابِه وهو يمسكُ يدَ عمر بن الخطاب، فقالَ له عُمر: واللّهِ لأنتَ أحبّ إليَّ من كل شيءٍ إلا من نفسِي!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لا والذي نفسِي بيدِه، حتى أكون أحبّ إليكَ من نفسِكَ!
فقالَ له عُمر: فإنَّه الآن واللّهِ لأنتَ أحبّ إليَّ من نفسِي!
فقالَ له النبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمر!
محبَّةُ النَّبيِّ ﷺ ثلاثةُ مجالاتٍ فإن اجتمعتْ فقد اكتملَ الحُبُّ!
الأوَّلُ: أن تتذكرَ كم تعبَ ليصلَ إليكَ هذا الدِّين!
رُجمَ في الطائفِ، وحُوصِرَ في الشِّعبِ، وشُجَّ رأسُه في أُحدٍ!
نُعتَ بالسَّاحرِ والمجنونِ والكذَّابِ، ثم فارقَ الدُّنيا بأثرِ سُمِّ اليهوديَّة!
الثَّاني: أن تُكثرَ من الصَّلاةِ عليه فالمحبُّ يُكثرُ من ذِكرِ محبوبِه،
فاجعلْ لسانكَ رطباً بالصَّلاةِ عليه تُكفى همُّكَ ويُغفرُ ذنبُكَ!
الثَّالثُ: الاقتداءُ أجملُ الحُبِّ، فاجعلْ محبَّتكَ له سُلوكاً!
كُنْ عطوفاً لأنَّه عطفَ، وليِّناً لأنَّه لانَ، وخلوقاً لأنَّه كان كذلك،
ما أمركَ به فافعله، وما نهاكَ عنه فانتهِ عنه،
وليس وراءَ ذلك إلا محبَّةً منقوصةً فجاهِدْ لتكتمل!

177

«فَشُوبُوا بيعَكُم بالصَّدقَة»

مرَّ النَّبيُّ ﷺ يوماً بالسُّوقِ، فقالَ: يا معشر التُّجارِ،
إنَّ البيعَ يحضرُه اللَّغوُ والحَلِفُ، فشُوبُوا بِيعَكُمْ بالصَّدَقةِ!
فإن كنتَ تاجراً فاجعلْ لكَ عند الأرباح صدقةً،
فلعلَّكَ حلفتَ على سِلعةٍ، أو كان منك ما يكون من التَّاجرِ لترويجِ البضاعة!
وإن كنتَ موظَّفاً فاجعلْ لكَ عند استلامِ الرَّاتبِ صدقةً،
فلا يخلُو أن تكون تأخرَّتَ عن الدَّوام يوماً،
أو عملتَ على مشروعٍ فلم يأتِ متقنناً كما هو مطلوب،
أو لعلَّكَ غضبتَ على مُراجِعٍ، أو أزعجتَ عميلاً!
وإن كنتَ مقاولاً فاجعلْ لكَ عند نهايةِ المشروعِ صدقةً،
فلعلَّ في المواصفاتِ شيءٌ بخلافِ العقد!
نحن بشرٌ نهايةَ المطافِ ولسنا آلاتٍ تعملُ على كفاءةٍ واحدةٍ،
من هو المدرِّسُ الذي يُعلِّمُ كلَّ حِصصه بذاتِ الاتقانِ؟!
ومن هو الحِرَفيُّ الذي يُصلحُ كل الأشياءِ بذات الإخلاص؟!
ومن هو الكاتبُ الذي يكتبُ كل مقالاته بذاتِ الجودة؟!
شيءٌ من الصَّدقةِ بعد استيفاءِ الأجورِ يجبرُ اللهُ بها الزَّللَ!

178
«إنَّه يُحِبُّ اللهَ ورسُولَه!»

كان على عهدِ النَّبيِّ ﷺ رجلٌ اسمه عبدُ اللهِ، وكان حلوَ الدُّعابةِ، يُضحِكُ النَّبيَّ ﷺ بين الفينةِ والأخرى إذا التقيَا،
وكان عبدُ اللهِ مبتلىً بشربِ الخمرِ، فجلدَه النَّبيُّ ﷺ حدًّا،
ثمّ شربَ مرَّةً أخرى، فجيءَ به إلى النَّبيِّ ﷺ فأمرَ بجلدِه،
فقالَ رجلٌ من الحاضرينَ اللهُمَّ العنْهُ ما أكثر ما يُؤتى به!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ لا تلعنْهُ، واللهِ ما علمتُ إلا أنَّه يُحبُّ اللهَ ورسولَه!

هذا الكلامُ ليس تبريراً للمعاصي ولا حثًّا على ارتكابها، وإنَّما لتغييرِ النظرةِ إلى المبتلينَ بالذُّنوبِ من المسلمين وكلنًّا مبتلىً، ولكن سبحان من أرخى علينا ستره، فأظهرَ للنَّاسِ أحسنَ ما فينا!

في كلِّ إنسانٍ بذرةُ خيرٍ، فلا تحملُوا مفاتيحَ الجنَّةِ والنَّارِ، التي لا تتحجَّبُ تصومُ وتصلِّي وتُحبُّ النَّبيَّ ﷺ فارفقُوا بها، والذي لا يُصلِّي يشعلُ حرباً لشتمِ النَّبيِّ ﷺ أمامَه فخذُوا بيدِه، والذي يصومُ ولا يصلِّي في قلبِه شعلةُ نورٍ فلا تطفئُوها، ارفقُوا بالنَّاسِ فما استقامَ أحدٌ منَّا بقوَّتِه ولكنَّ اللهَ أعانَ، وأغلبُ عصاةِ المسلمين يعصُون ضعفاً لا تكبُّراً وتجبُّراً، فاحمدُوا اللهَ على العافيةِ، ولا تعيّرُوا، ولا تشمَتُوا، ولا تغلظُوا، لأمثالِ هؤلاءِ كان اللهُ يرسلُ الأنبياءَ، فهنيئاً لمن قامَ بعملِ الأنبياءِ!

179
«خيرُ الصَّدقَةِ ما كانَ عن ظَهْرِ غِنىً!»

بينما النَّبيُّ ﷺ بين أصحابه، إذ جاءَ رجلٌ بمثْلِ بيضةٍ ذهباً،
فقالَ: أصبتُ هذه، فخُذْها فهي صدقةٌ، ما أملِكُ غيرَها!
فأعرضَ عنه النَّبيُّ ﷺ، فأتاه الرَّجلُ من جهةٍ ثانيةٍ!
فأعرضَ عنه النَّبيُّ ﷺ، فأتاه من حيثُ أعرضَ عنه!
فأخذَها النّبيُّ ﷺ فرماهُ بها ولم يُصبْه،
ثمَّ قالَ: يأتي أحدُكم بما يملكُ، ثم يقولُ هذه صَدقة،
ثم يقعدُ يستكفُّ النَّاس! خيرُ الصَّدقةِ ما كان عن ظهرِ غنىً!
الأيامُ متقلِّبةٌ، والزَّمنُ مليءٌ بالحوادث،
والمؤمن كيِّسٌ فَطِنٌ يُعِدُّ للتقلُّبِ خطَّةً، وللحوادثِ مواجهةً،
هذه الدُّنيا دارُ أسبابٍ، والأخذُ بالأسبابِ من فقهِ المؤمنِ وحسنِ تدبيرِه،
أنتَ لا تُلقي نفسكَ في البحرِ متَّكلاً على الله في حين أنَّكَ لا تجيدُ السِّباحةَ،
أنتَ تتعلَّمُ السَّباحةَ ثم تخوضُ غمارَ البحرِ متَّكلاً على اللهِ،
وقد كان النَّبيُّ ﷺ يكرهُ أن يتصَّدقَ الرَّجلُ بمالِه كلِّه،
عندما تابَ الله على كعبِ بن مالكٍ، قال: من توبتِي أن أنخلِعَ من كلِّ مالي!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أمسِكْ عليكَ بعضَ مالكَ فهو خيرٌ لك

180

«اِطْرَحْ مَتَاعَكَ في الطَّرِيقِ!»

شكا رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ أذيَّةَ جارِه، فقالَ له: اِصبرْ،

ثمّ عادَ بعد فترةٍ يشكُوه، فقالَ له النبي ﷺ: اِصبرْ،

ثمّ في الثَّالثةِ قالَ له: اذهبْ فاطرحْ متاعكَ في الطَّريقِ!

فأخرجَ الرَّجلُ أثاثَ بيتِه إلى الطَّريقِ، وجعلَ النَّاسُ يسألونَه عن السَّببِ،

فيخبرُهم أنَّه فعلَ هذا بسببِ جارِه، وجعلَ النَّاسُ يلعنُوه!

فجاءَ جارُ السُّوءِ إلى النَّبيِّ ﷺ يشكُو ما لقيَه من النَّاسِ،

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: وما لقيتَ؟

فقالَ: يلعنُونِي!

فقالَ له: لقد لعنكَ اللّٰهُ من قبل!

فقالَ: عاهدتُكَ اللّٰه أنِّي لا أعود!

فأرسلَ النَّبيُّ ﷺ إلى جارِه: ارفعْ متاعكَ فقد كُفيتَ!

أحياناً يفوقُ الأذى قدرتَنَا على الاحتمالِ،

وأسوأُ ما في النَّاسِ أنَّهم يفهمُون الصَّبرَ ضعفاً فيتمادُون!

لهذا عليكَ أحياناً أن تُخرجَ متاعكَ إلى الطَّريقِ!

فإنَّ الرَّاضي بالظُّلم ليس حليماً بقدرِ ما هو جبان!

الشَّكوى إلى القضاءِ، مواقعُ التَّواصلِ، اللجوءُ إلى وجهاءِ الحي، إخراجُ متاعٍ إلى الطَّريقِ!

ليس في ذنبٍ أبكاك،
وإنَّما في ذنب خدَّرَكَ!



181

«فَهُمْ مِنِّي، وأنَا مِنهُم!»

كان النَّبيُّ ﷺ يُعجبُه التَّكافلُ بين النَّاسِ،
وحَّدثَ يوماً أصحابَه يُشيدُ بقومِ أبي موسى الأشعريِّ:
إنَّ الأشعريين إذا أرملُوا في الغزو، أو قلَّ طعامُ عيالهم في المدينةِ،
جمعُوا ما كان عندهُم في ثوبٍ واحدٍ،
ثم اقتسمُوه بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسَّويَّة، فهم مِنِّي، وأنا منهم!
إذا أحسستَ بوجعكَ وحاجتكَ فأنتَ حيٌّ،
وإذا أحسستَ بأوجاعِ النَّاسِ وحوائجهم فأنتَ إنسانٌ!
المؤمنُ يوجعُه مُصابُ المؤمنِ وان سَلِمَ هو من المصابِ!
فإن رأيتَ المسلمينَ تحت الأنقاضِ بفعل زلزالٍ ولم يتوجَّعْ قلبُكَ فراجعْ إسلامكَ،
وإن رأيتَ بيوت المسلمين تجرفُها الفيضاناتُ ولم تتألمْ فراجعْ عقيدتكَ،
وإن رأيتَ المريضَ عاجزاً عن دفع تكاليفِ العلاجِ،
ولم يخطرْ لكَ ولو خاطرٌ أن تُعينَه ففي صدركَ حجرٌ لا قلب،
وإن رأيتَ يتيمَ الحيَّ ينامُ جائعاً ولم تحملْ له طعاماً من بيتك،
فإنَّ الإيمانَ لم يختلطْ بلحمِكَ وعظمِكَ بعد!

182
«إنَّ اللهَ أمَرَنِي أنْ أقرأ عَليْكَ!»

أرسلَ النَّبيُّ ﷺ في طلبِ أُبَيٍّ بن كعبٍ فجاءَ، فقالَ له: إنَّ اللهَ أمرنِي أن أقرأ عليكَ «لم يكُنِ الذينَ كَفرُوا..».

فقالَ له أُبَيٌّ بن كعبٍ: وسمّانِي لكَ؟

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: نعم، سمَّاكَ لي!

فجعلَ أُبَيٌّ يبكي من هولِ الموقفِ ورهبتِه، وبقيَ حتى آخرِ عمرِه يقولُ مفتخراً: أنا الذي سمَّانِي ربِّي!

والسَّببُ في أُبَيٍّ بن كعبٍ دون غيرِه فلأنَّه أقرأُ الصَّحابةِ للقرآنِ!

الإسلامُ العظيمُ بلغَ ذروةَ مجدِه لأنَّه كان يضعُ الرَّجلَ المناسبَ في المكانِ المناسبِ، أبو بكرٍ أفضلُ من خالدِ بن الوليدِ، ولكنَّ خالدَ في الحربِ أنفعُ للمسلمين! وعمرُ بن الخطَّابِ أفضل من أُبيّ ولكنَّ أُبيَّ أحفظُ للوحي منه!

رجلُ الدَّولةِ قد لا يصلحُ لعلمِ الحديثِ والفقهِ، وقائدُ الجيشِ قد لا يصلحُ أن يكون أستاذاً جامعيًا، والطبيبُ الماهرُ لا يعني أنَّ بإمكانِه أن يكون وزيراً ناجحاً، وعلى فضلِ أبي ذرٍّ، وصحبتِه، وصدقِه، وتاريخِه الحافلِ في الإسلام، إلا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: إنِّي أراكَ ضعيفاً، لا تأمرنّ على اثنين ولا تولّينَ مالَ يتيم!

الولايةُ لأبي ذرٍّ إرهاقٌ له، وتحميلُه ما لا يطيقُ، وإضاعةُ مصالحِ النَّاسِ، لا تكفي كثرةُ العباداتِ لتوليةِ المناصبِ، فضعُوا كلَّ امرئٍ حيث يجب!

183
«ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ!»

كان النَّبيُّ ﷺ يُحِبُّ أن يكونَ للإنسانِ مهنة يتكسَّبُ منها،
وقد قال مرَّةً لأصحابِه: كان زكريا عليه السَّلامُ نجَّاراً!
وكان يكرهُ أن يرى الرَّجلَ يسألُ الصَّدقةَ وهو قادرٌ على العملِ،
فقال: لا تحِلُّ الصَّدقةُ لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّةٍ سويٍّ!
التسَّولُ صارَ في أيامنا مهنةً ولم يعدْ حاجةً!
وإننا نرى الرَّجلَ صحيحَ الجسمِ لو ارتطمَ بجدارٍ لهدمَه يمدُّ يدَه للنَّاسِ،
فلا تُعطُوا أمثالَ هؤلاءِ لأنَّكم بهذا تُشجِّعُون ظاهرةً سيِّئةً، ومشهداً مستقبحاً،
وقد كانَ أهلُ الأندلسِ إذا رأوا المتسِّولَ ليس فيه عاهةً،
وبَّخُوه، وحثُّوه على العملِ، ولم يعطُوه الصَّدقةَ!
وهذا من فقهِهم لا من بخلِهم،
ومن حُسنِ سياستهِم وتدبيرهم لا من شُحِّهم وتقتيرهم!

184
«رَجُلٌ من أَهْلَ الجَنَّة!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابِه: يطلعُ عليكم الآنَ رجلٌ من أهلِ الجنَّة!
فدخلَ رجلٌ من الأنصارِ تقطرُ لحيتُه ماءً من أثرِ الوضوءِ،
وفي اليومِ التَّالي أعادَ النَّبيُّ ﷺ مقالتَه، فدخلَ الرَّجلُ نفسه،
وفي اليومِ الثَّالثِ أعادَ مقالتَه، فإذا بالرَّجلِ ذاته يدخل!
فذهبَ عبدُ اللهِ بن عمرو بن العاص إلى بيتِ الرَّجلِ وقالَ له:
تخاصمتُ مع أبي، فإن رأيتَ أن تستضيفني عندكَ ثلاثةَ أيَّام!
فمكثَ عنده ثلاثاً، فما وجده أكثرَ عبادةٍ من الصَّحابة!
فأخبرَه أنَّها حيلةٌ ليرى لأيِّ شيءٍ كان النَّبيُّ ﷺ يقولُ عنه من أهلِ الجنَّة،
فقالَ الرَّجلُ: ليس لي من عبادةٍ غير ما رأيتَ،
غير أنِّي لا أجدُ في نفسِي غِشّاً لأحدٍ من المسلمين،
ولا أحسِدُ أحداً على خيرٍ أعطاه اللهُ إيَّاه!
فقالَ له عبدُ اللهِ: هذه التي بلغتْ بكَ، وهي التي لا نطيقُ!
أصلِحْ قلبكَ ثم لا يضرُّكَ أنك لم تقُمْ إلا بالفرائضِ،
فما يُؤتى النَّاسُ إلا من خرابِ قلوبِهم!
توجَّعْ لعثرةِ أخيكَ كأنَّكَ الذي عثرتَ، ولذنبِه كأنَّكَ الذي أذنبتَ،
اُدْعُ للنَّاسِ بالبَركةِ فقد أخذُوا من اللهِ لا منكَ،
المرضَى وحدهم هم الذين يتمنَّونَ زوالَ النِّعمِ عن النَّاس!

185
«عَجِبَ اللهُ من صَنِيعِكُمَا!»

جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ ضيفٌ ولم يكُنْ في بيوتِ أزواجِه إلا الماء!

فقالَ لجلسائِه: من يضيفُ هذا الليلةَ رحمَه الله؟

فقالَ رجلٌ من الأنصارِ: أنا يا رسولَ الله!

وقالَ لزوجتِه: هذا ضيفُ رسولِ اللهِ فهيِّئي له الطَّعامَ،

فقالتْ: ما عندي إلا طعامُ أولادي!

فاتَّفقا أن ينوِّما أولادهُما، وتقومُ الزَّوجةُ فتمثّل أنَّها تصلحُ السِّراجَ فتطفئه،

ثمَّ في الظَّلامِ يوهِمَانِ الَّضيفَ أنهما يأكلانِ، ويأكلُ وحدَه ليشبعَ،

فنامَا جائعين، ونامَ الضَّيفُ شبعانَ،

وفي الصَّباحِ قالَ النَّبيُّ ﷺ للرَّجلِ: لقد عجبَ اللهُ من صنيعكُما!

لا الفقرُ عيبٌ، ولا الغِنى سُبَّةٌ، المهمُّ أخلاقُ الإنسانِ في الحالتين!

تخيَّلْ أن النَّبيَّ ﷺ لم يجدْ في بيوتِ زوجاتِه كلِّهنَّ طعامٌ لضيفٍ واحد!

والعطاءُ أدبٌ أيضاً، وأن تحرمْ إنساناً من صدقتِكَ،

خيرٌ من أن تعطيَه وتشعرَه بالحرجِ وتجرحُ كرامتَه،

وما أطفأَ الأنصاريُّ وزوجتُه السِّراجَ إلا لرفعِ الحرجِ عن الضَّيفِ!

186

«إنَّ فِي المَدِينَةِ لرِجَالاً!»

في طريقِ العودةِ من غزوةِ تبوكٍ، قال النَّبيُّ ﷺ لأصحابه،
إنَّ في المدينةِ لرجَالاً ما سرتُمْ مسيراً، ولا قطعتُمْ وادياً،
إلا كانُوا معكم، وشركُوكُم في الأجرِ، حبسَهُم العذرُ!
نيَّةُ المؤمنِ خيرٌ من عملِه، وعملُ المنافقِ خيرٌ من نيَّتِه!
صلَى ابنُ سلولٍ كثيراً خلفَ النَّبيِّ ﷺ ولكنَّه في النَّارِ،
ذلك أنَّ هذا العملَ الجميلَ أفسدتْه النِّيةُ السَّيئةُ،
بالمقابلِ حُرمَ بعضُ الصَّحابةُ من تلك الغزوةِ فأخذُوا الأجرَ كاملاً،
ذاك أنَّ هذا القُعود عن الجهادِ كان وراءَه قلبٌ يتمَّزقُ لأنَّه لم يتيسَّر!
أَصلِحُوا نواياكم فعليها تُؤجرُون وتُثابُون،
كم من عملٍ بسيطٍ جعلته النَّيةُ الصالحةُ جبلاً في الميزانِ،
وكم من عملٍ كالجبلِ جعلته النِّيةُ الفاسدةُ بلا وزنٍ كذرَّاتِ الغبارِ!

187
«لقَدْ قُلْتِ كَلمَةً!»

كانتْ أُمُّنَا عائشةُ جالسةً يوماً مع النَّبيِّ ﷺ فقالتْ له:

حسبُكَ من صفيَّةَ كذا وكذا، أي أنَّها قصيرةٌ!

فقالَ لها النَّبيُّ ﷺ: يا عائشة، لقد قلتِ كلمةً، لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لمزجتْهُ!

الكثيرُ من التَّصرفاتِ مرجعُها إلى الطِّباعِ البشريَّةِ لا إلى الإيمانِ،

فالإيمانُ لا يلغي الطَّبائعَ وإنَّما يؤدِّبُها!

عائشةُ جبلٌ من الإيمانِ ولكنَّها امرأةٌ ومن الطَّبيعيِّ أن تغارَ من ضرّتها، ومن قبل كانتْ سارةُ جبلاً من الإيمانِ أيضاً، وقد غارتْ من هاجرَ حين تعلَّقَ قلبُ إبراهيم عليه السَّلام بها وابنها!

الإيمانُ لا يقتلُ فينا نزعةَ الطِّينِ الذي خلقنا منه،

ولكنَّه يُهذِّبها كي لا نتفلتَ، وإذا انفلتتْ أن ترجعَ سريعاً،

الإيمانُ لم يلغِ عاطفةَ الأبوَّةِ عند نوحٍ عليه السَّلام،

فقد توجَّعَ لموتِ ابنه على الكفر وقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي﴾

فلمَّا نهاه الله تعالى عن مراجعته فيه انتهَى على الفور!

أيَّها الناسُ: النَّاسُ سيبقُون دوماً ناساً!

188

«مَنْ يشتَرِي العبدَ؟!»

اعتادَ أعرابيٌّ اسمُه «زاهر» أن يأتيَ من الباديةِ إلى المدينةِ،
وكان دميمَ الوجهِ، ولكن له قلبٌ حلوٌ كقطعةِ السُّكرِ!
وكان النَّبيُّ ﷺ يحبُّه، ويمازحُه بين الفينةِ والأخرى،
فجاءَ النَّبيُّ ﷺ يوماً من ورائِه واحتضنَه من الخلفِ،
وجعلَ ينادي ممازحاً: من يشتري العبدَ؟!
فقالَ زاهرٌ: يا رسولَ اللهِ، إذاً واللهِ تجدنِي كاسداً!
فقالَ له: لكن عند اللهِ أنتَ غالٍ!
كان النَّبيُّ ﷺ أكثرُ النَّاسِ همًّا ولكنّه لم يسمحْ لهمومه أن تقتلَ فيه الإنسانَ!
كان زوجاً رائعاً، وأباً حنوناً، وجاراً لطيفاً، وصاحباً وفيًّا!
وها هو يمازحُ زاهراً ولم يكن إلا بائعاً بسيطاً متجوِّلاً!
ثمَّ تأملْ هذه بقلبكَ: لكن عند اللهِ أنتَ غالٍ!
لا يهمُّ من أنت عند النَّاسِ، المهمُّ من أنت عند اللهِ!
أن يجهلكَ النَّاسُ ولكن إذا ما رفعتَ يديكَ تدعُو،
قالتِ الملائكةُ: يا اللهُ، صوتٌ معروفٌ من عبدٍ معروفٍ،
أن تموتَ فلا يتذكَّركَ أحدٌ، ولكن يبكيكَ ممشاكَ إلى المسجدِ، ومكانُ سجودكَ،
هذا هو المجدُ كلُّه، فإن أدركتَه فلم يفتْكَ من المجدِ شيءٌ!

189
«أَبَرُّ البِرِّ!»

لقيَ عبدُ اللهِ بن عمر بن الخطَّابِ في أحدِ أسفارِه أعرابيًا،
فقالَ له: ألستَ فلانَ بن فلانٍ؟
فقالَ: بلى.
فأعطاه حماراً يركبُ عليه، وثوباً يلبسُه، وعمامةً يشدُّ بها رأسَه،
فقالَ له أصحابُه: إنهَّم الأعرابُ، وإنِّهم يرضيهم القليلُ، قد أكثرتَ له!
فقالَ لهم: إنَّ أبا هذا كان ودّا لعمرِ بن الخطاب، وإنِّي سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: إنَّ أبرَّ البرِّ أن يصلَ الرَّجلُ ودّ أبيه!
ابحثُوا عن أصدقاءِ آبائكُم وأمهاتكُم فصِلوهُم،
يا له من برٍّ إذا مرضتْ صديقةُ الأمِّ فجئتَ لزيارتِها،
وكأنَّكَ تقولُ لأمِّكِ: ولأجلِ عينٍ ألفُ عينٍ تكرَمُ!
ويا له من برٍّ أن تلقَى صديقَ أبيكَ فتصافحُه بحرارةٍ،
وإنْ علمتَ أنَّ له حاجةً أن تسارع فتقضيَها له.
برُّ الوالدين لا يتوقَّفُ بموتهما، إنَّه عبادةٌ تؤدِّيها حتى تموتَ أنتَ!

190
«حتَّى أكُونَ أنَا آتيَه!»

يومَ فتحِ مكَّة ذهبَ أبو بكرٍ إلى بيتِه وجاءَ بأبيه أبي قُحافة،

الشَّيخُ الطاعنُ في السِّنِّ، الذي كان قد عَمِيَ، ولم تعدْ تحملُه قدماه،

وجاءَ به إلى النَّبيِّ ﷺ ليدعوَ له فيسلم،

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: هلَّا تركتَ الشيخَ في بيتِه حتى أكونُ أنا آتيه؟!

فقالَ له أبو بكرٍ: هو أحقّ أن يمشيَ إليكَ من أن تمشيَ أنتَ إليه!

فمسحَ النَّبيُّ ﷺ على صدرِ أبي قُحافة وقالَ له: أسْلِم!

فأسلمَ أبو قحافةٍ، وبكَى يومها أبو بكرٍ بكاءً شديداً من الفرحِ،

الرَّجلُ الذي أسلمَ على يديه كبارُ الصَّحابةِ أكرمَه اللهُ بإسلام أبيه، يا له من ربٍّ وفيٍّ، والجزاءُ من جنسِ العملِ!

وانظرْ لأدبِ النَّبيِّ ﷺ: هلَّا تركتَ الشيخَ في بيته؟!

تعامَلْ مع كلِّ شيخٍ على أنَّه والد، ومع كلِّ عجوزٍ على أنَّها والدة،

الإنسانُ في آخرِ عمره ينكسرُ لضعفِ جسده وخوارِ قواه،

ولا شيءَ يرمِّمُ هذا الانكسارِ سوى التَّوقيرِ الذي يجدُه ممَّن حوله!

191
«بَقِيَتْ كلُّها إلا كتِفهَا!»

ذُبحتْ شاةٌ في بيتِ النبَّيِّ ﷺ فأمرَ أهلَه بالصَّدقةِ منها، وخـرجَ لبعـضِ شـأنه، فلمَّـا عـادَ سـألَ عائشـةَ عـن الشَّـاةِ قائـلاً: مـا بقـيَ منهـا؟

فقالتْ: ما بقيَ إلا كتفُهَا!

فقالَ لها: بقيتْ كلُّها إلا كتفَها!

المالُ الذي نحملُه بين أيدينا ليس لنا!

إنَّـه للبقَّالـةِ، والسـوقِ، ومحطَّـةِ الوقـودِ، وفواتيـرِ المـاء والكهربـاءِ، ثـم بعـد جهـادٍ طويلٍ فـي الاقتصـادِ والادِّخـارِ يذهـبُ مـا بقـيَ للورثـة!

مالنـا الحقيقـيُّ هـو مـا ندَّخـرُه عنـد اللهِ اليـومَ لنجـدَه عنـدَه هنـاك غداً!

يا له من بنكٍ، ويا له من ادِّخارٍ،

تمرةٌ من كسبٍ حلالٍ تتصدَّقُ بها لا تريدُ إلا وجهَ اللهِ،

يأخذُهـا الرَّحمـنُ بيـدِه، ويُنمِّيهـا لـكَ، حتـى تجدَهـا يـومَ القيامـةِ كالجبـل،

ومن أجملِ ما كُتبَ على جدرانِ المقابرِ:

ليس لكَ من مالكَ هنا إلا ما سبقكَ في المجِيء!

192

«المَرْءُ مَعَ منْ أَحَبَّ!»

جاءَ أعرابيٌّ جهُورِيُّ الصوتِ ونادَى: يا مُحمَّد!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: هاؤُم.

فقالَ له الصَّحابةُ: ويحكَ اغضُضْ صوتَكَ فإنَّكَ عند النَّبيِّ ﷺ، وقد نُهينا أن نرفعَ أصواتَنا عندَه!

فقالَ: واللهِ لا أغضُض!

ثمَّ قالَ: يا محمَّد، المرءُ يُحِبُّ القومَ ولمَّا يلحقْ بهم.

فقالَ له النبَّيُّ ﷺ: المرءُ مع من أحبَّ يومَ القيامة!

درسٌ عظيمٌ مفادُه: لا تأخذْ كلَّ تصرُّفٍ تنقصُه اللياقةُ بصورةٍ شخصيَّة،

النَّاسُ طباعٌ، وعاداتٌ، وعقولٌ، وبيئاتٌ مختلفةٌ،

بعضُ النَّاسِ يناقشُ أعقدَ المسائلِ الفكريَّةِ باتزانٍ، كأنَّه يقرأُ في المصحف!

وبعضُهم يناقشُ في كرةِ القدم كأنَّه في حرب!

أعرابيٌّ تركتْ فيه الصَّحراءُ قسوتَها، والمناخُ جلافتَه، والرَّعيُ حدَّةَ صوتِه،

ينادي النَّبيَّ ﷺ يا محمَّد، هكذا مجرَّداً من لقبِ النُّبوةِ،

ومع هذا يجيبُه بلهجتِه: هاؤم! أي ها أنا تفضَّل أسمعُكَ!

193
«أَنْتَ مَعَ من أَحبَبْتَ!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ وقالَ له: متى السَّاعة؟
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: ما أعددتَ لها؟!
فقالَ ما أعددتُ لها كثيرَ صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقةٍ،
ولكنّي أحبُّ اللّه ورسُولَه!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أنتَ مع من أحببتَ!
يا لحظّنا ونحن نحِبُّ النَّبيَّ ﷺ وأهلَ بيتِه،
ونحبُّ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليًا وخالدَ وعائشة،
ونحبُّ كلَّ من أحبَّه ونصرَه وساندَه وساعدَه!
كلُّ شخصٍ لا يسرُّكَ أن تكون معه يومَ القيامة،
فأخرِجْ حبَّه على الفورِ من قلبكَ، فالحبُّ عبادةٌ أيضاً!

194

«إلا حَصَائِدُ ألسنَتِهِم!»

سألَ معاذٌ النَّبيَّ ﷺ عمَّا يدخِلُه الجنَّةَ وينقذُه من النَّارِ،
فعدَّدَ له أصنافاً مع العباداتِ،
ثمَّ قالَ له يا معاذ، ألا أخبركَ بملاكِ ذلك كلِّه؟!
فقالَ معاذٌ: بلى يا رسول الله.
فأخذَ النَّبيُّ ﷺ بلسانِهِ وقالَ: كفَّ عليكَ هذا!
فقالَ له معاذٌ: يا نبيَّ اللهِ وإنَّا لمؤاخذُون بما نتكلَّمُ به؟
فقالَ له: ثكلتكَ أمُّكَ يا معاذ،
وهل يكبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتِهِم؟!
هذا اللسانُ ليس فيه عظمٌ ولكنَّه يكسرُ العظمَ!
كم شخصٍ لم ينمْ ليلةً بسببِ كلمةٍ جارحةٍ!
وكم بنتٍ توقَّفَ زواجُها بسببِ كلمةٍ كاذبةٍ!
وكم شخصٍ فقد وظيفتَه بسببِ كلمةٍ واشيةٍ!
وكم صداقةٍ انفرطَ عقدُها بسببِ كلمةٍ فاتنةٍ!
اختارُوا مفرداتَكم بدقَّةٍ، وردودَكم بعنايةٍ، وتعقيباتَكم بتأنٍ،
وتذكَّرُوا نحن لا نملأُ مواقعَ التَّواصلِ نحن نملأُ صحائفنَا!

195
«لا يَرْفَعُ شيئاً من الدُّنيا إلى وضَعَه!»

كانَ للنَّبيِّ ﷺ ناقةٌ سريعةٌ تُسمَّى العضباءَ،
وكانَ النَّاسُ يتسابقُون بنوقِهم فيتسابقُ النَّبيُّ ﷺ بناقتِه معهم،
وكانَ الصَّحابةُ يفرحُون جدًّا إذا حلَّتِ العضباءُ أوَّلاً،
وذاتَ يومٍ جاءَ أعرابيٌّ على جملٍ له فسابقَ العضباءَ فسبقَها،
فحزنَ الصَّحابةُ لذلك وقالُوا: سُبقتِ العضباءُ!
فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: إنَّ حقًّا على اللهِ، ألا يرفعَ شيئاً من الدُّنيا إلا وضعَه!
اعتزالُ الحياةِ بكلِّ ما فيها ليس من الدِّينِ في شيء!
الدِّينُ يريدُنا أن ننغمسَ في الحياةِ وفقَ شرعِ ربِّنا،
نتمازحَ ونتزاورَ ونذهبَ إلى الأسواقِ، ونخرجَ في نزهاتٍ،
الحياةُ في كنفِ اللهِ جنَّةٌ فعيشُوها على هذا الأساسِ!
التَّرويحُ عن النَّفسِ بالمباحِ أمرٌ مشروعٌ، بل مندوب!
واستتفاه عاداتِ النَّاسِ، واهتماماتِهم المباحة، وتقاليدِهم المشروعَة،
ليست من التَّقوى وإنَّما من التَّشدُّدِ المذمُوم،
النَّبيُّ ﷺ أتقَى النَّاسِ وأعبدُهم وكان يشاركُ في سباقِ النُّوق!

الرِّقَةُ تهْزِمُ القُوَّةَ، فكُنْ دوماً
الجِهَةَ الآمنةَ، امسحْ دمعةَ المَحْزُونِ،
وَارْبِتْ على كتفِ المخذولِ، عَانِقِ الفَاقِد،
وتفَقَّدْ الغَائِبَ، الأمرُ لا يحتاجُ إلى بُطُولَاتٍ
خَارِقَةٍ، كُنْ إنْسَاناً فقط!

196

«الحربُ خِدعَة»!

قالَ النَّبيُّ ﷺ الحربُ ولم يقُلِ الحُبّ،
ولكنَّ الغادرين دسُّوا الرَّاءَ بين الباءِ والحاء!
اتقِ اللّه في قلوبِ النَّاس،
لا تقُلْ بلسانكَ ما ليس في قلبِكَ،
ولا تُمسِكْ يداً وفي خاطرِكَ أن تترُكَهَا،
ولا تمشِ طريقاً دونَ نِيَّةٍ جَادَّةٍ في الوصول،
ولا تقطعْ وعداً زائِفاً لا ترغبُ أن تفِيَ به،
ولا توقدْ شمعةً في قلبِ أحدٍ ثمَّ تُطفِئْهَا،
لربَّما لم تكُن هذه طريقُهُ،
ولكنَّهُ مَشَى فِيهَا معكَ مُمَنِّياً نَفْسَهُ أنْ يبلغَ آخرها!
حينَ تهدمُ حُلمَ إنسانٍ تكون قد هدمتَ حياته،
كسرُ القلبِ لا يُحْدِثُ صوتاً كَكَسْرِ العَظْمِ ولكنَّهُ أشدّ إيلاماً!

197
«الصُّحْبَةُ يا أَبَا بَكْرٍ!»

جاءَ النَّبيُّ ﷺ إلى بيتِ أبي بكرٍ وقالَ له: أُذِنَ لي بالهجرَةِ!
فقالَ له أبو بكرٍ: الصُّحَبةَ يا رسولَ اللهِ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: الصُّحبةُ يا أبا بكرٍ!
فقالَ: يا رسولُ اللهِ، عندي ناقتينِ أعددتُهما للخروجِ فخُذْ إحدَاهما،
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: بثمنِها يا أبا بكرٍ، فلا أركبُ بعيراً ليس لي!
أرادَ النَّبيُّ ﷺ أن يدفعَ ثمنَها لتكونَ هجرتُه بنفسه وماله!
وإلا لطالما أعطاهُ أبو بكرٍ من مالِه، وطالما قبلَ النَّبيُّ ﷺ منه!
تعاملُوا مع أصدقائِكم بالمعروفِ لا بالورقةِ والقلمِ!
تحسَّسُوا حاجاتِهم واقضُوها قبل أن يسألُوها،
فبئسَ الصَّديقُ هو الذي يَحُوجُ صديقهَ أن يطلبَ منه!
على أنَّه لا يتنافى مع الأخلاقِ أن تُؤدَّى الحقوقُ وتُدفَعُ الأثمان،
ليس كلُّ النَّاسِ فاحشِي الثَّراء، ولا كلهُّم يقدرُ أن يحملَ صاحبَه،
ولكن يبقَى الإحسانُ والمعروفُ سيِّدا الأخلاقِ بين الأصدقاءِ!

198
«إنَّما الغِنَى غِنَى القَلبِ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ لأبي ذَرٍّ: يا أبا ذَرّ، أترى كثرةَ المالِ هو الغِنى؟
فقالَ أبو ذرٍّ: نعمْ يا رسولَ اللهِ!
فقالَ له: أترى قلّةَ المالِ هو الفقرُ؟
فقالَ أبو ذرٍّ: نعمْ يا رسولَ اللهِ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: إنَّما الغِنى غنى القلبِ، والفقرُ فقرُ القلبِ!
كُلُّ قليلٍ مع الرِّضى كثيرٌ، وكلُّ كثيرٍ مع الطمعِ قليلٌ!
كلُّ واحدٍ منا يعرفُ فقيراً في جيبِه ثرياً في قلبِه،
ويعرفُ ثريًا في مالِه ولكنَّ الطمعَ قد نخرَ قلبَه فهو فقيرٌ لا يكتفي!
ارضَ بما قسَمَ اللهُ لكَ تكُن أغنى النَّاس!
وغُضَّ طرفكَ عمَّا في أيدي النّاسِ تَسعدْ بما في يديكَ!
إنَّ من أقسَى العقوباتِ التي يضربُ اللهُ تعالى بها العبدُ،
أن يجعلَ فقرَه في قلبِه، وجوعَه في نَفْسِه!
وأنَّ من أجملِ النِّعمِ التي ينعِمُ اللهُ تعالى بها على العبدِ،
أن يجعلَ غنَاه في قلبه، وشَبَعَه في نفسِهِ!

199
«وطِيبُ النَّفسِ من النَّعيمِ!»

كانَ النَّبيُّ ﷺ بين أصحابِه فخَاضُوا فِي ذِكرِ الغِنى،
فقالَ لهم: لا بأسَ بالغِنى لمن اتقَّى اللَّه عزَّ وجل،
والصَّحةُ لمن اتقَّى خيرٌ من الغِنى، وطيبُ النَّفسِ من النَّعيم!
أن ينزلَ بكَ مرضٌ فإذا أنتَ صابرٌ،
وأن تنزلَ بكَ نعمةٌ فإذا أنتَ شاكرٌ،
أن تفقِدَ عزيزاً فإذا أنتَ تُسلِّمُ للِّه في أقدارِه،
أن يضيقَ رزقُكَ فإذا أنتَ تُؤمنُ أنَّ الكريمَ لا يمنعُ إلا لحكمةٍ!
أن ترى البيتَ الجميلَ فتدعو لصاحبِه بالبركَة،
وأن ترى السَّيارةَ الفارهةَ بعينكَ لا بقلبكَ وتسأل اللّهُ لصاحبِها التَّوفيق،
وأن ترى الزَّوجين بينهما حُبٌّ وإلفة فتسأل اللّهُ لهما الزِّيادة،
وأن يحصلَ غيركَ على الوظيفةِ فتسأل اللّه تعالى له المعونةَ فيها!
حبُّ الخيرِ للنَّاسِ جهاد لا يستطيعه كلُّ أحد،
فمتى كنتَ كذلكَ لم تضّركَ قساوةُ الدُّنيا لأنَّ جنَّتكَ في قلبكَ!

200

«لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فيها حقَّه!»

كانَ لأعرابيٍّ دَيْناً عند النَّبيِّ ﷺ فجاءَ يتقاضَاه قبلَ وقتِه، فأغلظَ له القولَ، حتى أنَّه تجرَّأَ فقالَ: أُحَرِّجُ عليكَ إلا قضَيْتَني!

فانتهرَه الصَّحابةُ، وقالُوا: ويحكَ أتدرِي من تُكلِّم؟!

فقالَ: إنِّي أطلبُ حقِّي!

فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: هلَّا مع صاحبِ الحقِّ كنتُم!

فأرسلَ إلى خولةَ بنتِ قيسٍ فاستدانَ منها وأعطَى الأعرابيَّ دينَه، ثم قالَ: لا قُدِّستْ أُمَّةٌ لا يأخذُ الضَّعيفُ فيها حقَّه غير متَعْتَعٍ!

أي ينالُ حقَّه دون أن يصيبَه شيءٌ من الأذى!

علينا أن نفهمَ أن صاحبَ الحاجةِ أرعنٌ كما تقولُ العرب!

وصاحبُ الحقِّ قد يطلبُه بأسلوبٍ فظٍّ!

الزَّوجةُ المظلومةُ قد تخرُجُ عن طورِها إذا اشتكتْ،

والعاملُ الذي أُكِلَ حقُّه قد يلجأُ إلى التَّشهيرِ،

ولكن كل هذه الحِدَّة والفظاظَة لا تُسقطُ حقوقَهم!

إعطاءُ طالبِ الحقِّ درساً في التَّربيةِ قبل أداءِ حقِّه مثاليَّةٌ زائدة، ارفعُوا الأذَى، وأعيدُوا الحقوقَ أوّلاً، ثم بعدَها الموعظِة!

201
«وَلا تَحْقِرَنَّ من المعرُوفِ شيئاً!»

جاءَ سُلَيمُ بن جابرٍ إلى النَّبيِّ ﷺ يطلبُ نصيحةً،
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: عليكَ باتقّاءِ اللّهِ،
ولا تحقِرَنَّ من المعروفِ شيئاً ولو أن تُفرغَ من دلوِكَ في إناءِ المُستسقِي!
أن تُوقِفَ سيَّارتَكَ لتعبرَ قطَّةٌ الطَّريقَ معرُوف،
وأن تحملَ كيساً ثقيلاً عن عجوزٍ معرُوف،
وأن تجُرَّ قعيداً على كرسيِّه معرُوف، وأن تعطيَ عاملاً قارورةَ ماءٍ معرُوف،
وأن تُصلحَ بين زوجينِ شبَّ بينهما خلافٌ معرُوف،
وأن تُهديَ جاركَ صحنَ طعامٍ معرُوف، وأن تعينَ مريضاً علاجِه معرُوف،
وأن تستُرَ على إنسانٍ في معصيَةٍ اقترفَها معرُوف،
الطُّرقُ إلى الخالقِ بعددِ أنفاسِ الخلائقِ،
فيا تعسَ من كثُرَتْ أمامه الطُّرقُ فلم يمشِ!

202

«إنَّمَا أَرَدتُ هَذا يَا رسُولَ اللهِ!»

كانَ أُسَيدُ بن حُضيرٍ من عُقلاءِ النّاسِ وأشرافِهم، وكان فيه حسُّ دُعابةٍ،

وبينما هو يُحدِّثُ القومَ يُمازحُهم ويُضحكُهم!

إذ طعنَه النَّبيُّ ﷺ بسواكٍ في خاصرَتِه!

فقالَ له أُسيدٌ: أصْبِرْنِي، أي اجعلنِي اقتصُّ منكَ لهذه الطّعنة!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ، اِصْطَبِرْ!

فقالَ له أُسيدٌ: إنَّ عليكَ قميصاً، وليس عليَّ قميصٌ!

فرفعَ النَّبيُّ ﷺ عن قمصيه، فاحتضنَه أُسيدٌ وقَبَّلَ بطنَه،

وقالَ له: إنَّما أردتُ هذا يا رسولَ اللهِ!

وَدَدْنا واللهِ لو عشنا معكَ هذه المواقف يا رسول الله،

وَدَدْنا لو احتضّناكَ يومَ نزولِ الوحي، وأطعمناكَ بأيدينا في حصارِ الشِّعْبِ!

وَدَدْنا لو تلقَّينا عنك الحجارةَ يومَ الطَّائفِ، والضّربةَ اللئيمةَ يومَ أُحدٍ!

وَدَدْنا لو عزَّيناكَ فقد ابنكَ إبراهيم، واستشهادَ عمِّكَ حمزة!

وَدَدْنا واللهِ حتى أن نأكلَ عنكَ شاةَ اليهوديِّةِ المسمُومة!

ولكنَّنا نتعزَّى بقولكَ: موعدُكم معيَ على الحوضِ!

203

«امْحِهَا يا عَلِيّ!»

فـي صُلـحَ الحُديبيـةِ لـم يُعجِـبْ سـهيلُ بـن عمـرو أن يُكتـبَ فـي الوثيقـة،

هذا ما اتَّفقَ عليه محمَّدٌ رسولُ اللهِ مع قريش،

فقالَ له: لو نعلمُ أنَّكَ رسولُ اللهِ ما صددناكَ عن البيتِ!

ولكن أُكتُبْ: هذا ما اتَّفقَ عليه محمَّدُ بن عبدِ اللهِ مع قريش!

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: امْحِها يا عليُّ واُكتبْ محمَّدُ بن عبدِ الله!

فقالَ عليٌّ: واللهِ لا أمحوها أبداً يا رسولَ اللهِ!

فطلبَ النَّبيُّ ﷺ من عليٍّ أن يدُلَّه عليها ومحَاها بنفسِه!

امْحِها يا عليُّ، ليستْ جملةً وإنَّما منهاجُ حياة:

- القفزُ على الشَّكليَّاتِ والاهتمام بالمضمونِ!
- عدمُ إضاعةِ الوقتِ في الجدالِ العقيمِ والاهتمامِ بالنَّتائجِ!
- لا بأسَ بخسارةٍ لحظيَّةٍ لأجلِ فوزٍ استراتيجيٍّ!
- التَّراجعُ قليلاً قد يكونُ ضرورياً للقفزِ أبعدَ إلى الإمامِ!

نحن نصنعُ الألقابَ لا هي التي تصنعنَا!

- التَّجاهلُ أنجحُ أسلوبٍ في التَّعاملِ مع الجاهلِ!
- ومـن علـيٍّ درسٌ بليـغٌ أيضـاً: عـدمُ غيـابِ المبـادئِ فـي وقـتِ المصالـحِ!

204
«سَبَقَكَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ!»

دخلَ النَّبيُّ ﷺ المسجدَ ليلاً ومعه أبو بكرٍ وعمرَ،
فإذا رجلٌ قائمٌ يتلو القرآنَ، فوقفَ النَّبيُّ ﷺ يستمعُ له،
ثمَّ قالَ: من سرَّه أن يقرأَ القرآنَ رطباً كما أُنزلَ، فليقرأْ قراءةَ ابنِ أمِّ عبدٍ!
فعلمَ أبو بكرٍ وعمرُ أنَّ القارئَ هو عبدُ اللهِ بن مسعودٍ!
فلمَّا أصبحَ عُمرُ ذهبَ إلى عبدِ اللهِ بن مسعودٍ ليبشِّرَه،
فقالَ له ابنُ مسعودٍ: سبقكَ بها أبو بكرٍ!
نجاحُ النَّاسِ ليس فشلاً لكَ، وغناهُم ليس فقراً لكَ،
نقِّ قلبكَ، عوِّده محبَّةَ النَّاسِ، وتمنِّي الخيرَ لهم،
وتذكَّرْ دوماً أنَّ سلامةَ الصَّدرِ أقصرُ طريقٍ إلى الجنَّةِ!
كُنْ رسولَ خيرٍ كهدهدِ سليمانَ عليه السَّلام يحملُ الهدايةَ،
وكحمامةِ نوحٍ عليه السَّلام تزُفُّ بشرَى انتهاءِ الطُّوفانِ!
امشِ بين النَّاسِ بالخيرِ، واحملْ كلمةً حلوةً لإنسانٍ قيلتْ عنه في غيابِه،
واكتُمْ كلمةً سيئةً سمعتها، لا تكُنْ رسولاً لإبليسَ بالنَّميمةِ!

205

«لمْ أَكُنْ لأقعُدَ مع الشَّيطانِ!»

شتمَ رجلٌ أبا بكرٍ، فسكتَ أبو بكرٍ عنه ولم يجبْه،

فجعلَ النَّبيُّ ﷺ يبتسمُ من حِلم أبي بكرٍ وصبرِه،

فلمَّا زادَ الرَّجلُ في الشَّتائم، ردَّ عليه أبو بكرٍ بعضَ قولِه،

فقامَ النَّبيُّ ﷺ غاضباً وتركَ المجلسَ،

فلحقَه أبو بكرٍ وقالَ: كان يشتُمنِي وأنتَ جالسٌ فلمَّا رددتُ عليه غضبْتَ!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: إنَّه كان معكَ مَلَكٌ يردُّ عنكَ،

فلمَّا رددتَ عليه، وقعَ الشَّيطانُ، ولم أكُنْ لأقعدَ مع الشَّيطان!

ترفَّعْ ولا تسمحْ للسَّاقطِ أن ينزلكَ إلى مستواه!

عندما تحاربُ خسيساً بسلاحِه تتساوَى معه، وردُّ البذاءةِ بالبذاءةِ بذاءةٌ أيضاً!

ولو أنَّ كلَّ صاحبِ فضلٍ نزلَ إلى مستوى سفيهٍ يُجاريه،

لم يبقَ على هذه الأرضِ صاحبُ فضلٍ!

ليس عليكَ أن تخوضَ كلَّ معركةٍ تُفتحُ أمامَكَ،

ولا أن تشتركَ في كلِّ نزالٍ تُدعَى إليه،

ثمَّةَ معاركُ النَّصرُ الوحيدُ فيها ألا تخوضَها منذُ البدايةِ!

206

«يَا أَبَا عُمَيرٍ: ما فعلَ النُّغَيرُ؟!»

كانَ لأنسِ بن مالكٍ أخٌ صغيرٌ يُكنَّى «أبو عمير»،
وكانَ للصَّغيرِ عصفورٌ يلاعبُه اسمه «النُّغير»،
وكانَ النَّبيُّ ﷺ إذا زارَ أنسَ بن مالكٍ في بيتِه،
لاطفَ أخاه الصَّغيرَ قائلاً: يا أبا عُمير، ما فعلَ النُّغير؟!
ليس عليكَ أن تكون جَدِّيا على الدَّوام،
ثقافتُكَ، وعلمُكَ، ومركزُكَ لا تنقصُ بتواضعكَ ولينكَ وملاطفتكَ،
بل على العكس تماماً، لا أجملَ من اللطفِ تاجاً للشَّهاداتِ والمناصبِ!
أحياناً على الإنسانِ أن ينزلَ بإرادتِه إلى أدنى مستوى العقلِ،
ليصلَ إلى أعلى مستوياتِ القلبِ عندَ الآخرين!
الغنَى الذي لا يُزيِّنه التَّواضعُ هو فقرٌ آخر،
والعِلمُ الذي لا يجعلكَ قريباً من النَّاسِ جهلٌ وعجرَفَة!
شهادتُكَ، ومنصبُكَ، وثروتُكَ، ومكانتُكَ لكَ وحدَكَ، أمَّا أخلاقُكَ فهي للنَّاسِ!

207

«الدُّنيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وجنَّةُ الكَافِرِ!»

هـذا لأنَّ المؤمـنَ قيَّـده خوفُـه مـن اللّهِ فتـركَ الشَّـهواتِ الحـرام ابتغـاءَ رضوانِـه،

أمَّا الكافرُ كالدَّابةِ التي فلتَتْ من عقالِهَا تفعلُ ما تشاءُ!

ولـو تأمَّلـتَ حـالَ المُؤمـنِ لوجدتَـه فـي صـراعٍ مـع نفسِـه وهـواه وشـيطانه!

صلاةُ الفجرِ شاقَّةٌ، والحجُّ مُضْنٍ ومكلِفٌ، والمالُ عزيزٌ،

كلمةُ الحقِّ خطرةٌ، والعفَّةُ تحتـاجُ إلـى مجاهـدةٍ، والأمانـةُ أصعبُ من الخيانـةِ،

وغضُّ البصرِ بخلافِ الهَوَى، والصَّدَقةُ بذلٌ، والزَّكاةُ جهادٌ!

أمَّا الكافرُ فلا تدخلُ كلُّ هذه الأشياءِ في حساباتِه،

لا صلاةَ فجرٍ تقطعُ عليه لذَّةَ النَّومِ،

ولا غضَّ بصرٍ يجعله في صراعٍ مع لذَّتِه وشهوتِه،

ولا زكاةَ يكابدُ بها نفسَه أنَّ مالَه سينقصُ،

لا آية الرِّبا تزجرُه، ولا آداب سورةُ الحجراتِ توقفُه عند حدِّه،

طريقُ الجنَّة شائكةٌ، بينما طريقُ النَّارِ معبَّدةٌ سالكةٌ!

ويـا تعسَ مـن حـرَّرَ نفسَـه مـن قيـدِ خالقِـه، وقيَّـدَ نفسَـه بقيـدِ شـهواتِه!

208
«ضَعْ من دَيْنِكَ هذَا»

كانَ لكعبِ بن مالكٍ دَيْنٌ على ابنِ أبي حَدردٍ!
فطالبَه به في المسجدِ حتى ارتفعتْ أصواتهما!
فخرجَ إليهما النَّبيُّ ﷺ، ونادَى: يا كعب!
فقالَ كعبٌ: لبيَّك يا رسولَ اللهِ!
فقالَ له: ضَعْ من دينِكَ هذا! وأشارَ إليه إلى النِّصفِ!
فقالَ: قد فعلتُ يا رسولَ اللهِ!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ لابن أبي حدردٍ: قُمْ فاقضه!
الحقُّ حقٌّ، وصاحِبُ الحقُّ يجبٌ أن يأخذَه،
ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ يُعلمنا مبدئين رائعين في الخلافاتِ،
الأول: هو التراحمُ، والثَّاني: هو الصُلحُ سَّيدُ الأحكام!
ما طلبَ النَّبيُّ ﷺ من كعبٍ أن يحسمَ نصفَ دينِه إلا لما يعرفُ من كرمه،
طالبَه بهذا لحُسنِ خُلقه، ولعشَمه به!
فإذا وقعتِ الخلافاتُ فانظُر إلى أيِّ الخصمين هو أطيبُ قلباً وأحسنُ خُلقاً، واطلُبْ منه أن ينزلَ عن شيءٍ من حقِّه لأنَّ هذا من شيمِ النُّبلاءِ، والنّبيلُ يدفعُ من جيبِه ويصلحُ بين النّاسِ، فكيف لو كانَ هو خصماً!
في الخلافاتِ طالِب الأعقلَ، والأكرمَ، والأحسنَ إيماناً وخُلقاً، هذا النّوع في الغالبِ الخيرُ مختلطٌ بدمِه ولحمِه وأنتَ تُطالبُه بما فيه!

209

«فمَا منعَكَ أنْ تفتَحَها عليَّ؟!»

كانَ أُبَيٌّ بن كعبٍ من أقرأ الصَّحابةِ للقرآنِ الكريم،

وكانَ النَّبيُّ ﷺ قد أوصَاهُ أن يفتحَ عليه بالقراءةِ إذا نسيَ آيةً!

فصلَّى النَّبيُّ ﷺ مرَّةً بالنَّاسِ فنسيَ آيةً!

فلمَّا انصرفَ من صلاتِه قالَ لأُبيٍّ: أصليتَ معنَا؟

فقالَ: نعم يا رسولَ اللهِ!

فقالَ له: فمَا منعكَ أن تفتحَها عليَّ؟!

هذا النَّبيُّ رحمةٌ حتى في سهوِه ونسيانِه وبشرَّيتِه،

فلو لم ينسَ فمن أين لنا أن نتعلَّمَ سجودَ السَّهوِ؟!

ولو لم يُغلقْ عليه في آيةٍ فمن أين نعرفُ حكمَ الفتحِ على الإمامِ في الصَّلاةِ؟!

حتى فقْدُ قلادةِ زوجتِه أكرمنا اللهُ بها برخصةِ التَّيمُّمِ!

ثم في الحادثةِ درسٌ بليغٌ: اِشرَبْ من منبعِ النَّهرِ وخلِّ عنك القنوات!

لماذا أُبيٌّ بالذات؟ لأنَّه اقرأ الصَّحابةِ للقرآن،

ولماذا خالد بن الوليد للجيش وليس أُبيًّا، لأنَّ الحربَ فعل سيفٍ لا فعل تلاوة!

اِبحثْ في كُلِّ مجالٍ عن أهلِ الاختصاصِ، فهناكَ ضالتُكَ!

210
«إنَّ شرَّ الرِّعَاء الحُطَمَة!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه: إن شرَّ الرِّعَاء الحُطمة!
الرِّعاءُ جمعُ راعٍ، وكلُّنا راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه!
والحُطمة هو الشَّديدُ القاسي الذي لا يرحمُ من كان تحتَ يده!
الحاكمُ المستبدُّ الذي يظلمُ النَّاس ويثقلهم بالضرائبِ من شرِّ الرِّعَاء!
والزَّوجُ المتسلِّطُ، عالي الصوتِ، طويلُ اليدِ، من شرِّ الرِّعاء!
والأبُ القاسي الغليظ، كثيرُ العقوبةِ قليل العفو، من شرِّ الرِّعاء!
والمديرُ الفظُّ الذي لا يحفظُ للموظفين كراماتِهم، من شرِّ الرِّعاء!
وصاحبُ الورشة الذي يهينُ عمَّاله من شرِّ الرِّعاء!
والحماةُ الظالمةُ لكنَّتِها فظاظةً وافتراءً من شرِّ الرِّعاء!
والكنَّةُ طويلةُ اللِّسانِ، قليلةُ الأدبِ من شرِّ الرِّعاء!
والابنُ العاقُّ الذي يُؤذي والديه فعلاً وقولاً من شرِّ الرِّعاء!
فاللهُمَّ ليِّنْ قلوبَنا، وهذِّبْ أخلاقَنا، واكفِنا شرَّ الرِّعاءِ!

لا تنسوا اللَّحظات الحُلوة عندَ
أوَّلِ خِلافٍ، ولا تهُنْ عليكم سنواتُ
العِشرةِ عند أوَّلِ تنافرٍ، مَنْ مِنَّا لم يكن سيِّئاً
ولو لمرَّةٍ على الأقل؟ فلماذا نريدُ من النَّاسِ
أن يكونوا ملائكةً على الدَّوام!

211

«إذَا لمْ تَسْتَحِ فاصنَعْ ما شئتَ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه:
إنَّ مما أدركَ النَّاسُ من كلامِ النُّبوَّةِ الأولَى:
إذا لمْ تستحِ فاصنَعْ ما شئتَ!
من لم يمنعْه الحياءُ عن الفعلِ القبيحِ فلن يمنعَه شيءٌ،
وأعظمُ الحياءِ أن يستحيِ المرءُ من ربِّه!
أن تحرصَ ألا يجدكَ اللهُ حيث نهاكَ، وألا يفقدكَ حيث أمَركَ!
الحياءُ أن تحرصَ أيضاً ألا تسقطُ من عيون النّاسِ،
أن تُدركَ أن من حقِّ نفسِك عليكَ ألا تهينها،
وألا توردها الموارد التي تنتقصُ من سُمعتها،
ذُكِرَ الحياءُ في مجلسِ عمرَ بن عبدِ العزيزِ، فقالُوا: الحياءُ من الدِّينِ!
فقالَ عمرُ بن عبدِ العزيزِ: بل هو الدِّينُ كلُّه!

212
«فَمَنْ يَأْخُذُه بحَقِّهِ؟!»

أخذَ النَّبيُّ ﷺ سيفاً يوم أُحد، وقال: من يأخذُ منِّي هذا؟!
فبسطُوا أيديَهُم جميعاً، كلٌّ واحد منهم يقولُ: أنا، أنا!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: فمن يأخذُه بحقِّه؟!
فأحجَمَ القومُ، وقالَ أبو دُجانة: أنا آخذه بحقِّه!
فأخذه أبو دُجانة، ففلقَ به هامَ المشركين!
كلُّ نِعَمِ اللهِ على عبدِه لها حَقٌّ أخذٍ، وأدبُ أداء!
أخذُ المال بحقِّة يعني إنفاقَه في مكانه، وإخراجَ زكاته، وإكثارَ صدقاتِه، وأخذُ المنصبِ بحقِّة يعني القيامَ بمهامِه ومسؤولياتِه، وخدمةَ النَّاسِ فيه،
وأخذُ الوظيفةِ بحقِّها يعني القيامَ بالعملِ على أكملِ وجهٍ ليكونَ الراتبُ حلالاً،
وأخذُ المحاماةِ بحقِّها يعني إحقاقَ الحقَّ وإبطالَ الباطلِ،
لا جعل البريءِ مذنباً، والمذنبُ بريئاً لأجلِ حفنة من المال،
مبضعُ الجرَّاحِ له حقٌّ، وقبَّعةُ التَّخرُّجِ لها حقٌّ، وعمامةُ الفقيه لها حقٌّ،
الكثيرُ من نِعمِ اللهِ لو تأمَّلنَاها لعرفنا أنَّها تكليفٌ لا تشريفٌ!

213
«دَعُوه، فهَذَا أَعْمَى القَلْبِ، أَعْمَى البَصِيرَةِ!»

خرجَ النَّبيُّ ﷺ بالجيشِ لغزوَةِ أُحد،
فمرَّ بمزرعةِ رجلٍ منافقٍ، ضريرٍ، اسمُه: مربعُ بن قيظيَّ،
فقالَ مربعُ: لا أحلُّ لكَ يا محمَّد إن كنتَ نبيًّا أن تمرَّ بحائِطي،
وأخذَ في يده حفنةَ ترابٍ، ثمَّ قال:
واللهِ لو أعلم أني لا أُصيبُ بهذا الترابِ غيركَ، لرميتُكَ به!
فقامَ الصَّحابةُ إليه ليقتلُوه!
فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: دَعُوه، فهذا أعمى القلبِ، أعمى البصيرةِ!
بعضُ المواقفِ تكشِفُ خطايا النُّفوس فانتبهْ جيِّداً،
الكثيرُ من ردَّاتِ الأفعالِ المبالغِ فيها هي حقدٌ دفينٌ،
والكثيرُ من التّصرفاتِ الحادّةِ هي انتقامٌ مُنتظَرٌ،
بعضُ النَّاسِ كالأفاعي السُّمُ يجري داخلهم!
والعاقلُ لا يُعطي الوضيعَ منبراً ليقول فيه،
ولا يوفِّرُ له ساحةَ ميدانٍ ليبارزه فيها،
التَّجاهلُ يعطِي الأشخاصَ أحجامَهُم الحقيقيَّة!

214

«تَعَلَّمْ لِيَ كِتَابَ يَهُود»

لمَّا جاءَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ جاءَ النَّاسُ إليه بزيد بن ثابتٍ،
فقالُوا: يا رسولَ الله، هذا غلامٌ من بن بني النَّجار،
معه مما أُنزِلَ عليكَ بضعَ عشرةَ سُورة!
فاستقرأه النّبيُّ ﷺ سورة «ق»،
فقرأها زيدٌ، فأعجَبَ ذلكَ النَّبيُّ ﷺ، وقالَ له:
يا زيد، تعلَّمْ لي كتابَ يهودٍ، فإنِّي واللهِ لا آمنُ يهودَ على كتابِي!
فتعلَّمَ زيدُ بن ثابت العبرانيَّةَ وحذِقهَا في خمسَ عشرة ليلةً!
هذه الأمَّةُ عليها أن تتعلَّمَ لغاتِ أعدائها وأصدقائها،
نحن لا نعيشُ على هذا الكوكبِ وحدَنا، والتَّواصلُ لا بُدَّ له مِن لُغة!
أمَّا الخجلُ بلغتنا، ودسُّ كلمةٍ أجنبيَّةٍ بينَ كل كلمتين عربيَّتينِ،
ونحن نتحدَّثُ فيما بيننا، فهذا من التبعيّةِ المستقبحةِ، والتَّقليدِ الأعمى!
اللُّغةُ العربيَّةُ ملكةُ اللُّغات قاطبةً، على رأسِها تاجُ القرآن!
فإذا كانت الفرنسيَّةُ هي لغةُ «الإيتكيت»، والإنكليزيَّةُ هي لغةُ العلُوم، والصِّينيَّةُ هي لغةُ التِّجارةِ،
فالعربيَّةُ هي لغةُ كلِّ هذه الأشياءِ مُجتمِعةً!

215
«أَدْنِيَا إلَيَّ أخَاكُمَا!»

يقولُ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ: قمتُ في جوفِ الليلِ في غزوةِ تبوكٍ،

فرأيتُ شُعلةً من نارٍ، فذهبتُ أنظرُ ما الخبر،

فإذا ذو البجادينِ قد ماتَ، وقد حفرُوا له قبرَه،

والنَّبيُّ ﷺ في القبرِ، وأبو بكرٍ وعمرَ عند الجثَّة،

فقالَ لهما النَّبيُّ ﷺ: أدنيَا إليَّ أخاكُما!

فوضعَه في قبرِه بيديه الشَّريفتينِ وقالَ: اللهُمَّ إنِّي أمسيتُ عنه راضياً فارضَ عنه!

يقولُ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ مُعلِّقاً: ليتني كنتُ صاحبَ الحُفرة!

خرجَ ذُو البجادين مهاجراً على غفلةٍ من قومِه حين منعُوه،

فكانتْ هذه هي مكافأة نهايةِ الخدمة!

النَّبيُّ ﷺ يدفنُه بيديه الشَّريفتين ويدعُو له،

وخيرُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكرٍ وعمرَ يناولاهُ إيَّاه،

يا للنهاياتِ حين تكونُ مكلَّلةً بالمجدِ!

ويا للرِّجالِ حين يدخلُون التَّاريخَ من أوسعِ أبوابِه،

ويا له من رب كيف يكافئ من صدق من عباده،

ليتنا جميعاً كنَّا أصحابَ تلك الحُفرة،

الموتُ ليس نهايةَ الحكايةِ، إنَّه بدايتُها فقط!

216
«فَغَفَرَ اللهُ لَهَا!»

حدَّثَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه عن عجائبِ رحمهِ اللهِ فقالَ:
إنَّ امرأةً بغيًّا رأتْ كلباً في يومٍ حارٍّ يطوفُ ببئرٍ،
قد أدلعَ لسانَه من العطشِ، فخلعتْ حذاءَها ووضعتْ به الماءَ وسقته،
فغفرَ اللهُ لها!
سُقيا الماءِ للكلابِ لا تغفرُ إثمَ الزِّنا،
ولكنَّها الرَّحمةُ التي رآها ربُّنا في قلبِ البغيِّ في تلك اللحظة!
فارحمُوا تُرحمُوا، واعملُوا ولا تستصغِرُوا!
البغيُّ التي سقتْ كلباً أدخلها اللهُ تعالى الجنَّة،
فكيف بالمؤمنِ الذي يسقي قلباً قد جفَّفه الحزنُ؟!
كيف بالمؤمنِ الذي يجبرُ خاطراً قد كُسرَ؟!
ويمسحُ دمعاً قد أُريقَ فانهمرَ، ويسدُّ دَيناً قد أثقلَ صاحبَه،
ويقضي حاجةً قد أعجزتْ محتاجها،
نحن نتعاملُ مع الكريم، والأشياءُ بقيمتِها لا بأثمانِها!

217
«أَخْشَى أنْ تكونَ منْ تَمْرِ الصَّدقَةِ!»

مرَّ النَّبيُّ ﷺ في الطَّريقِ،
فوجدَ تمرةً ملقاةً على الأرض، فأخذَها، ومسحَها،
وقالَ: لولا أنِّي أخشَى أن تكون من تمرِ الصَّدقةِ لأكلتُها:
ثمَّ ناولها لأحدِ أصحابهِ ليأكلَها، لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يأكلُ الصَّدقة!
يُعلِّمنا النبَّيُّ صلى الله عليه وسلم احترامَ النعمةِ، لم يهُنْ عليه أن تذهبَ تمرةٌ هدراً،
فهل سيهونُ عليه ما نُلقيه من طعامٍ في سلالِ المهملات؟!
اُطبخُوا على قدرِ حاجتكم فليس فيً الأمرِ بخلٌ أبداً،
وإن كانتِ الطَّبخةُ كبيرةً ما المانعُ أن تُؤكلَ في اليومِ التالي؟!
أو تُحفظَ في الثَّلاجةِ إلى يومِ آخر،
أو تُعطى لفقيرٍ، فبطونُ المسلمين أولى من سلالِ القمامة!
النِّعمُ لا تُحرسُ إلا بالشُّكرِ، وتقديرُها من شُكرِها!

218

«إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ منْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ!»

اُحتضِرَ طفلٌ لزينبَ ابنةِ النَّبيِّ ﷺ فأرسلتْ إليه تطلبُ مجيئَه،
فأرسلَ إليها: إنَّ للهِ ما أخذَ، وله ما أعطَى،
وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسمًّى، فلتصبرِي وتحتسبِي!
فأقسمتْ عليه أن يأتيَ، فجاءَها في وفدٍ من أصحابِه،
فجِيءَ له بالصَّبِيِّ، وأنفاسُه تتقطَّعُ، ففاضتْ عيناه بالدُّموع!
فقالَ له سعدُ بن عُبادة: ما هذا يا رسولَ اللهِ؟
فقالَ له: هذه رحمةٌ جعلَها اللهُ في قلوبِ عبادِه،
إنَّما يرحمُ اللهُ من عبادِهِ الرُّحماء!
الأبُ من بعدِ اللهِ سندٌ، والبنتُ لا تستغنِي عنه بزوجِها وأولادِها،
للأبِ نكهةٌ ليست في أحد، فتفقَّدُوا بناتكم بعد الزَّواج،
زُورُوهنّ في بيوتهنَّ، وشارِكُوهنَّ لحظاتِ الفرح،
ولا تفوِّتُوا لحظاتِ الحزنِ أبداً فهي لا تُنسى!
البنتُ في صغرها ترى صوتَ أبيها أكثرَ أماناً من أقفالِ الدّنيا،
وهي لا تستغنِي عن هذا الأمانِ عندما تكبرُ،
فتذّكرُوا دائماً: نحن نزوِّجُ بناتنا ولا نتخلَّصُ منهنَّ!

219
«فَهَلّا جَلَسْتَ في بيتِ أبيكَ وأُمِّكَ؟!»

استعملَ النَّبيُّ ﷺ ابنَ اللُّتَيْبِيّة لجمعِ أموالِ الزَّكاة،
فلمَّا عادَ قالَ: هذا لكُم، وهذا أهديَ إليَّ!
فغضبَ النَّبيُّ ﷺ وقالَ له: هلَّا جلستَ في بيتِ أبيكَ وأمِّكَ،
حتى تأتيكَ هديَّتُكَ إن كنتَ صادقاً؟!
ابتليَ النَّاسُ في زماننا بكثرةِ الرِّشى يسمُّونها بغيرِ اسمها!
هذا يسمِّيها هديةً، والآخرُ يسمِّيها إكراميةً!
ليس للموظَّفِ إلا راتبَه، وأيُّ شيءٍ يأخذهُ من المراجعين،
ولو من دونِ طلبٍ منهم فهو سحتٌ وغلولٌ!
فالهديَّةُ في هذه الأحوالِ إنَّما تُعطى للمحاباةِ وتسليكِ الأمورِ،
وكم من مناقصة رستْ على تاجرٍ بهديَّةٍ،
وكم من وظيفةٍ أُخذتْ بغيرِ حقٍّ بهديَّةٍ،
على مبدأ: أطعِمِ الفمَ تستحِ العينُ!
تغليفُ الحرام بغلافِ الحلالِ لا يجعله حلالاً،
والتَّحايلُ بالمسمَّياتِ والطُّرقِ الملتويةِ لا يُخرجُ المعطي والآخذ،
من قولِ النَّبيِّ ﷺ: لعنَ اللهُ الرَّاشِي والمُرتشِي!

220
«شَكَا إليَّ أنَّكَ تُجَوِّعُه!»

دخلَ النَّبيُّ ﷺ بستاناً لأُناسٍ من الأنصارِ فيه جَمل،
فلمَّا رأى الجملُ النَّبيَّ ﷺ حنَّ وذرفتْ عيناه!
فاقتربَ النَّبيُّ ﷺ ومسحَ على رأسه حتى هدأ!
ثمّ قالَ: لمنْ هذا الجَمل؟
فقالَ فتىً من الأنصارِ: هو ليَ يا رسولَ اللهِ!
فقالَ له: أفلا تتقِي الله في هذه البهيمة،
فإنَّه قد شكا إليَّ أنك تُجوِّعه وتدئِبُه / تتعبُه!
البشريَّةُ التي تحاضرُ فينا اليومَ في حقوقِ الإنسانِ،
علَّمناها منذُ ألفٍ وأربعمئةِ سنةٍ حقوقَ الحيوان!
ديننا عظيمٌ يا سادة ولكنَّا لا نطبّقه! يدعُو إلى الرَّحمةِ ولكنَّا قساةٌ!
لا يهونُ فيه جَملٌ ولكن هان عندنا الإنسانُ!
وامرأةٌ دخلتِ النَّارَ في هرَّةٍ ولكنَّا ضيَّعنا النَّاسَ!
نحن لسنا بحاجةٍ إلى قيمٍ مستوردةٍ، وأفكارٍ معلَّبةٍ،
نحن ينقصُنا فقط أن نكونَ مسلمين حقًّا!

221
«إنَّمَا هو التَّسبيحُ، والتَّكبيرُ، وقراءةُ القرآنِ!»

كانَ معاويةُ بن الحكم السُّلمِي حديثَ عهد بالإسلام،
فصلَّى خلف النَّبيِّ ﷺ، فعطسَ رجلٌ في الصَّلاةِ، فَشمَّتَهُ معاويةُ!
فجعلَ النَّاسُ ينظرون إليه، فقالَ لهم: مَا شأنُكُم تَنظُرونَ إليَّ!
فجعلوا يَضرِبون على أفخاذِهم، فَفَهِمَ مُرادهُم أنَّهم يُسَكِتوهُ، فسكتَ!
فلمَّا انتهتِ الصَّلاةُ أقبلَ عليهِ النَّبيُّ ﷺ بحُنوِّ الأبِ على ابْنِه،
وقالَ له: إنَّ هذه الصلاةُ لا يصلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ النَّاسِ،
إنمَّا هو التَّسبيحُ، والتَّكبيرُ، وقراءةُ القرآنِ!
مهما كان الحقُّ معك، وحُجَّتُك دامغةٌ، الأسلوبُ أولاً!
فالأسلوبُ الخَشِنُ يُنَفِّرُ النَّاسَ وإن كان مضمونُ الكلامِ صَائباً،
مهما كانت فكرتُكَ صائبةً فلن تكونَ أصوبَ من التَّوحيدِ،
ومهما كان مضمونُكَ صادقاً فلن يكونَ أصدقَ من الإسلامِ،
ومهما كانت غايتُكَ نبيلةً فلن تكونَ أنبلَ من هدايةِ النَّاسِ،
وقد قيلَ للصادقِ النَّبيلِ الذي جاء بالتَّوحيدِ والإسلامِ:
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
النُّصحُ لا يَستَغنِي عن اللُّطفِ وإلَّا صار هجاءً،
والحقُّ الذي لا يُقدَّمُ على طبقٍ من اللِّينِ يَرفُضُهُ النَّاسُ!

222
«مَنْ يَمنَعُكَ مِنِّي؟!»

غَزَا النَّبيُّ ﷺ نَاحيةَ نَجْدٍ، فلمَّا صارَ وقتُ القيلولةِ ابتعدَ عن الجَيشِ، وعلَّقَ سيفَهُ في شجرةٍ، ثمَّ نَامَ في ظِلِّها، فتسلَّلَ مُشركٌ، وأخذَ السَّيفَ، وقال: يا محمَّدُ من يمنَعُكَ منِّي!

فقال له: الله!

فوقعَ السَّيفُ من يَدِه، فأخذَهُ النَّبيُّ ﷺ وقال له:

فمن يمنَعُكَ منِّي؟!

فقالَ المُشرِكُ: يَا محمَّدُ، كن خيرَ آخذٍ!

فقال له النَّبيُّ ﷺ: تشهدُ أن لا إله إلا الله وأنِّي رسولُ الله؟

فقال: لا، ولكنِّي أعاهدُكَ ألا أقَاتِلَكَ، ولا أكونُ معَ من يُقَاتِلُكَ،

فقَبِلَ النَّبيُّ ﷺ منه هذا الحِيَادَ وخلَّى سبيلَهُ!

إذا لم تستطعْ أن تجعلَ من شخصٍ صديقاً فلا تجْعَلهُ عدوّاً!

اقبلْ مساحةَ الحِيَادِ، من ليسَ معكَ فليسَ بالضَّرُورَةِ ضِدَّك،

لماذا عليَّ أن أكونَ في صفِّكَ في كلِّ خلافٍ على شيءٍ من الدُّنيَا، بإمكَاني أن أكونَ صَديقَكَ وصَديقَ من اختلفتَ معَهُ وأسعَى للصُّلحِ، لماذا تريدُني أن أكونَ سهماً في قوسِكَ ترميهِ في وُجُوهِ خُصُومكَ، لماذا تُريدُني جنديّاً في جَيشِكَ فِي حَرْبٍ ليسَ لِي فيها نَاقَةٌ ولا جَمَلٌ؟!

قبِلَ النَّبيُّ ﷺ الحِيَادَ فِي الحربِ بين الحقِّ والبَاطِلِ، **فاقْبَلْهُ** أنتَ منِّي فِي شيءٍ أصغرَ مِنْهُ!

223

«إنَّما الصَّبرُ عندَ الصَّدمةِ الأولى!»

مرَّ النَّبيُّ ﷺ بامرأةٍ ثَكْلَى تبكي عند قبرِ ابنِهَا،
فقال لها: اتَّقي اللّه واصبري!
فقالت له وهي لا تَعرِفُهُ: إليكَ عنِّي فإنَّكَ لم تُصَبْ بمُصِيبَتي!
فتَركَهَا ومضَى، وقالَ لها رجلٌ: هذا رسولُ اللّهِ ﷺ !
فخجِلتْ المرأةُ من نفسِها وأصابَهَا الغمُّ لِمَا كان منها،
فقصدتْ بيتَ النَّبيِّ ﷺ، وقالت له: يا رسولَ اللّهِ لم أعرفْكَ!
فقال لها: إنَّما الصَّبرُ عند الصَّدمةِ الأولى!
المصيبةُ مع الأيَّامِ تصغرُ، والنَّار تبردُ، وإنَّما يتفاوتُ النَّاس وقتَ وقوعهَا!
هذه الدُّنيا دارُ فَقْد، ما جاءها أحدٌ إلا غادرها، فتأدَّبُوا!
لم يجادل النَّبيُّ ﷺ المرأةَ المكلومةَ وإنَّما تركها ومضى،
الموتُ المفاجئُ قد يُخرِجُ الإنسانَ عن طَوْرِهِ، فاحتملوه!
وخسارةُ تِجَارةٍ قد تكسرُ إنساناً فتفهَّمُوهُ!
ووقوعُ طلاقٍ قد يزلزلُ الكَيَانَ، فارحموه!
ورسوبٌ في الجامعة قد يقلبُ الحياةَ رأساً على عقبٍ، فاحْتَوُوهُ!
عندما تَقَعُ المَصَائبُ لا تقِفُوا للنَّاسِ على الحرفِ والكلمةِ،
النَّاسُ عند المصائبِ هم غيرُ النَّاسِ الذين تعرِفُونَهُم!

224
«وَإِيَّاكَ مِمَّا يُعتذَرُ مِنْهُ!»

جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ أوصني وأوجِزْ!
فقال له: عليكَ بالإيَاسِ ممَّا في أَيْدِي النَّاسِ فإنَّه الغِنى،
وإيَّاك والطَّمع فإنَّهُ الفقرُ الحاضرُ،
وصَلِّ صلاتَكَ وأنت مودِّعٌ، وإيَّاكَ مما يُعْتَذَرُ منه!
تأمَّلها بقلبِكَ وعقلِكَ وروحِكَ: إيَّاكَ مما يُعتذر منه!
من حقِّ نفسِكَ عليكَ أن لا تُهينهَا ولا تُصَغِّرَهَا،
العلاقةُ التي إن كُشِفتْ ستجعلُكَ صغيراً دَعْهَا،
والتَّأخُّرُ عن الدَّوامِ الذي سيجعلُكَ معتذراً ذليلاً
أنتَ فِي غَنىً عنه،
والمكانُ الذي سينتَقِصُ من قيمتكَ لا تذهبْ إليه،
والصُّحبةُ التي تدعو للخَجَلِ لا تَلْزَمُكَ،
والكلمةُ التي ستريقُ مَاءَ وجهِكَ وأنتَ تَعتَذِرُ منها فلا تقلْها،
والموقفُ الذي سيُنَزِلُكَ من عيونِ النَّاسِ جُرمٌ أن تَقِفَهُ،
الاعتذارُ لا يُنقِصُ من قيمةِ المرءِ وكلُّنا نُخطِئ،
ولكن كُن دوماً كبيراً في عَينِ نفسَكَ قبل عُيونِ النَّاسِ!

225

«نِعمَ الرَّجُلُ خُرَيمُ الأَسَدِيِّ!»

قال النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابه:

نِعمَ الرَّجُلُ خُرَيمُ الأَسَدِيِّ، لولَا طولُ شَعْرِهِ، وإسبالُ إزارِهِ!

فبلغَ ذلك خُريمَ الأسديَّ، فأخذَ على الفورِ شَفْرَةً،

فَقَطَعَ شعْرَهُ حتى أُذُنيهِ، ورفعَ إزارَهُ حتى أنصَافِ سَاقَيْهِ!

ما بلغُوا شَرَفَ الصحبةِ بالزَّمانِ وإنَّما بالطَّاعةِ!

فإن فاتَكَ شرَفُ اللِّقاءِ فأدرِكْ شرَفَ الطَّاعةِ!

اُنظرْ إلى حالِكَ يا أخِي في عبادتِكَ، وعملِكَ، وأهلِكَ، والنَّاسِ،

تُرى إن رآكَ النَّبيُّ ﷺ قال عنك نِعْمَ الرَّجلِ؟!

وانظرِي إلى حالِكِ يا أُخَيَّة في حِجَابِكِ وعفَّتِكِ وأُسرتِكِ،

تُرى إن رآك النَّبيُّ ﷺ قال عنْكِ نِعمَ المرأةُ؟!

كلُّ لباسٍ لا يسرُّكَ أن يراك النَّبيُّ ﷺ فيه فَدَعْهُ،

وكلُّ سلوكٍ سيَمْلأُكَ خجلاً إن رآك عليه فاتْرُكْهُ،

إنَّ نِعْمَ الرَّجل، ونِعْمَ المرأة مَكَانةً لا تُدرك إلا بالقُلوبِ!

وَقد تَتَأَخَّرُ الإِجَابَةُ لِأَنَّ الوَقْتَ لَمْ
يَحِنْ بَعْدُ، فَلَعَلَّ اللهَ استجابَ وَلَكِنَّهُ يُهَيِّءُ
الأَسْبَابَ، تبارَكَتْ حِكْمَتُهُ،
إِنَّهُ يَخْتَارُ أَحْسَنَ الوَقْتِ لَا أَسْرَعَهُ!

226
«فَجَعَلَ يَمْسَحُ دُمُوعَهَا بِيَدِهِ!»

فـي أحـدِ أسـفارِهِ اصطحـبَ النَّبـيُّ ﷺ معـه أُمَّنـا صفيَّـة بنـت حُيَـيٍّ،

وبينما هم في الطَّريقِ بَرَكَ جملُ صفيَّة وتوقَّف عن المسيرِ،

فجعلت صفيَّة تبكي، فجعلَ النَّبيُّ ﷺ يمسحُ دموعها بيدِهِ!

النِّساءُ عاطفياتٌ، متقلباتُ المشاعرِ، يبكينَ لأصغرِ الأسبابِ،

وقد تبكي إحداهنَّ لسببٍ لا تعرفُهُ هي!

هذا شيءٌ على الرِّجَالِ فهمُهُ، والتَّعاملُ معه بجديَّةٍ،

والتَّصرفُ باهتمام بالغ وكأنَّ هناكَ مشكلةً حقّاً!

أحياناً لا تريدُ المرأةُ أكثرَ من أن تُريَها أنَّك تهتمُّ!

المرأةُ حين تتحدَّثُ عن مشاكلها فهيَ تُفضْفِضُ،

إيَّاك أن تجعلَ نفسك جزءاً من المشكلة، وإيَّاكَ أن تعتقدَ أنَّك السببُ!

أغلبُ المشكلاتِ هو واقعٌ لا حلَّ له، وكلّنا مكبَّلٌ بالواقعِ!

ولكنْ عليكَ في كلِّ مرَّةٍ أن تهتمَّ!

227
«يا أَنْجَشَة، رِفقاً بالقَوارِيرِ!»

خرجَ النَّبيُّ ﷺ حاجًا بنسَائه،
ولمَّا كان في بعضِ الطَّريقِ أَوْكَلَ غُلَامَهُ أَنْجَشَة بِالقافلةِ،
فساقَها أَنْجَشَة، وأخذَ يُسرعُ المسيرَ،
فقال له النَّبيُّ ﷺ: يا أَنْجَشَة، رفقاً بالقَوَارِيرِ!
رفقاً بالقواريرِ في كلِّ دروبِ الحياةِ!
إنْ عَلَا صَوتُها مرَّةً فاحتمِلْهَا، فطالما لَانَتْ لَك،
وإنْ قصَّرتْ في عملِ البيتِ فتجاهلْ،
عملُ البيتِ شاقٌّ، ومهامُ الأسرةِ مُضنيَةٌ، وأبلغُ الحبِّ ما كان وقتَ التَّعبِ!
إنْ لم تَكْوِ لكَ قميصاً تُريدُهُ فليستْ نهايةَ الدُّنيَا!
وإنْ تأخَّرَ طعامُ الغداء فليست طامَّةً كُبرى!
حتَّى إنْ رأيتَ منها ما لا يُعجبُك، فَبِلَفْتِ النَّظرِ لا بالصُّراخِ،
وإيَّاكَ وانتِقَادَهَا حتَّى أمامَ أولادِهَا، فإنَّ هذا يجرحها جداً حتَّى وإن لم تقلْ لك!

228
«مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلِيَسْتَظِلَّ!»

وَقَفَ النّبيُّ ﷺ مرَّةً خطيباً في النَّاس،
فرأى رجلاً قائماً في الشَّمس، فسألَ عنه،
فقِيلَ لهُ: هذا أبو إسرائيل قد نذَرَ أنْ يقومَ في الشّمسِ،
ولا يقعدُ، ولا يتكلَّمُ، ويصومُ!
فقالَ: مُرُوهُ فليتكلَّمْ، ولِيَستَظِلَّ، ولِيقعدَ، وليُتِمَّ صَومَهُ!
ما جاءَ هذا الدِّينُ إلَّا ليرفعَ الحرجَ والمشقَّةَ عن النَّاس،
ولكنَّ النَّاس جعلوا لهم نُذوراً هي عينُ المشقَّةِ والحرجِ!
ينذرُ أحدَهُم ألا يحلقَ شعرَهُ، وآخرٌ ألا يستحمَّ!
نذورٌ فارغةٌ، لا هي قُربَى للهِ ولا طاعة، كوقوفِ أبي إسرائيلَ في الشَّمسِ!
لو كانت المشقَّةُ مطلوبةً بذاتها ما أباحَ الله للمريضِ أن يفطرَ،
ولا للمسافرِ أن يقصرَ الصَّلاةَ، ولا للمُقيمِ أن يجمعَ في البردِ والمطرِ!
فإن كنتَ ناذراً فصيامٌ كما السُّنة، وصدقةٌ لجبرِ خاطرِ فقيرٍ،
وذبيحةٌ توزَّعُ على المساكين، وملابسٌ تسترُ عوراتِهم!
ما لنا ولِنُذورِ الجاهليَّةِ، وقد أبدلَنا الله بها الإسلام!

229

«اسْقِ يَا زُبَيرُ، ثمَّ احبسِ المَاءَ!»

كان من أعرافِ الزِّراعةِ في المدينةِ أن يسقيَ الأوَّلُ فالأوَّلُ، يسقي صاحبُ الأرضِ حتَّى تَشْبَعَ أرضُهُ، ثمَّ يرسلُ الماءَ إلى جارِهِ تحتَهُ،

وكان للزُّبيرِ بن العوَّام أرضٌ بجوارِ أرضِ رجلٍ منَ الأنصارِ،

فشكَا الأنصاريُّ الزُّبيرَ إلى النَّبيِّ ﷺ أنَّه يتأخرُ بإرسالِ الماءِ،

فطلب النَّبيُّ ﷺ من الزُّبيرِ أن يسقيَ دون الرَّيِّ الكاملِ ثمَّ يرسلَ الماءَ، فلم يعجب هذا الأنصاريَّ، رغم أنَّ النَّبيَّ ﷺ أعطاهُ ما ليس له،

فقال للنَّبيِّ ﷺ: أَلأَنَّ الزُّبيرَ ابن عمَّتك؟!

فَتَلَوَّنَ وجهُ النَّبيِّ ﷺ من الغضبِ، ثمَّ قال:

اسقِ يا زبيرُ، ثمَّ احبسِ الماءَ حتَّى يرجعِ إلى الجَدْرِ!

لم يرضَ الأنصاريُّ بالمعروفِ، فأرجعه النَّبيُّ ﷺ إلى القانون!

بعضُ النَّاس لا يقبلون من الأحكامِ إلَّا ما كان في صَالحِهم،

ولا يرضونَ من الشَّريعةِ إلَّا ما يُعطِيهم!

ولا يرضون من المواقِفِ إلا ما كان يَصُبُّ في جُيوبِهم،

ولا يستمعون إلَّا إلى الكلامِ الذي يُوافِقُ هَواهُم،

وكلُّ شيءٍ بخلافِ هذا مرفوضٌ ولو كان حُكماً لِنَبِيٍّ!

230
«مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ مرَّةً لأصحابِهِ:
لا يدخلُ الجنَّةَ من كان في قلبِهِ مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْرٍ!
فقال رجلٌ: يا رسولَ اللّه، إنَّ الرَّجلَ يحبُّ،
أن يكونَ ثوبُهُ حسناً، ونعلُهُ حسناً،
فقال له النَّبيُّ ﷺ إنَّ اللّه جميلٌ يحبُّ الجمالَ،
الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ!
يظنُّ أحدُهم أنَّ شهادَتَهُ، ومالَهُ، ووظيفَتَهُ، ونَسَبَهُ،
يجعلُهُ ابنَ ستّ والنَّاسُ أولادُ جَوَارٍ!
إذَا مرَّ لم يسلِّمْ، وإذا سلَّم فمِنْ رأسِ مِنْخَارِهِ!
العلمُ الذي لا يجعلُكَ متواضعاً جهلٌ يلبسُ عباءَةَ العلم!
وإبليسُ بالمناسبةِ مِن أعلمِ الخَلْقِ، ولكنْ أهلكَهُ الكِبْرُ!
والمالُ الذي لا يُشعِرُك بفقرِكَ أمامَ اللّهِ هو فقرٌ ممزوجٌ بمَالٍ!
وقارونُ بالمناسبةِ كان أغنَى النَّاسِ ولكنْ أهلَكَهُ كِبْرُه!
تواضَعُوا، فما تَواضَعَ أحدٌ للّهِ إلا رَفَعَهُ!

231

«لَا أَحْضُرُ!»

كان للنَّبيِّ ﷺ جارٌ فارسيٌّ مشهورٌ بطعامِهِ اللَّذيذِ،

فصنعَ يوماً طعاماً، وجاء إلى النَّبيِّ ﷺ يدعُوهُ!

فقال له النَّبيُّ ﷺ وهو يشيرُ إلى عائشة: وهذهِ؟

فقال: لَا!

فقال له النَّبيُّ ﷺ: لَا أحضُرُ!

ثمَّ صنعَ بعد ذلك طعاماً وجاءَ يدعُوهُ،

فأشار النَّبيُّ ﷺ إلى عائشة وقال: وهذه؟

فقالَ الفارسيُّ: نعم.

فقال النَّبيُّ ﷺ: الآنَ نَعم!

ثمَّةَ مواقف بسيطة تعني الكثيرَ للنِّساءِ، وهي أثمنُ عندهنَّ من الهَدايَا؟

نحنُ نُمْتَلكُ من الدَّاخلِ، نُمتَلكُ حقيقةً لا كنايةً!

نُشرِقُ وننطفِئُ بأثرِ الأفعالِ في قُلوبِنا، لا بقيمةِ الأشياءِ الماديَّةِ من حولِنا!

فإيَّاكَ أن تخجلَ بها، مَنْ لا يصنعُ قيمةً لزوجتِهِ، لنْ يصنعَ لها العالمُ كلُّه قيمةً!

أنتَ تجعلُهَا رفيعةً في عيونِ النَّاسِ، وأنتَ تُسقِطُها!

232
«لو أنَّ فَاطِمَةَ بِنتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ!»

سَرَقَتْ امرأةٌ من بنِي مَخْزُوم، فَأَهَمَّ قُرَيشٌ أمرَهَا،
وأحزنَهُم أن تُقطعَ يدُها، فأخذوا يبحثون عن واسطةٍ عند النَّبيِّ ﷺ،
فلم يجدُوا أحبَّ على قلبِهِ من أسامةَ بن زيد، حِبُّهُ وابنُ حِبِّهِ!
فكلَّمهُ أسامةُ فيها، فغضبَ النَّبيُّ ﷺ غَضَباً شديداً،
وقال له: أتشفعُ في حدٍّ من حدودِ اللّهِ يا أسامة؟!
ثمَّ صعدَ المنبرَ، وخطبَ في النَّاس، وقال قولتَهُ المشهورة:
«وَأَيْمُ اللّهِ، لو أنَّ فاطمةَ بنتُ محمَّدٍ سَرَقتْ لقَطَعْتُ يَدَهَا»!
وحاشا فاطمةُ، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ ضربَ مثلاً بأغلى النَّاس على قلبه!

ما أفسدَ البلادَ شيءٌ كالواسطَةِ والمُحَابَاةِ!
يتعبُ أحدُهم ويدرسُ ويجتهدُ، ثمَّ تكونُ الوظيفةُ لمن جاءَ من طرفِ فُلانٍ!
يخطئُ المسكينُ، فيُفْرِدُ القانونُ عضلاتِه، ويُخْطِئُ المُتَنَفِّذُ، فيصبحُ القانونُ أعمَى!
قبلَ أن تطلبَ الواسطةَ تذكَّرْ أنَّكَ شريكٌ في السَّرِقَةِ!
السَّرقةُ ليست مالاً فقط، الوظيفةُ التي تُعطَى لغيرِ مُستَحقِّها سَرِقَةٌ!
والمُناقَصَةُ التي ترسُو على غيرِ مُستَحقِّهَا سَرِقَةٌ!

233

«حَنَّ الجِذْعُ!»

كان النَّبيُّ ﷺ قدِ اتَّخذَ جذعَ نخلةٍ يَخْطِبُ عليه،
فلمَّا صنعوا له منبراً، وقفَ يخطبُ عليه، وتركَ الجِذْعَ،
فَحَنَّ الجِذْعُ إليه، وسُمِعَ له أنينٌ كأنينِ المُشتاقِ!
فمسحَ النَّبيُّ ﷺ عليه بيدِهِ الشَّريفة! كالمُواسِي له فسكت أنينُهُ!
فأين يدُكَ لتمسحَ بها على قلوبٍ تحنُّ إليك!
أين وجهُكَ ننظرُ إليه فيُغنِينَا عن وجوهِ الأحبَّةِ والأعداءِ معاً؟!
أين صوتُك نسمعُهُ فنَرْتَوِي فإنَّ العطَشَ إليك جفَّفَ القلبَ؟!
أين رائحتُكَ نشمُّهَا فنُبَاهي بها عطورَ الدُّنيا كلَّها؟!
أين أثرُ خطواتِك في الطَّريقِ لنَحْضُنَها ونقول: هذا أثرُ الحَبِيبِ؟!
كم نحبُّك يا رسول الله، كم نحبُّك!
حنَّ إليك الجِذعُ وهو خشبٌ، فكيف حالُنا ونحنُ لحمٌ ودمٌ؟!
نحن أكثر حنيناً من الجذعِ وإن لم يصدر منَّا نشِيجٌ،
نحن أحوجُ إلى مسحةٍ منك على قلوبنَا ثمَّ على الدُّنيا السَّلام،
سلامٌ عليك، أحْبَبْنَاكَ ولم نَرَكَ، وصدَّقنَاك ولم نسمعْ منك،
وليس لنَا من عزاءٍ في الشَّوقِ غيرَ أنَّ الموعدَ الحوضُ!

234

«لو قالَ إنْ شاءَ اللّٰه لم يَحْنَثْ!»

حدَّث النَّبيُّ ﷺ أصحابَه أنَّ سليمانَ عليه السلام قال:
لأَطُوفَنَّ الليلةَ بمئةِ امرأةٍ ، تلدُ كلُّ امرأةٍ غلاماً يجاهدُ في سبيلِ اللّٰهِ!

فقالَ له المَلَكُ: قلْ إن شاء اللّٰه!

فنسيَ أنْ يقولَ، وطافَ بمئةِ امرأةٍ، فلمْ تَلِدْ منهُنَّ إلَّا واحدةٌ جاءَتْ بنصفِ إنسانٍ!

فقالَ النَّبيُّ صَلَى اللّٰهُ عَلَيهِ وسَلَّم معلقاً على هذه القصَّةِ:

لو قال إن شاء اللّٰه لم يَحْنَثْ، وكان أرْجَى لِحاجَتِهِ!

علِّقْ أمورك بمشيئةِ اللّٰه فهذا أرجَى أن يُتَمِّمَهَا اللّٰهُ لك!

اجعلْ إن شاء اللّٰه سيفَكَ الذي تستعينُ بهِ على قطعِ حوائجِكَ،

وعُكَّازَكَ الذي تَتَّكِئُ عليه لبلوغِ مآرِبَك،

فمنْ سلَّمَ للّٰهِ بالمشيئةِ أعطاهُ اللّٰهُ تعالى ما شاءَ بإذنه،

ومن أغنى نفسَهُ بنفسِهِ استغنَى اللّٰهُ عنه،

ولم يُصِبْ من أمرِهِ إلا ما قدَّر اللّٰهُ له أن يُصِيبَ!

235

«إنَّ الحَيَاءَ لا يَأتِي إلَّا بخيرٍ»

مرَّ النَّبيُّ ﷺ على رجلٍ من الأنصارِ يَعِظُ أخاهُ في الحياءِ،
أي أنَّه كان يطلبُ منه ألا يكون كثيرَ الحياءِ!
فقال له النَّبيُّ ﷺ، دَعْهُ، فإنَّ الحَياءَ لا يأتِي إلَّا بخَيرٍ!
على أنَّه يجبُ أن نُفرِّقَ بين الحياءِ والخجلِ!
الحياءُ من رفيعِ الأخلاقِ، والخجلُ من أمراضِ النُّفُوسِ!
ورأسُ الحياءِ أن يستحيَ المرءُ من ربِّه أولاً!
أن يحرصَ أن لا يكون حيثُ نُهِيَ، وأن لا يغيب حيثُ أُمِرَ!
أن يقدرَ على المعصيةِ فيَتْرُكَهَا لأنَّ اللّه ناظرٌ إليه،
وأن يقدرَ على ردِّ الإساءةِ بالإساءةِ فيعفو،
لأنَّه يستحي أن يطلبَ العفوَ من اللهِ ولا يعفو هو عن النَّاسِ!
الحياءُ أن لا تذهبَ إلى مكانٍ تُعَيَّرُ به، وألا تمشي مع رفقةٍ تخجلُ بها،
وأن لا تفعل شيئاً سينزلُكَ من عيونِ النَّاسِ!
أمَّا أن يُؤكَلَ حقُّكَ فتَسْكُت، وتُصْفَعَ ظلماً فتُطَأْطِئ رأسَكَ،
فهذا خجلٌ مذمومٌ، وجُبْنٌ معلومٌ، فلا تُوهِم نفسَكَ أنَّه الحياءُ!
وإنَّ اللّه لا يحبُّ العبدَ الذَّليلَ!

236
«إنَّ اللّٰه لمْ ينسَ ذلكَ لكَ!»

هَجَتْ قريشٌ رسولَ اللّٰه ﷺ والمسلمين معه،
فَانْبَرَى شُعراءُ الإسلامِ يَرُدُّون الصَّاع صَاعَين!
فقال النَّبيُّ ﷺ لكعب بن مالك: يا كعبُ، أأَنْتَ الذي قلت:
زَعَمَتْ سُخَيْنَةُ أنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا ... وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّابِ
فقالَ كعبٌ: نعم يا رسول اللّٰه!
فقالَ له: أمَا إنَّ اللّٰه لَم يَنْسَ ذلكَ لكَ!
مقالةٌ تكتُبها دفاعاً عن هذا الدِّينِ محفوظةٌ!
ومحاضرةٌ تُحبِّبُ فيها النَّاس إلى اللّٰه مشكورةٌ!
ومنشورٌ تدافعُ فيه عن الفطرةِ والأخلاقِ مأجورٌ!
وكلمةُ حقٍّ في مجلسِ باطلٍ قد تكونُ الجنَّةُ فيها!
ذبٌّ عن عِرضِ غائبٍ قد يكونُ باباً للمجد!
الأقلامُ، والفكرُ، والفصاحةُ، والبلاغةُ، والمنابرُ، والصُّحفُ،
كلُّها ميادينُ جهادٍ، وإنَّ اللّٰه لا ينسى!

237

«نِعمَ المالُ الصَّالحُ للمرءِ الصَّالحِ!»

بعثَ النَّبيُّ ﷺ رجلاً إلى عَمرُو بن العاصِ يقولُ له:
خذْ عليك ثِيَابَكَ وسِلاحَكَ ثمَّ ائْتِنِي!
فجاءَ عمرو بن العاصِ يلبسُ لِبَاسَ الحَرْبِ ...
فقال له النَّبيُّ ﷺ: إنِّي أريدُ أن أبعثَكَ على جيشٍ،
فيُسلِّمُك اللهُ، ويُغنِّمُك، وأرغبُ لكَ من المالِ رغبةً صالحةً.
فقالَ عمرو: ما أسلمتُ لأجلِ المالِ، بل رغبةً في الإسلام!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: يا عمرو، نِعمَ المالُ الصَّالحُ للمرءِ الصَّالحِ!
المالُ ليسَ دليلاً على حُبِّ اللهِ للعبدِ،
فقد كان قارونُ أغنَى رجلٍ في التَّاريخِ وهو بَغِيضٌ إلى اللهِ!
والفقرُ ليس دليلاً على بُغضِ اللهِ للعبدِ،
كان النبَّيُّ ﷺ يربطُ حجراً على بطنه من الجوعِ!
وإنَّما هي أرزاقٌ قَسَمَها اللهُ تعالى بين عبادِهِ لحكمةٍ يعلمُهَا،
وإنَّما القصدُ أنَّ المؤمنَ بالمالِ يفعلُ عباداتٍ لا يمكنُهُ فِعْلُها بدونِه!
إنَّه يطعمُ بطوناً أنهَكَهَا الجوعُ، ويشتري دواءً لمسكينٍ،
ويقضي ديونَ غارمين أثقلتْهُم، ويصلُ أرحاماً بالأعطياتِ
فيملِكُ قلوبَهُم!

238
«تَجَاوَزُوا عن عَبْدِي!»

حدَّث النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ عن موقفٍ من مواقفِ يومِ القيامَةِ فقال:

أُتِيَ اللهُ بعبدٍ قد آتاهُ مالاً، فقال له: ما عمِلْتَ في الدُّنيا!؟

فقال: يا ربُّ، آتَيْتَنِي مالاً، فكنتُ أبايعُ النَّاسَ،

وكانَ من خُلُقِي الجَوَازُ، كنتُ أَتَيَسَّرُ على المُعْسِرِ، وأُنظِرُ المُعْسِرَ!

فقال الله تعالى: أنا أحقُّ بذلك منك، تَجَاوَزُوا عن عبدِي!

كن وفيّاً لمواقفِ النَّبيلِ ولا تنسَ،

فإنَّ لك ربّاً وفيّاً يحفظُ المعروفَ ولا ينساهُ، ويُحبُّ الأوفياءَ!

احْفَظْ للصدِّيقِ معروفَهُ، وللجارِ موقِفَهُ النَّبيلَ،

وللأخِ ذكرياتِ الطُّفولَةِ، ولربِّ العملِ إحسَانَهُ معك،

وللزَّوجةِ تفانِيهَا في خِدمتِكَ، وللزَّميلِ مُساعدَتَهُ لك،

لا تجعلْ ساعةً من خصومةٍ تهدمُ عمراً من المودَّةِ!

239

«اِسْتَنْقَذَ اللّٰهُ بكلِّ عضوٍ منه عضواً من النَّارِ!»

حثَّ النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ على إعتاقِ العَبيدِ فقال:
أيُّما رجلٍ أعتقَ اِمْرأً مسلماً، اِسْتَنْقَذَ اللّٰهُ بكلِّ عضوٍ منه عضواً من النَّارِ!

أمَّا الآن فقد مضى زمنُ العبيدِ، ولكنْ مَا زالتْ هذه بتلك!
من اسْتَنْقَذَ عيناً من البكاءِ حفِظَ اللّٰه له دمعَهُ أن يجري!
ومن اسْتَنْقَذَ قلباً من الكَسْرِ حمَى اللّٰهُ قلبَهُ من الكَسْرِ!
ومن اسْتَنْقَذَ كرامةً أن تُمْتَهَنَ حمَى اللّٰهُ كرامَتَهُ أن تُمْتَهَنَ!
ومن مشى في حاجةِ مسكينٍ يسَّرَ اللّٰهُ له من يمشِي في حوائِجِه،
ومن أقامَ مُتَعَثِّراً حمَاهُ اللّٰهُ من عَثْرَةٍ مثلها،
ومن تطوّعَ لعلاجِ مريضٍ عَصَمَهُ اللّٰه من مرضٍ مثله،
ومن أصلحَ بين زوجين أجرَى اللّٰه الوِفَاقَ بينه وبين زوجَتِهِ!
نحنُ بِصنائِعِ المعروفِ نَقِي أنفسَنَا من الوقوعِ في السُّوءِ!
لا أحدَ أوفَى من اللّٰهِ، لا أحدَ!

240

«اِعْمَلْ مَا شِئْتَ فقدْ غَفَرْتُ لَكَ!»

حدَّث النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ عن رحمةِ اللّٰه فقال:
أذنبَ عبدٌ ذنباً، فقال: اللهمَّ اِغْفِرْ لي ذَنْبي!
فقال اللّٰه تعالى: أذنبَ عبدِي ذنباً،
فعلِمَ أنَّ له ربّاً يغفرُ الذنْبَ، ويأخذُ بالذَّنبِ!
ثمَّ عادَ فأذنبَ، فقال: أي ربِّ، اغفر لِي ذنبِي!
فقال اللّٰه تعالى: أذنبَ عبدي ذنباً،
فعلِمَ أنَّ له ربّاً يغفرُ الذَّنبَ، ويَأخُذُ بالذَّنبِ!
اِعْمَلْ ما شِئتَ فقد غَفَرْتُ لَكَ!
الحديثُ ليسَ تشجيعاً على المعاصِي، وإنَّما تشجيعٌ على التَّوبَةِ!
إنْ عصيتَ اللّٰه ألفَ مرَّة، فتُبْ ألفَ مرّة،
إيَّاكَ أن يُوهِمَكَ الشَّيطانُ أنَّ هناكَ ذنباً أكبرُ من عفوِ اللّٰهِ!
ولكن الأصلُ أن يتأدَّبَ العبدُ أمامَ نظرِ اللّٰهِ إليه،
ما منَّا من أحد معصوم، ولكنَّنا نُجاهِدُ على الاستقامةِ!
فإن غلبَكُم الشَّيطانُ على معصيةٍ،
فتذكَّرُوا أنَّ لكُم ربّاً ينتَظِرُ منكُم التَّوبةَ ليتوبَ عليكُم!

فكُنْ حُرًّا ولا تنسَ معروفاً أُسديَ

إليك، صحيحٌ أنَّ الذي يفعلُ المعروفَ

في الغالبِ لا ينتظرُ سداداً،

ولكن من العارِ أن تنسى أنت!

فكُنْ حُرًّا ولا تنسَ معروفاً أُسديَ
إليك، صحيحٌ أنَّ الذي يفعلُ المعروفَ
في الغالبِ لا ينتظرُ سداداً،
ولكن من العارِ أن تنسى أنت!

241

«إنَّ حُسنَ العَهْدِ من الإيمَانِ!»

دخلتْ جثَّامة المُزَنِيَّة على النَّبي ﷺ،
وكانتْ من صُوَيْحِبَاتِ أمِّنَا خديجةَ رضي الله عنها،
فهَشَّ لَهَا وبَشّ، وأحسنَ استقبالَهَا، وأكرمَ قُدُومَهَا،
فلمَّا خرجت جثَّامَة من عندهِ قالت لَهُ أمُّنَا عائشة:
يا رسول الله، تُقبِلُ على هذه العجوزِ هذا الإقبالَ!
فقال لها: إنَّها كانت تَأْتِينَا زمانَ خدِيجَة،
وإنَّ حُسنَ العَهْدِ من الإيمانِ!
عندما يقعُ بينَك وبينَ زوجَتك خصومةٌ..
تذكَّرْ لحظاتِ الحبِّ بينكما!
وعندمَا يقعُ بينَكَ وبين صدِيقكَ خِلافٌ تذَّكرْ ضَحِكَاتكُما معاً!
وعندما تُحاولُ الدُّنيَا أن تُفرقَّ بينك وبين أخِيكَ، أو أُختِكَ،
تذكَّرْ أنَّ الدَّمَ الذي يمشِي في عروقِكُما واحدٌ!
تذكَّر ضحكاتِ الصِّبَا، ولَعِبَ الأتْرَابِ، وحُنُوَّ القَلْبِ على القَلبِ!
كلُّ إنسانٍ شاركْتَهُ ضحْكَةً، أو دمعةً، أو لُقمةً،
فقد صار بينكما عهداً فاحفظه وإن فرَّقَتْكُم الدُّنيا،
لا تُذِعْ سرّاً، ولا تُبَارِزْ بنقاطِ الضَّعْفِ، فإنَّ حُسنَ العَهْدِ من الإيمانِ!

242
«مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ!»

سَأَلَ رجلٌ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلام أفضلُ؟
فقال: مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِه وَيَدِهِ!
دينُكَ الحقيقيُّ ليسَ في مُصَلَّاكَ وإنَّمَا في متجَرِكَ،
حينَ لا تغشُّ، ولا تحلفُ كذباً لتبيعَ!
دينُكَ مع جارِكَ حينَ يَأْمَنُ أذَاكَ!
ومع زملاءِ العَمَلِ حين يَسْلَمُوا من وِشَايَتِكَ!
ومع أَبَوَيْكَ حين يبلغَانِ من العُمرِ عِتِيّاً فتكونَ لَهُما خادماً،
ومع إخوتِكَ وأرحامِكَ تَصِلُهُم، وتُحْسِنَ إليهم، وتحتملُ منهم،
ولَا تُرَدِّدَ قانونَ إبليسَ الذي أرسَاهُ النَّاس: الأقاربُ عقاربٌ!
دينُكَ أن تَسلَمَ منك أعراضُ المُسلِمينَ فلا تَطَالُها،
في ألا تأكل لحومَهُم بالغِيبَةِ، ولا تمشِي بينَهُم بالنَّمِيمَةِ،
دينُكَ في تعامُلِكَ مع البُسطاءِ،
مع الخَادِمَةِ في البيتِ، ومع البائعِ المتجولِ المسكينِ،
مع عاملِ النَّظافةِ، وبوَّابِ العمارةِ، وكلُّ الذين ليسَ لهم إلا اللهُ!

243
«لَا تُبَشِّرهُم فَيَتَّكِلُوا!»

قال النَّبِيُّ ﷺ لمعاذِ بن جَبَل:

يا معاذُ أتدري مَا حقُّ اللهِ على العبادِ، وما حقُّ العبادِ على اللهِ؟!

فقال: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ.

فقال له: حقُّ اللهِ على العبادِ أن يعبُدُوهُ ولَا يُشْرِكُوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على اللهِ أن لَا يُعذبَ من لا يشركُ به شيئاً!

فقال معاذٌ: يا رسولَ اللهِ، أفَلَا أُبَشِّرُ النَّاس؟

فقال له النبي ﷺ: لَا تُبَشِّرهُم فَيَتَّكِلُوا!

فأخبرَ معاذٌ بهذا الحديثِ عند موتِهِ مخافَةَ أن يكونَ كَتَمَ عِلماً!

الشِّرْكُ ليسَ كُلُّهُ سجودٌ لصنم، ثمَّةَ شِرْكٌ خفيٌّ كَدَبِيبِ النَّملِ!

عندما نُعَلِّقُ التَّمَائِمَ، والخَرَزَاتِ الزُّرْقَ للحمايةِ، فهذا شِرْكٌ!

وعندما نطلبُ الشِّفاءَ والرِّزقَ من الصَالِحِينَ في قبورِهِم فهذا شِرْكٌ! وعندما نعتقدُ أنَّ الشِّفاءَ بيدِ الطَّبِيبِ، وعُلْبَةُ الدَّواءِ، فهذا شِرْكٌ! فرقٌ كبيرٌ بين التَّداوِي بالأسبابِ وبين اعتقادِ أنَّها تنفعُ دونَ أمرِ اللهِ! وعندما نعتقدُ أنَّ الرِّزقَ بيدِ ربِّ العَمَلِ فهذا شِرْكٌ!

فرقٌ كبيرٌ بين السَّعي لطلبِ الرِّزقِ وبين الاعتقادِ أنَّ هناكَ رازقاً غيرُ اللهِ! ثمَّةَ عقائدُ لا يترتَّبُ عليها عملٌ، ولكنَّ كلَّ عملٍ بدونِهَا يذهبُ هباءً!

فَتَعَالَوا نُصْلِحُ عَقَائِدَنَا!

244
«إنَّ منْكم مُنَفِّرِينَ!»

جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّه،
إنِّي أتأخرُ عن صلاةِ الفجرِ من أجلِ ممَّا يُطِيلُ بنا فلانٌ!
فرُؤِيَ الغضبُ على وجهِ النَّبيِّ ﷺ، ثم قال:
يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ مِنْكُم مُنَفِّرِينَ، فأيُّكُم صلَّى بالنَّاس فَلْيُوجِزْ!
مقتلُ بعضِ الخطباءِ والأئمَّةِ خلطُهُم بين العباداتِ الفرديَّةِ والجماعيَّةِ!
يستعذبُ أحدُهم صوتَهُ، فيقرأُ فَيُطِيلُ، والنَّاسُ خلفَهُ يُعانُونَ!
فيهم مريضٌ لا يحبسُ وضوءَهُ، وكبيرُ سِنٍّ لا تكادُ تحمِلُهُ قدَمَاهُ!
وصاحِبُ ورشةٍ أقفلَها، وصاحِبُ وظيفةٍ استأذَنَ منها!
فإن استَعْذَبْتَ صوتَكَ فالليلُ أمَامَكَ طويلٌ، واتَّقِ اللّه في النَّاس!
ويصعَدُ أحدُهُم المِنبرَ فلا تطيبُ له نفسُه أن يفارقَهُ!
من موضوعٍ إلى موضوعٍ، ومن حدثٍ إلى حدثٍ، كأنَّها نشرةُ حصادِ اليوم!
شقَّ على النَّاسِ، حتى صار بعضُهم يقصِدُ المسجدَ البعيدَ هرباً منه!
من لا يستطيعُ أن يوصِلَ فكرتَهُ بدقائقَ فلن يُوصِلَهَا في ساعةٍ!
وإنَّ خُطبَةَ أبي بكرٍ وعمرَ يومَ وَلِيَا الخِلَافَةَ، لا تتجاوزُ **الدَّقائِقَ**،
هذا وهيَ إعلانٌ سياسيٌّ، اجتماعيٌّ، ورسمُ ملامحَ سياسةِ الدَّولةِ!
فاتَّقُوا اللّهَ في النَّاسِ ولا تكونُوا مُنَفِّرِينَ!

245

«حتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ!»

حدَّثَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ عن السَّبعَةِ الذين يُظِلُّهُم اللّٰه،
في ظلِّ عرشِهِ يومَ لَا ظلَّ إلا ظلُّهُ،
وكان ممَّن ذكرَهُم: رجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها،
حتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ!
صدقةُ السِّرِّ تُرَمِّمُ حاجةً، وتحفظُ كرامةً، وتدفعُ أذىً!
كلُّ عبادةٍ تستطيعُ أن تؤدِّيَهَا بالسِّرِّ فلا تُؤَدِّهَا بالعلنِ،
وكلُّ صدقةٍ تستطيعُ إخفاءَها فإيَّاكَ أن تُظهِرَها،
لا شيءَ يفسدُ العملَ كالرِّيَاءِ،
وكلُّ عملٍ لم يطَّلِعْ عليه النَّاسُ فقد سَلِمَ من الرِّيَاءِ،
وما سَلِمَ من الرِّيَاءِ فقد قُبِلَ!
وما قُبِلَ فقد بَلَغَ بك الآفاقَ وإن لم يَدْرِ به النَّاسُ!
وحسبُكَ دوماً أنَّ اللّٰه يَعْلَمُ!

246
«حَتَّى يَفُكُّهُ العَدْلُ، أَو يُوبِقُهُ الجُورُ!»

قالَ النَّبِيُّ ﷺ يوما لأصحابِهِ: مَا من أميرِ عَشَرَةٍ، إلَّا وهَو يُؤْتَى به يومَ القيامةِ مغلولاً، حَتَّى يَفُكُّهُ العَدْلُ، أَو يُوبِقُهُ الجُورُ!

كُلُّ واحدٍ منَّا أميرٌ في مجالِهِ ومسؤولِيَّاتِهِ!

فيا أيُّها الأبُ: هل عدَلْتَ بين الأولادِ أم ميَّزْتَ؟!

ويا أيُّها المُعدِّدُ: هل عدلتَ بين الزَّوجات أم حَابَيْتَ؟!

ويا أيُّها المديرُ: هل ساويتَ بين موظَّفيكَ أم دَاهنْتَ؟!

ويا مديرَ مخفرِ الشُّرطةِ: هل طبَّقْتَ القانونَ على الجميعِ؟

أم أنَّك أطلقتَ ابن الأميرِ، وسجنتَ ابن الخَفيرِ؟!

يا أيُّها الذي أجرَى مقابلاتِ التَّوظيفِ: هل أعطيتَهَا للأكفأ، أم أنَّك أعطيتَهَا للذي جاءَكَ من طرفِ فلانٍ؟!

كُلُّنا سنأتِي يومَ القيامةِ مُكبَّلينَ بمسؤوليَّاتِنَا ومناصِبِنَا، ويومَذَاكَ لن يَفُكَّنَا إلَّا العدلُ، فَاعْدِلُوا!

247
«إلَّا مَا كانَ لَه خَالِصاً!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:
أرأيتَ رجُلاً غزَا يلتمسُ الأجرَ والذِّكرَ، ما لَهُ؟
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: لا شيءَ لَه!
فأعادَهَا ثلاثَ مرَّاتٍ، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ له: لا شيءَ له!
ثمَّ قالَ: إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان له خالصاً، وابتُغيَ به وجهُه!
كلُّ طريقٍ مشيتَ فيها لغيرِ اللهِ فهي هباءٌ،
وكلُّ جهدٍ بذلتَه لغيرِ اللهِ فهو نَصَبٌ!
النَّوايا مناطُ الأعمالِ فأصلِحْ نيَّتَكَ،
لا شيءَ يُرعبنُي أكثرَ من حديثِ النَّبيِّ ﷺ،
إنَّ أولَ من تُسعَّرُ بهم النَّارُ قارئُ قرآنٍ، ومنفقٌ، وشهيدٌ!
كانُوا يعملونَ كلَّ هذه الأعمالِ العظيمةِ للنَّاسِ!

248
«أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عنهَا؟!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولُ اللهِ،
إن أمي افتُلِتَتْ نفسُها، أي ماتتْ فجأةً، ولم توصِ،
وأظنُّها لو تكلَّمتْ لتصدَّقتْ، أفلَهَا أجرٌ إن تصدَّقتُ عنهَا؟!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: نعم!
هناك ألفُ طريقةٍ لإيصالِ الأجرِ للوالدين بعد وفاتِهما،
علبةُ دواءٍ لمريضٍ تشتريها وتنويها لهما،
قارورةُ ماءٍ باردٍ لعاملِ نظافةٍ في يوم حارٍّ تجعلُ ثوابَها لهما،
أرغفةُ خبزٍ لمساكينَ تُهديهما ثوابَها،
لن يُعدمَ المرءُ حيلةَ لبرِّ والديه، في كتابِ الزُّهدِ للإمامِ أحمد:
كان الرَّبيعُ بن خُثيم يميطُ الأذى عن الطَّريقِ ويقولُ:
هذا لأمِّي، وهذا لأبي!

249
«لا تَغْضَبْ!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:
علِّمني شيئاً ولا تكثِرْ عليَّ لعلِّي أعِيهِ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لا تغضبْ!
الغضبُ شيطانٌ من نارٍ يجري في العرُوق، فأبرِدْه بالوضوءِ، والذِّكرِ، وتغييرِ المكانِ الذي أنت فيه!
وإنك لو نظرتَ إلى غالبِ مشكلاتِ النَّاسِ لوجدتَ الغضبَ مُحرِّكَها، الطَّلاقُ الذي يقعُ عن قناعةٍ واتِّفاقٍ لا يكادُ يُذكر، أغلبُ الطلَّاقِ إنَّما يكونُ في ساعةِ غضبٍ!
القتلُ عن سابقِ إصرارٍ وترصُّدٍ ليس شيئاً في الإحصاءاتِ، أغلبُ القتلِ إنَّما يكونُ في ساعةِ غضبٍ!
حتى أغلبُ النَّدمِ الذي نندمُه هو على ما فعلناهُ في لحظةِ غضبٍ،
كلمةٌ قلناها ما كان يجبُ أن نقولها، وتصرَّفٌ فعلناه به ما كان يجبُ أن نفعله!

250

«ذَاكَ إبرَاهيمُ عَليه السَّلام!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا خيرَ البرِيَّة!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: ذاكَ إبراهيمُ عليه السَّلام!
يا للتَّواضعِ يا رسولَ اللهِ، يا للتَّواضع،
يعرفُ أنَّه خيرُ النَّاسِ، بل خيرُ الأنبياءِ،
ولكنَّه يغتنمُ أدنى فرصةٍ ليُذكِّرَ بفضلِ أصحابِ الفضلِ!
مديحكَ للنَّاسِ لن ينقصَ قدركَ، على العكسِ هذا يجعلكَ كبيراً في عيونِ النَّاسِ،
فإن كنتَ كاتباً ما ضرَّكَ أن تشيدَ بكاتبٍ آخر له أسلوبٌ عذبٌ،
وإن كنتَ طبيباً ما ضرَّكَ أن تمدحَ طبيباً آخر في مجالكَ،
كونكَ مدرِّسٌ ناجحٌ فهذا لا يعني أنك المدرسة!
وكونكَ ضابطٌ شجاعٌ فهذا لا يعني أنَّكَ الجيشُ!
النُّبلاءُ يسعدُهم أن ينجَحُوا وينجحَ النَّاسُ،
النَّاقصُون فقط هم الذين يجدونَ لذَّةً في انتقاصِ الآخرين!

251
«لا تُخْبِرْ بتَلاعُبِ الشَّيطانِ بكَ في المنَامِ!»

جاءَ أعرابِيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:
إنِّي حلمتُ أنَّ رأسِي قُطِعَ، وإنِّي أتبَعُه!
فزجرَه النَّبيُّ ﷺ وقالَ له: لا تخبِرْ بتلاعبِ الشَّيطانِ بكَ في المنام!
الرُّؤى التي يراها الإنسانُ لا تخرجُ عن إحدى ثلاث:
الأولى: حديثُ نفسٍ، والمرءُ يرى في منامِه بعضَ ما يشغلُ تفكيرَه!
الثَّانيةُ: تلاعبُ شيطانٍ، يُري الإنسانَ ما يُفزعُه ويُحزنُه!
الثَّالثةُ: الرؤيا الحقّ، وهي رسائلُ من اللهِ سبحانَه لعبادِه،
بعضُها يربتُ على القلبِ، وبعضُها يخبرُ باقترابِ الفَرج!
وهذه فقط هي التي يُحدِّثُ بها المرءُ من يُحب!
والعاقلُ من وقفَ في موضوعِ الرُّؤى موقفاً وسطاً،
فلا هو أنكرَها إنكارَ الجاحدينَ بها،
ولا هو ربطَ حياتَه بانتظارِ أن تتحقَّقَ الرُّؤى التي قيلَ له عن تأويلِها،
إنَّما هي كما سمَّاها النَّبيُّ ﷺ: مبشِّرَات!
نستأنسُ بها، ونسألُ اللهَ خيرَها، ولا نُعطِّلُ حياتَنا لأجلِها ونتوقَّف عن العملِ!

252
«رَحِمْتَهَا رحمَكَ اللهُ!»

جاءتِ امرأةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ وعندَه رجلٌ، فقامَ وأجلسَها،
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أمُّكَ هي؟
فقالَ: لا.
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أختُكَ هي؟
قالَ: لا.
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: رَحِمْتَها رحمكَ اللهُ!
قيامكَ في الحافلةِ لتُجلسَ شيخاً كبيراً في السِّنِّ رحمةٌ،
وحملكَ الأكياسَ عن عجوزٍ في الحيِّ رحمةٌ،
وأن توقفَ سيارتكَ ليعبرَ النَّاسُ في الطَّريقِ رحمةٌ،
وألا تتقاضى الأجرةَ كاملةً من مستأجرِكَ في موسمِ العيدِ رحمةٌ،
هذا دِينُ الرَّحمةِ، والخُلقِ، والذَّوقِ، «والإتيكيت»!
وإنَّ رحمةَ اللهِ بعبده بمقدارِ ما في قلبِه من رحمةٍ للنَّاسِ،
الجزاءُ من جنسِ العملِ، ولا أحدَ أكرمُ وأوفى من اللهِ!

253

«لقَدِ احْتَظَرْتِ بحظارٍ شَدِيدٍ منَ النَّارِ!»

جاءتِ امرأةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ بابنٍ لها، فقالتْ:
يا رسولَ اللهِ، إنَّه يشتكي، وإنِّي أخافُ عليه، دفنتُ قبلَه ثلاثةً!
فقالَ لها: لقد احتظرتِ بحظارٍ شديدٍ من النَّارِ!
من أبلغِ ما قالته العربُ: فقدُ الأحبَّةِ غربةٌ!
ليس سهلاً على الوالدين أن يفقدا أحدَ أبنائهما،
الأمرُ موجعٌ كأنَّ القلبَ قد خُلِعَ من مكانِه،
وقد بكى النَّبيُّ ﷺ يوم موتِ ابنِه إبراهيم،
ولكنَّ الحزنَ شيءٌ، والاعتراضُ على قدرِ اللهِ تعالى شيءٌ آخر،
عند كلِّ فقدٍ تذكَّرْ أنَّكَ في حضرةِ قضاءِ اللهِ وقدرِهِ فتأدَّبْ،
الدُّنيا ليست نهايةَ المطافِ، ثمَّ إنَّ كلَّنا راحلٌ عنها،
وإنَّما هي مواقيتٌ وقَّتَها من لا يُسألُ عمَّا يفعلُ سبحانه،
جميعنا جنازاتٍ مؤجَّلةٍ، واليومَ نحملُ التوابيتَ وغداً نُحملُ فيها،
فخذُوا بشارةَ حبيبكُم، كلُّ فقدٍ توَّجه الإنسانُ بالرِّضى هو حجابٌ من النَّارِ!

254
«هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ!»

حدَّثَ أنسُ بن مالكٍ أهلَه فقالَ: جاءتِ امرأةٌ إلى النبي ﷺ،
فعرضتْ نفسَها عليه للزّواجِ، فقالتْ: هلْ لكَ فيَّ حاجة؟!
فقالتْ ابنةُ أنسٍ تُقاطعه: ما أقلَّ حياءَها!
فقالَ لها: هي خيرٌ منكِ!
رغِبتْ في رسولِ الله ﷺ فعرضتْ نفسَها عليه!
إنَّكَ لا تعرِفُ في هذا الحديث ممَّن تعجبُ،
من حياءِ ابنةِ أنسٍ، أمْ من دفاعِ أنسٍ عن الصَّحابيَّة!
الأصلُ أن المرأةَ مرغوبةٌ لا راغبة، ومطلوبةٌ لا طالبة،
وهي وإن كانت تبعاً لأصلِ الخلقةِ أكثر ميلاً إلى الرَّجلِ من ميله إليها،
إلا أنَّ الله تعالى ضبطَ ميلهَا هذا بالحياء!
على أن يُعلَم أن طلبَ الحلالِ والعفَّةِ لا يعيبُ المرأة،
فمن ألمحتْ، أو صرَّحتْ لمن هويتْ أن يطرقَ بابهَا بالزَّواجِ فلا شيءَ فيه،
الحلالُ لا يُعيبُ وإن بدا في عيونِنا مستهجناً!

255
«كَلَابِسِ ثَوْبَي زُوْرٍ!»

جاءتِ امرأةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالتْ:
إنَّ لي ضَرَّةً، فهل عليَّ جناحٌ أن أتشبع من مالِ زوجي بما لم يُعطِني؟!
فقالَ لها النَّبيُّ ﷺ: المتشبِّعُ بما لم يُعطَ كلابسِ ثوبي زُورٍ!
ليسَ لأحدٍ أن يأخذَ مالَ أحدٍ دون رضاهُ مهما كانتِ القرابة،
راتبُ الزَّوجةِ لها، وإن كان الأصلُ في الزّواج،
أن يتعاملَ الزَّوجانِ بالمعروفِ لا بالحقوقِ،
ومالُ الزّوجِ له، وإن كان من المروءة،
أن لا يُحيجَها أن تأخذَ شيئاً من وراءِ ظهرِه،
ومالُ الابنِ له، وإن كانَ من المعيبِ أن يحرمَ المرءُ أبويه،
لا تستهينُوا بأموالِ الأقربين فإنَّ لها حرمة أيضا،
ولا يحلُّ لإنسانٍ أن يأخذَ شيئاً من مالِ إنسانٍ آخر إلا بطيبِ نفسٍ منه،
وما أُخذَ بسيفِ الحياءِ والخجلِ فهو حرام!

فِي القُرْآنِ لَمْ يُسَمِّ اللهُ لَنَا إِلَّا خَمْسَةً
وعِشْرِينَ نَبِيّاً، آلافُ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يُحَدِّثْنَا
عَنْهُم، وَلَكِنَّهُم أَنْبِيَاء!
اِطْمَئِنْ: حَتَّى وَإِنْ لَمْ يُذْكَرِ اسْمُكَ،
اللهُ يَعْرِفُك!

256
«إِنَّ رَحْمتِي تَغْلِبُ غَضَبِي!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه:
لمَّا خلقَ اللّه الخلقَ، كتبَ في كتابِه، فهو عندَه فوقَ العرشِ:
إنَّ رحمتِي غلبتْ غضَبِي!
ما أرحمَه من ربٍّ، وما أعظمَه من إلهٍ،
نعصيه فيسترُنا، ولا نعبدُه حقَّ عبادتِه فيرزقُنا،
ولا نشكرُه كما يليقُ بكثيرِ نعمِه علينا فيزيدُنا،
نبتعدُ عنه جهالةً منا فيُمهلنا، ونعودُ إليه تائبينَ فيقبلُنا،
وعلى حلمِه نؤمِّلُ يوم الحسابِ،
وعلى رحمتِه نتكّلُ، وعلى عفوِه نرجُو،
سألَ أعرابيٌّ ابنَ عبَّاسٍ: من يحاسبُ النَّاسَ يومَ القيامةِ؟
فقالَ له: اللّه!
فقالَ الأعرابيُّ: نجونا وربِّ الكعبةِ!
فقالَ له ابنُ عبَّاسٍ: ولمَ؟
فقالَ: إنَّ الكريمَ إذا ملكَ عفَا!

257
«لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوما لأصحابِه: لعنَ اللهُ السَّارقَ!
يسرقُ بيضةً فتُقطعُ يدُه، ويسرقُ الجَملَ فتُقطعُ يدُه!
السَّارقُ دنيءُ نفسٍ!
ولا أفهمُ كيف يستطيعُ شخصٌ أن يلوكَ لقمةً وهو يعرفُ أنَّها حرام!
أو أن يلبسَ ثوباً اشتراه بمالٍ حرامٍ!
أو أن ينتعلَ حذاءً سرقَه من مسجدٍ!
على أنَّ الدناءةَ واحدةٌ سواء سرقَ السَّارقُ بيضةً أو جملاً،
الأمرُ لا يتعلَّقُ بقيمةِ الشَّيءِ المسروقِ،
إنَّه يتعلَّقُ بشيءٍ مُنحطٍّ في النَّفسِ،
بدونيَّةٍ في الأخلاقِ تحتاجُ عمراً لتصيرَ عند مستوى سطحِ الأرضِ!

258
«أَدَّى اللهُ عَنْهُ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابه:
من أخذَ أموالَ النَّاسِ يريدُ أداءهَا، أدّى اللهُ عنه،
ومن أخذَها يريدُ إتلافَها، أتلفَه الله!
الدنُّيا إقبالٌ وإدبارٌ، يوم لكَ ويومٌ عليك!
واسمها مشتقٌّ من صفتِهَا، دُنيا!
وأيُّ شيءٍ أوضح لوضاعتِها من أن يموتَ النَّبيُّ ﷺ،
ودرعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ لدَين استدانَه منه؟!
على أنَّه ما من أحدٍ منَّا إلا وتمرُّ به ظروفٌ صعبةٌ،
والنَّاسُ للنَّاسِ، وتفريجُ كُرَبِ العبادِ من أحبِّ الأعمالِ إلى اللهِ،
فمن استدانَ وفي خاطرِه ألا يعيدَ هذا الدَّينَ كان اللهُ خصيمه،
سواء استدانَ مباشرةً، أو بطريقِ الالتفافِ والاحتيالِ،
كأن يدخلَ أحدُهم في جمعيَّةٍ فإذا قبضَها توقَّفَ عن الدَّفعِ،
وهذا أقبحُ لأنَّها ليست سرقةَ شخصٍ واحدٍ وإنمَّا سرقةُ كلِّ المشتركين فيها!

259

«فَلْيَخْلقُوا ذَرَّةً!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوما لأصحابِه: قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ:
ومن أظلمُ ممَّن ذهبَ يخلقُ خلقاً كخلقي،
فليخلُقُوا ذَرَّةً، أو ليخلقُوا حبَّةً، أو ليخلقُوا شَعيرةً!
هذا الدِّينُ لا يقفُ ضدَّ الإنسانِ وإنَّما ضدَّ الحرامِ!
الإسلامُ ليس ضدَّ الحُبِّ، وإنَّما ضدُّ الحرامِ الذي يُفعلُ باسمِ الحُبِّ،
وليس ضدَّ إشباعِ الغرائز، وإنَّما ضدّ الطريقةِ الحرامِ التي تُشبع بها،
وليس ضدَّ جمعِ المال، وإنَّما ضدّ الطَّريقةِ الحرام التي يُجمع بها ،
وكذلك فإنَّ الإسلامَ أيضاً ليس ضدّ الأدب، ولا ضدّ الفنِّ،
وإنَّما ضدُّ الفحشِ المكتوبِ على الورقِ الذي يُسمَّى أدباً،
وضدّ المُجونِ الذي يُمارسُ ويُسمَّى فنَّاً،
وحين حرَّمَ اللهُ تعالى النَّحتَ لكلِّ شيءٍ فيه روحٌ،
فلأنَّ فيه مضاهاةً له سبحانه في خلقهِ،
الأمرُ يتعلَّقُ بالعقيدةِ لا بالحَجْرِ على مواهبِ الإنسان!

260
«إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَر!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوم لأصحابِه: لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً،
إن كرِهَ منها خُلقاً رضيَ منها آخر!
أنت لستَ كاملاً حتى تطلبَ الكمالَ فيها،
وأنتِ لستِ معصومةً حتى تطلبي العصمةَ فيه،
ما منَّا من أحدٍ إلا وفيه ما يزعجُ الآخرين!
الفستانُ الأبيضُ، والبدلةُ الأنيقةُ، يوصلانا إلى عتبةِ البيتِ فقط،
أما بعد ذلك فعشرةٌ بالمعروفِ، وصبرٌ، واحتمالٌ، وتغاضٍ!
فإن كرهتَ فيها صوتَها المرتفع أحياناً فلا تنسَ أنَّها حنونة!
وإن كانت عصبيَّةً في بعض الأوقاتِ فلا تنسَ أنَّها تُؤتمنُ على العِرض!
وإن لم تكن «رومنسيَّةً» كما في الأفلام فلا تنسَ أنها تُكرِم أهلكَ!
وإن لم تكن مُقبلةً على الدَّوام فلا تنسَ أنَّها أمٌّ عظيمة!
هذه هي الحياة، سمتُها النَّقص، وعنوانُها العريضُ أنَّها لا تصفُو لأحد،
ثمّ وإن طلَّقتَها لعيبٍ تراه فيها، فهل ستتزوج واحدةً من الحورِ العينِ بعدها؟!
ستتركُ امرأةً بعيبٍ ما، وتتزوَّجُ أخرى بعيبٍ غيره،
لا أحد منا كاملٌ يا صديقي، لا أحد!

261

«آمَنْتُ باللهِ وكَذَّبْتُ نَفْسِي!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه:

رأى عيسى ابنُ مريمَ رجلاً يسرقُ، فقالَ له: سرقتَ؟!

فقالَ: كلا، والذي لا إلهَ إلا هو!

فقالَ عيسى عليه السَّلام: آمنتُ باللهِ وكذَّبتُ نفسي!

ليست الفكرةُ من الحديثِ أن يكون المرءُ ساذجاً،

يُعلِّمنا عيسى عليه السَّلام تعظيمَ اللهِ في القلب!

إذا سئلَ الإنسانُ باللهِ وكان قادرا فليُعطِ،

وإذا استحلفَ باللهِ أن يُجيبَ دعوةً لمناسبةٍ وكان قادراً فليلبِّ،

وإذا استجيرَ منه باللهِ كي يعفو، فليعْفُ،

فمن سألكَ باللهِ، واستحلفكَ باللهِ، واستجارَ باللهِ،

إنَّما يقولُ لكَ: جعلتُ اللهَ شفيعاً عندكَ!

فأجِبْ لعظمةِ الشَّافعِ حتى وإن كان المشفوعُ له لا يستحق!

262
«إِنِّي أُحِبُّه في اللهِ!»

حدّث النبي ﷺ يوما أصحابَه من أخبارِ الأممِ السَّابقةِ فقالَ:

خرجَ رجلٌ يزورُ أخاً له في اللهِ عزَّ وجلَ في قريةٍ أخرى، فأرصدَ اللهُ عزَّ وجلَّ في طريقِه ملَكاً، فلمَّا مرَّ به، قالَ له: أين تُريد؟

فقالَ: أريدُ فلاناً!

فقالَ له: لقرابةٍ؟

فقالَ: لا.

فقالَ له: فلنعمةٍ لكَ عندَه تُريدها؟

فقالَ: لا.

فقالَ له: فلمَ تأتيه؟

فقالَ: إنيِّ أحبُّه في اللهِ!

فقالَ له المَلَكُ: فإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ، أنَّه يحبُّكَ بحبِّكَ إيَّاه فيه!

أجملُ الحُبِّ هو ما كانَ للهِ خالصاً، ليس وراءَه مصلحةٌ ولا منفعة، أن تحبَّ أحداً لأن حديثَه يذكِّركَ باللهِ، وتحبَّ مجلسَه لأنَّه عامرٌ بذكرِ اللهِ، أن تعظِّمه في قلبكَ لما تعلمُ من مكانِ اللهِ في قلبِه، الحبُّ أجملُ عاطفةٍ في النَّاسِ، فكيف إذا كان حبُّ النَّاسِ في اللهِ؟!

263
«فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطِبَةٍ أَجْرٌ»

حدَّثَ النَّبيُّ ﷺ يوماً أصحابَه من أخبار الأمَمِ السَّابقةِ فقالَ:
بينما رجلٌ يمشِي في طريقٍ، اشتدَّ عليه العطَشُ،
فوجدَ بئراً، فنزلَ فيها فشربَ، ثم خرجَ فإذا كلبٌ يلهثُ،
فقالَ: لقد بلغَ هذا الكلبُ من العطشِ مثلَ الذي بلغَ منِّي،
فنزلَ البئرَ فملأَ خُفَّه ماءً، ثم أمسكَه بفمِه حتى صعدَ،
فسقَى الكلبَ، فشكرَ اللهُ له، فغفرَ له!
فقالُوا: يا رسولَ اللهِ، وإنَّ لنا في البهائمِ لأجراً؟
فقالَ: في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ!
في اللقمةِ ترفعها إلى فمِ زوجتكَ وأولادكَ أجرٌ،
في طريقٍ تشقُّها، كلُّ من يمشِي عليها لكَ عنه أجرٌ،
في مصباحٍ كهربائيٍّ تضيئُه في الليلِ أمام بيتكَ للنَّاسِ ليروا الطريقَ أجرٌ،

في بئرٍ تحفرُه، وشجرةٍ تزرعها، يستفيدُ منها النَّاسُ والبهائمُ أجر، ولو بقيتِ الشَّجرةُ، والطَّريقُ، والمصباحُ، والبئرُ إلى ما بعد موتكَ، فهي صدقاتٌ جاريةٌ تنالُ أجرَها في قبركَ ما دامَ نفعها على الخلائقِ جارياً!

264
«مَا عَابَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَى اللّٰهُ عَلَيهِ وسَلَّم طَعَاماً قَط!»

روى الشَّيخانِ من حديثِ أبي هُريرة،
ما عابَ رسولُ اللهِ ﷺ طعاماً قط،
كان إذا اشتهَى شيئاً أكلَه، وإن كرهَه تركَه!
النَّفسُ تُقبِلُ على بعضِ الطَّعامِ، وتُحجِم عن بعضِه، وهذا لا شيء فيه،
فقد أكلَ الصَّحابةُ الضبَّ على مائدةِ النبي ﷺ،
فلم يأكلْ منه، وما زادَ على أن قالَ: أرى نفسي تعافُه!
وإنَّما المنهيُّ عنه أمران:
الأوَّلُ: احتقارُ النِّعمةِ، ورفضُ أكلِ الطَّعامِ البسيطِ لأنَّه بسيطٌ!
الثَّاني: العيبُ على الطَّعامِ، وتكريه الآكلين منه به فلهم نفوسٌ أيضا!
ما دامَ الطَّعامُ حلالاً قد أباحَه اللهُ تعالى لخلقهِ،
فإن اشتهيتَ كُلْ، وإنْ أَنفتَ فاسكُتْ!

265
«أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه:
إنَّ من أكبرِ الكبائرِ أن يلعنَ الرَّجلُ والديه!
فقالُوا: يا رسولَ اللّهِ، وكيف يلعنُ الرَّجلُ والديه!
قالَ: يسبُّ أبا الرَّجلِ، فيسبُّ الرَّجلُ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أُمَّه!

إنَّ من المروءةِ أن يصونَ المرءُ عرضَه،
فلا يقعُ في أعراضِ النَّاسِ حتى لا يقعُوا في عرضِه!
ولا يسعَى لنبشِ سترِهم، كي لا يسعُوا لنبشِ سترِه!
إنَّ موقدَ النَّارِ هو أوَّلُ من يصطلِي بها إن هاجتْ،
وإنَّ طابخَ السُّمِّ حتماً سيذوقُ بعضَه!
ومن المعيبِ اللَّافتِ عند بعضِ أصدقاءِ السُّوء،
أن يجريَ بينهم سبُّ الآباءِ والأمَّهاتِ والأخواتِ كجري الماءِ،
يحسبُون هذا من الميانةِ وقوَّةِ الصَّداقة،
وما هي إلا قلَّةُ الأدبِ في أقبحِ صورِها!

266

«فَيَضَعُ فَمَهُ عَلَى مَوْضِعِ فَمِي فَيَشْرَبُ!»

تقولُ أُمُّنا عائشة: كنتُ أشربُ وأنا حائضٌ،
ثمَّ أناولُه النَّبيَّ ﷺ فيضعُ فمهُ على موضعِ فمِي فيشرب!
لا شيءَ أجمل من الحُبِّ الحلالِ!
عيشُوه، وتلذَّذُوا به، وتفنَّنُوا في أساليبه،
امنحُوا الحبيبَ كلَّ ما فيكم، وخذُوه بكلِّ ما فيه،
وإيَّاكُم واستعجال الحلالِ بالإقبالِ على الحرام،
فإنَّ الحبَّ الحرامَ فوق أنَّه إثمٌ فهو منزوعُ البركة،
وكلُّ شخصٍ عصيتَ اللّٰه لأجلِه سيعاقبُكَ اللّٰه به،
وكلُّ طريقٍ لا تُرضي اللّٰه نهايتُها لن ترضيكَ،
تعفَّفُوا، وسترون كيف يأتي الحلالُ إلى أبوابكم جاثياً!

267
«إنِّي رَأَيْتُ الملائكةَ تُغَسِّلُهُ!»

تزوَّجَ حنظلةُ في الليلةِ التي كانتْ صبيحتَهَا غزوةُ أُحدٍ،
فلمَّا سمعَ المناديَ يُنادي: يا خيلَ اللهِ اركبِي،
حملَ سلاحَه، وخرجَ ليلتحقَ بالجيشِ وهو ما زالَ على جنابةٍ
لم يغتسِلْ!
ثمَّ قاتلَ قتالَ الفُرسانِ حتى استشهدَ رضيَ اللهُ عنه،
وعندما انتهَى القتالُ، وجاءَ النَّبيُّ ﷺ يتفقَّدُ شهداءَ أُحدٍ،
قالَ: ما بالَ حنظلةَ؟ إنِّي رأيتُ الملائكةَ تُغسِّله بينَ السماءِ
والأرضِ،
بماءِ الغيمِ في صحافٍ من فضَّةٍ!
فقالُوا: إنَّه سمعَ النِّداءَ، فخرجَ وهو جُنُبٌ ولم يغتسِلْ!
من تركَ شيئاً للهِ عوَّضَه اللهُ خيراً منه!
كان بإمكانِه أن يبقَى بجانبِ عروسِه ولن يلومَه أحد،
ولكنَّه اختارَ أن يُزَفَّ مرَّتينِ، مرَّةً إلى زوجتِه في الليل،
ومرَّةً إلى الحورِ العينِ في النَّهار، فيا للمجدِ يا حنظلةَ!
أرِ اللهَ في كلِّ تصرُّفٍ أنَّكَ لا تريدُ سواه ثم تأمَّلِ النَّتائج،
أرِه أنَّ كلَّ صدقةٍ تُخرجُها هي له خالصةٌ،
وكلَّ جبرِ خاطرٍ تقومُ به أنَّكَ لا تريدُ إلا وجهَه،
وهو أرحمُ وأعدلُ من أن تعيشَ له ثمَّ يميتُكَ ولستَ له!

268
«أَتُحِبِّينَ أنْ تَنْظُرِي!»

دخلَ الحَبَشُ المسجدَ يلعبُون بالحرابِ في يومِ العيدِ،
وكانت عائشةُ يومذاكَ لم تزلْ صغيرةً في السِّنِّ،
فقالَ لها النَّبيُّ ﷺ: يا حُميراء، أتحبِّينَ أن تنظرِي إليهم؟!
فقالتْ: نعم.
فوقفَ عند البابِ، فجاءتْ فوضعتْ ذقنَها على كتفِه وأسندتْ وجهَهَا على خدّه،
وجعلتْ تنظرُ إليهم حتى قالَ لها: حسبُكِ.
فقالتْ: يا رسولَ اللهِ لا تعجلْ،
فمكثَ واقفاً مكانه وهي تنظرُ إليهم حتى اكتفتْ!
وكذا الحبيبُ إذا رأى المسرَّاتِ أحبَّ أن يُشاركَه بها حبيبُه،
وإن ذاقَ لقمةً طيبِّةً في حضورِه اقتسمَها معَه،
وإن تذوّقَها في غيابِه اشتهَى وجودَه ليشاركَه بها،
هذا هو الحبُّ أن تتلذَّذَ بما تمنحُه من سعادةٍ لحبيبكَ،
أكثر مما تتلذَّذُ بسعادةٍ تأخذُها منه،
وما عدا ذلك حبٌّ ناقص، وعشقٌ مشوَّهٌ، وهيامٌ مبتورٌ!

269

«مَا تَصْنَعُونَ بالحياةِ بعد رَسُولِ اللّٰه؟!»

غابَ أنسُ بن النَّضرِ عن غزوةِ بدرٍ، فقالَ للنَّبيِّ ﷺ: غبتُ عن أوَّلِ قتالٍ للمشركين، وإن أشهدني اللّٰه قتالَهُم ليرينَّ ما أصنع!

فلمَّا كانتْ غزوةُ أحدٍ قاتلَ قتالَ الأبطالِ، وخالفَ الرُّماةُ أمرَ النَّبيِّ صَلَى اللّٰهُ عَلَيهِ وسَلَّم، فانكشفَ المسلمونَ، وأعملَ فيهم المشركون فيهم السَّيفَ، فأخذَ يقاتلُ غير آبه، حتى رأى جماعةً من المسلمينَ لا يُقاتلون، فسألهم، فقالُوا: قُتِلَ رسولُ اللّٰهِ! وكانَ المشركُون قد أذاعُوا هذا الخبر!

فقالَ لهم: وما تصنعُون بالحياةِ بعدَه، قومُوا فموتُوا على ما ماتَ عليه!

فوُجِدَ في نهايةِ المعركةِ شهيداً، به أكثر من ثمانينَ طعنةً، ومثَّلَ به المشركُونَ، فلم يعرفه إلا أختُه من علامة كانت في إصبعه، وفيه نزلَ قول ربِّنا: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾،

إنَّ اللّٰه يحب صادق العهدِ معه، في الحربِ وفي السِّلم أيضاً!

فإن عاهدتَ اللّٰه إن أغناكَ أن تتصدَّقَ، فلا تحنَثْ إن أغناكَ!

وإن عاهدتَ اللّٰه إن شفاكَ أن تطيعَه، فلا تُخلفِ العهدَ إن شفاكَ!

تذكَّرْ كم مرَّة سألتَ اللّٰه زوجةً لتحبَّها وتكرمَها، **فها هي** بين يديكَ فأوفِ، وكم مرَّة سألتَ اللّٰه وظيفةً لتتصدَّقَ وتنفق، **فها هي** بين يديك فأدِّ،

إنَّ اللّٰهَ تعالَى وفي يحبُّ الأفياء!

270

«إنَّه من أهلِ النَّارِ!»

كان في المدينةِ رجلٌ شجاعٌ يقال له قُزمان،
إذا ذُكرَ للنَّبيِّ ﷺ قالَ: هو من أهلِ النَّارِ!
فلمَّا كانتْ غزوةُ أُحد، خرجَ في جيشِ المسلمين وقاتلَ قتالاً شديداً،
وقتلَ وحدَه ثمانيةً من المشركين ثم أُصيبَ بجراحٍ بليغةٍ،
فقالُوا له يصبِّرُونه: أبليتَ بلاءً حسناً يا قزمان فأبشرْ!
فقالَ: ما قاتلتُ إلا دفاعاً عن قومي ولستُ مسلماً،
فلمَّا اشتدَّ عليه وجعُه لم يصبرْ، وأخذَ سهماً من كنانته فقتلَ به نفسَه!
إنَّ اللّه لا يقبلُ من العملِ إلا ما كانَ خالصاً لوجهِه الكريم!
كلُّ صدقةٍ أردتَ بها النَّاسَ، فهي للنَّاسِ وليست للّه،
كلُّ حجٍّ قصدتَ به اللقبَ، فهو للنَّاسِ وليس للّه،
وكلُّ موقفٍ وقفتَه لتنالَ ثناءَ النَّاسِ، فهو للنَّاسِ وليس للّه،
أصلِحْ نيَّتَكَ، كي لا تكونَ عاملةً ناصبة،
ليس لك إلا مشقَّة الطاعةِ وقد فاتَ عليكَ أجرُها،
لخَّصهَا لكَ ابنُ القيِّمِ فقالَ: إذا لم تخلِصْ فلا تتعبْ!

لَيسَ غَيرُ الرَّضَا يَصْلُحُ مَرْكَباً
لِلعُبُورِ يَا صَاحِبِي، فَارْضَ تَجِدْ الضِّيقَ
رَحْباً، والقَلِيلَ كَافِياً، وإِنَّكَ بِغَيرِ الرِّضَى
فَقِيرٌ وَلَو كَانَتْ الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي جَيبِكَ!

271
«إنَّ الرِّفْقَ لا يكُونُ في شيءٍ إلا زَانَه!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ محدِّثاً أصحابَه عن أهميَّةِ الرِّفقِ:
إنَّ الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَه، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلا شانَه!
على أنَّ الرِّفقَ له مواضعٌ، والحزمُ له مواضعٌ،
والإنسانُ العاقلُ هو المتوازنُ الذي يضعُ كلَّ شيءٍ موضعَه،
لأنَّ وضَع الرِّفقِ في موضعَ الحزمِ حُمُقٌ، تماماً كوضعِ الحزمِ في موضعِ الرِّفقِ،
وأنجحُ طُرقِ تربية الأولاد أن يتناوبَ الوالدانِ في الرِّفقِ والحزمِ!
فإذا اشتدَّا معاً أوشكَا أن يكسِرَا الأولادَ ويصبحُ البيتُ ثكنةً عسكريَّةً،
وإذا لانا معا أوشكا أن يضيِّعَا الأولادَ ويصبحُ البيتُ بلا قانونٍ!
فإذا اشتدَّ الأبُ في موقفٍ كانتِ الأمُّ صدراً حنوناً،
وإذا اشتدَّتِ الأمُّ في موقفٍ كان الأبُ صديقاً رحوماً،
نحن نريدُ تربيةَ الأولادِ لا كسرَهم، تقويمَهم لا هزيمتَهم!

272
«إيَّاكُمْ والظَّنّ!»

كان النَّبيُّ ﷺ يعلمُ أنَّ المرءَ لا يُؤتى إلا من قِبَلِ قلبِه،
لهذا قالَ لأصحابِه: إيَّاكم والظَّنّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديثِ!
احملُوا تصرُّفاتِ النَّاسِ على المحاملِ الحسنةِ فأنتم لا تعلمُون ظروفَهم،
الذي لم يزركَ في مناسبةٍ ربما عزَّ عليه أن يحضرَ دون هديَّةٍ!
والذي مرَّ بك فلم يسلِّمْ لعل له همًّا جعلَه لا يرى أحداً!
هذه الدُّنيا قاسيةٌ وتطحنُ النَّاسَ كلَّ يوم!
مستأجرٌ أدركَه آخرُ الشَّهرِ وليس عندَه الإيجار،
ومريضٌ كادتْ علبةُ دوائِه أن تنفدَ وليس معه ثمنُ غيرِها،
زوجٌ بينه وبين زوجتِه في البيتِ رحى حربٍ ففقدَ اتِّزانَه،
وأبٌ تطالبُه الجامعةُ بالقسطِ، ومستقبلُ ابنِه على المحكّ،
أمثالُ هؤلاءِ كيف يكونون طبيعيِّين في حياةٍ ليس فيها شيءٌ طبيعيٌّ؟!
ترفَّقُوا، ولا تكونُوا أنتُم والدُّنيا على النَّاس!

273
«فإنَّ اللّٰه أحقُّ بالوَفاءِ!»

جاءتِ امرأةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالتْ: يا رسولَ اللّٰه،
إنَّ أمِّي نذرتْ أن تحجَّ فماتتْ قبل أن تحجَّ، فأحجُّ عنها؟!
فقالَ لها: نعمْ، حجِّي عنها، أرأيتِ لو كان على أمِّكِ دَينٌ أكنت تقضيه؟
فقالتْ: نعم.
فقالَ: اقضُوا اللّٰه الذي له، فإنَّ اللّٰه أحقُّ بالوفاءِ!
البرُّ لا ينتهي بالموتِ، وإنَّ من البرِّ أداءُ ديونِ الميت،
الدُّيونُ التي للنَّاسِ، والدُّيونُ التي للّٰهِ أيضاً!
قد يموتُ المرءُ في مرضٍ اضطرَّه أن يستدينَ، ووفاءُ دَينه برٌّ عظيم،
صحيحٌ أنَّ اللّٰه غفورٌ رحيمٌ ولكن حقوقُ النَّاسِ يجب أن تُؤدَّى،
وقد تموتُ امرأةٌ وعليها قضاءُ صيامٍ لم تصمْه بعد،
وهي إن كانتْ في سعةِ وقتِها لا شيءَ عليها،
إلا أنَّ على أهلها أن يقضُوا عنها صيامَها!
البرُّ بالميِّتِ بعد موته من أجملِ صورِ الوفاءِ على الإطلاق،
لأنهُ لا خيرَ يُرتجَى منه، ولا شرَّ يُتَّقى، إنَّما هو الحبُّ ليس إلا!

274
«فإذَا مِتُّ فأَحْرِقُونِي!»

حدَّثنَا النَّبيُّ ﷺ عن رجلٍ آتاهُ اللهُ مالاً فلم يعملْ خيراً قَطّ!
فلمَّا حضَرتْه الوفاةُ، جمعَ أولادهَ وقالَ لهم: أيُّ أبٍ كنتُ لكم؟
فقالُوا: كنت خيرَ أبٍّ!
فقالَ: فإنِّي لم أعملْ خيراً قط، فإذا متُّ فأحرِقُونِي،
ثم اسحَقُونِي، ثم ذَرُّونِي في يومٍ عاصفٍ!
ففعلُوا، فأمرَ اللهُ به فأقامَه بين يديه وقالَ له: ما حملكَ على هذا؟
فقالَ: مخافتُكَ يا ربّ! فغفرَ اللهُ له!
لا يُفهم من الحديثِ أنّه أَحسِنِ الظنَّ باللهِ وافعلْ ما شئتَ!
وإنَّما حسنُ الظنِّ باللهِ ومخافتُه لا يتعارضان مع العملِ الصالحِ،
بل يتكاملانِ معه، فالعبدُ في الدُّنيا بين ذنبٍ وتوبةٍ، معصيةٍ وطاعةٍ،
وحسنُ الظنِّ باللهِ أن يعرفَ العبدُ أنَّ رحمةَ اللهِ أكبرُ من ذنوبِه،
لا أن يتجرَّأَ على اللهِ، ويبارزَه بالمعاصي، معتمداً على حسنِ الظنِّ،
صحيحٌ أنَّه لن يدخلَ أحدٌ الجنَّةَ بعملِه وإنَّما برحمةِ اللهِ،
ولكن هل تُستجلبُ رحمةُ اللهِ بمثلِ العملِ الصَّالحِ؟!

275
«أَمَا تَرْضَيْنَ أنْ أَصِلَ من وَصَلَكِ؟!»

حدَّثَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه عن أوَّلِ الخَلْقِ فقالَ:

إنَّ اللّه تعالى خلقَ الخلقَ، حتى إذا فرغَ منهم، قامتِ الرَّحِمُ فقالتْ:

هذا مقامُ العائذ بكَ من القَطيعةِ؟

فقالَ: نعم، أما ترضينَ أن أصلَ من وصلكِ، وأقطعَ من قطعكِ؟

قالتْ: نعم،

قالَ: فذلكَ لكِ!

ليست صلةُ الرَّحمِ زيارةٌ بزيارةٍ، وهديَّةٍ بهديَّةٍ، فهذا نفعلُه مع الجميع!

من زارنَا زرنَاه، ومن أهدانَا أهدينَاه، ومن دعانَا دعونَاه،

إنَّما صلةُ الرَّحمِ ألا تقبلَ بالقطيعةِ إن قبِلَ بها أقاربُك!

يقعُ الأذى من الأقرباءِ وهذا واقعٌ محسوسٌ، ومشهدٌ مُعاشٌ!

وما من عائلةٍ إلا فيها حاسدٌ أو مبغضٌ لسببٍ تعرفُه أو لا تعرفُه!

النَّاسُ عقولٌ وأهواءٌ، ونفسيَّاتٌ ومشاربُ، أفهامٌ، وقلوبٌ!

ونحن مأمورُون بالصَّبرِ لا بالقطيعة، بالوصلِ لا بالهجرِ،

صحيحٌ أنَّ هذا عسيرٌ على النَّفسِ، ويحتاجُ إلى مجاهدةٍ،

ولكنَّ الجنَّةَ تستحِقُّ، ووصْلُ اللّهِ لنا أغلى من الكرامة!

276

«عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا!»

تزوَّجَ رجلٌ امرأةً من الأنصارِ وجاء إلى النبي ﷺ ليعينَه على المَهرِ،

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: على كمْ تزَّوجتَها؟

فقالَ: على أربعِ أواقٍ فضَّة!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ مستنكراً: على أربعِ أواقٍ فضَّة؟!

كأنَّما تنحتُون الفضَّة من هذا الجبل!

ما عندنَا ما نعطيكَ، ولكن عسَى أن نبعثَكَ في بعثٍ تصيبُ منه!

الزَّواجُ للعفَّة، عفَّةُ الشَّابِّ، وعفَّةُ الفتاة،

وليس عقداً من عقودِ التِّجارة، والبناتُ لسنَ سلعاً للبيع!

صحيحٌ أنَّ المهرَ من شرعِ ربِّنا، ولو بلغَ الملياراتِ فليسَ حراماً،

ولكن الأمورَ لا يُنظرُ إليها بعينِ الحلالِ والحرامِ فقط،

وإنَّما بعينِ العقلِ، وفهمِ الحياةِ، وقدراتِ النَّاس!

فمتى ما تسابقَ النَّاسُ في غلاءِ المهورِ حدثتِ الكارثةُ،

عزفَ الشَّبابُ عن الزواجِ، وتعنّستِ الفتياتُ،

وفي هذا دمارُ المجتمعِ، وفسادُ قيمِه، فاتَّقُوا اللَّه في أولادِكم وبناتكم!

277
«قَدْ سَمِعْتُ صَوتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفاً!»

في غزوةِ الأحزابِ دخلَ أبو طلحةَ على زوجتِه أمِّ سُليمٍ فقالَ لها:

إنِّي قد سمعتُ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ ضعيفاً،

أعرفُ فيه الجوعَ، فهل عندكَ شيءٌ؟!

كُنْ لمَّاحاً، حاجاتُ النَّاسِ تظهرُ لكَ من أدقِّ التَّفاصيل!

زيارةٌ إلى بيتِ صديقكَ تخبركَ بحاجةٍ لم يستطعْ أن يبوحَ بها،

تغيُّرٌ في الإنفاق ينبئكَ أنَّه في ضِيقٍ،

بعضُ النَّاسِ يعزُّ عليهم أن يطلُبوا، وإن طلبُوا فتلميحاً!

دخلتْ أعرابيَّةٌ على الأميرِ فقالتْ له: جئتُ أشكُو إليكَ قلَّةَ الفأرِ في بيتي!

فقالَ لها: ما أحسنَ كنايتكِ! ثم أعطاها ما يكفيها!

فرحمَ اللهُ اللماحينَ الذين يعرفونَ حاجاتِ الناس من كناياتِهم، وملامِحِهم!

278

«مَنْ دَلَّ على خيرٍ فله مثلَ أَجْرِ فاعِلِه!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: انقطعَ بي السَّبيلُ فاحمِلْني!
أي أعطِني دابةً أتبلَّغُ بها وُجهتِي، فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: ما عندِي!
فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، أنا أدلُّه على من يحملُه!
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: من دلَّ على خيرٍ فله مثلَ أجرِ فاعلِه!
إن لم تكُنْ تستطيعُ فعلَ الخيرِ فدلَّ عليه!
فقيرٌ تعرفُه لا تملكُ مالاً تعينه، أرشدْ ثريًا عليه تحسبُ أنَّه سيعطيه،
صديقٌ لا يصلِّي وليس لكَ أسلوبٌ في الدعَّوةِ والكلام،
دلَّ عليه رقيقَ قلبٍ، حلوَ لسانٍ، يحِبُّ للنَّاسِ الهداية!
خلافٌ عائليٌّ لا تستطيعُ أن تدخلَ فيه، أخبرْ به من يصلِحُ ذاتَ بينهم،
ظلمٌ وقعَ على إنسانٍ تعرفُه ولا تستطيعُ أن ترفعَه عنه،
أخبرْ به من يستطيعُ أن يعيدَ له حقَّه،
وتحسَّسْ في كلِّ هذا أجرَ الدَّالِّ على الخيرِ،
لكَ أجرُ صدقةٍ، وهدايةٍ، وإصلاحِ ذاتِ بينٍ، ورفعُ ظلمٍ، فقط لأنَّك دللتَ!

279
«أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ:
يا رسولَ اللهِ، ما لقيتُ من عقربٍ لدغتْني البَارحةَ!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أمَا لو قلتَ حين أمسيتَ:
أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَاتِ من شرِّ ما خلقَ، لم تضرّك!
الإنسانُ في هذه الحياةِ كأنَّه في رحى حربٍ، لا يعرفُ من أين تأتيه الضَّربة!
والأذكارُ درعٌ حصينٌ، وخوذةٌ منيعةٌ، وترسٌ صلبٌ!
والجنديُّ العاقلُ لا ينزلُ إلى ساحةِ الحربِ مكشوفاً!
الأذكارُ حصنُ اللهِ ومن دخلَ حصنَه فقد أَمِنَ!
خذِ احتياطَكَ، وحصِّنْ نفسكَ، واجعلْ بينكَ وبين الحوادثِ سدًّا،
النَّاسُ يدفعونَ أموالاً طائلةً مقابلَ الحراسةِ والحِماية،
أنتَ يمكنكَ أن تحصلَ عليها ببضعِ كلماتٍ!

280

«فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ يستأذُنه في الجهادِ،

فقالَ له: أحيٌّ والداكَ؟

قالَ: نعم!

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: ففيهِمَا فجاهِدْ!

يا له من جهادٍ عظيم ليس فيه خُطورة!

اصحَبْهُما إلى الطَّبيبِ واحتسبْ كأنَّكَ في مسيركَ هذا تغزُو!

ولِنْ لهُما في الكلامِ فهو يُوازِي البطشَ بالأعداءِ!

واسهَرْ على راحتِهما فكأنَّكَ تحرسُ في سبيلِ اللّهِ!

واحتمِلْ منهما فإنَّهُما يعيشانِ في زمانٍ ليس زمانَهما،

فكأنَّكَ وقتذاك كواقفٍ في الصَّفِّ وقتَ المبارزَة!

يحبُّ اللّهُ البرَّ، يحبُّه كثيراً، لأنَّ فيه معنى الوفاءِ،

واللّهُ وَفيٌّ يُحِبُّ الأوفياءَ!

281
«كُلَّ يَوْمٍ سَبعِينَ مَرَّةً!»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، كم أعفُو عن الخادم؟
فصمتَ النَّبيُّ ﷺ ولم يجبْه!
فقالَ: يا رسولَ اللهِ، كم أعفُو عن الخادم؟
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: كلَّ يومَ سبعين مرَّة!
أخلاقُكَ الحقيقيَّة ليست مع الوزيرِ، ولا المديرِ، ولا المتنفِّذِ،
أخلاقُكَ الحقيقيَّة مع المساكينِ الذين ليس لهم إلا اللهُ!
مع خادمتكَ التي تركتْ أهلَها وبلدَها لأجلِ رغيفِ خبزٍ،
مع السَّائقِ الذي استقدمتَه وفي قلبِه وحشةٌ للأهلِ والأحبابِ،
مع العاملِ المسكينِ الذي استخدمتَه لينقلَ لكَ الرَّملَ والحجارة،
مع العاملينَ لديكَ وقد جعلَ اللهُ أرزاقَهم عندكَ،
احتملْ منهم ولا تجمعْ عليهم قسوةَ الحاجةِ وقسوةَ المعاملةِ،
وكلمَّا غضبتَ من أحدِهم تذكَّرْ أن اللهَ تعالى لو شاءَ،
لجعلَ الأدوارَ مقلوبة، وكنت مكانَ أحدِهم وهو مكانكَ،
فانظُرْ كيف كنتَ تريدُ منه أن يُعاملكَ، وعَاملْهُ!

282

«لا يَزَالُ لسَانُكَ رَطْباً بذِكْرِ اللهِ»

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ،
إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرتْ علينَا، فمُرْنِي بأمرٍ أتشبَّثُ به!
فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: لا يزالُ لسانكَ رطباً بذكرِ اللهِ!
لا تغفلْ عن الذِّكرِ فإنَّه مِن أسهلِ العباداتِ!
لا يحتاجُ تفرُّغاً كالصلاةِ، وليس فيه تعبٌ كالصِّيامِ،
ولا مشقَّة كالحجِّ، ولا جهاد نفسٍ كالزَّكاةِ!
وأنت تقودُ سيارتكَ إلى عملكَ بإمكانك أن تسبّح،
وأنتِ تطبخين بإمكانكِ أن تُصلِّي على النَّبيِّ ﷺ،
وأنت تشاهدُ نشرةَ الأخبارِ بإمكانكَ أن تُهلِّلَ،
وأنتِ تشترين أغراضَ البيتِ بإمكانكِ أن تُكبِّري!
حتى في اجتماعٍ رتيبٍ الذِّكرُ أجملُ ملاذٍ،
وحتى في محاضرةٍ مملَّةٍ الذِّكرُ أحلى سلوَى!

283
«قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ!»

خرجَ رجلٌ على عهدِ النَّبيِّ ﷺ في سريَّةٍ، فأصابَه حجرٌ فَشَجَّ رأسَهُ!

فَاحْتَلَمَ تلك اللَّيلةِ، فسألَ أصحابَهُ إنْ كان بإمكانِهِ التَّيَمُّمَ،

فقالوا: مَا نجِدُ لك رُخصةً وأنتَ تقدِرُ على الماءِ!

فاغْتَسَلَ، فَالْتَهَبَ جُرْحُهُ، فماتَ!

فلمَّا أُخبِر النَّبيُّ ﷺ بالأمرِ قال: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ!

ألَا سَأَلُوا إذا لم يعلمُوا، إنَّما كان يكفيه أن يَتَيَمَّمَ!

مُشكِلَتُنا في هذه الأيَّامِ أنَّ في داخِلِ كُلِّ واحدٍ منَّا مُفْتٍ،

وليتَ الفَتَاوَى في أمورِ الطَّهارةِ، ومِنَ المعلومِ من الدِّينِ بالضَّرورةِ، وإنَّما في أمورِ مُستجِدَّةٍ، كالأسهمِ، والشَّركاتِ، والمُعاملاتِ، والعُقودِ، وهي أمورٌ لو عُرِضتْ على عمر بن الخطَّاب لَجَمَعَ لها فُقهاءَ المُهاجِرين والأنصارِ، يُفتي فيها أحدُنا برأيِهِ وهو لا يَعرفُ الفرقَ بين الآيةِ المدنيَّةِ والمكيَّةِ!

إذا مرِضْنَا ذهبْنَا إلى الأطبَّاءِ لأنَّهم أهلُ اختصاصٍ،

وإذا أردْنَا أن نبنيَ بيتاً قصدنا مُقاولاً لأنَّه من أهلِ الاختصاصِ،

وإذا خربَتَ سيارتُنَا ذهبْنَا إلى الميكانيكيِّ لأنَّه أعلمُ منَّا،

أمَّا في الفقهِ، والمواريثِ، والزَّكاةِ، والقِيَاسِ، والاجتهادِ فكُلُّنا أهلُ اختصاصٍ!

284

«رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّينِ!»

سألتْ عائشةُ النَّبيَّ ﷺ عن عبدِاللهِ بن جَدْعَان فقالتْ:

كان في الجاهليَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويطعمُ المسكينَ، فهل هذا نَافِعُهُ؟

فقال لها: لَا ينفعُهُ، إنَّه لَم يقُلْ يوماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّينِ!

نعترفُ بفضلِ الكافرِ إنْ كانَ لهُ فضلٌ،

ونُشِيدُ بعملِهِ الإنسَانِيِّ فهذا منَ العدلِ الذي أُمرنَا بِهِ،

الكافرُ الذي يخترِعُ دواءً مشكورٌ، ولكنَّ الجنَّةَ ليستْ صيدليَّةً!

والذي اخترَعَ المُكَيِّفَ هوَّنَ علينا، ولكنَّ الجنَّةَ ليستِ استِرَاحَةً!

والذي أقامَ جسراً خفَّفَ علينا، لكنَّ الجنَّةَ ليستْ مكتَبَ هَندسَةٍ!

اعتقادُ أنَّ الكافرَ سيدخُلُ الجنَّةَ لأنَّه قام بعملٍ جيِّدٍ،

تسخيفٌ وتسطيحٌ لقضيةِ التَّوحيدِ التي كانت لأجلِهَا السَّماواتُ والأرضُ!

هذا هو دينُنَا وليسَ فيه ما نخجلُ منه أو نتحرَّجُ به،

المسلمُ مهما كان مؤذياً فسيدخلُ الجنَّةَ وإنْ عُذِّبَ قبلها،

والكافرُ وإن كان خيِّراً ووصلَهُ الإسلامُ فَرفضَهُ فهو في النَّار،

وأمرُنَا جميعاً إلى اللهِ، إن شاءَ عذَّبَ وإن شاءَ رحِمَ،

هذا شأنُهُ سبحانه، أمَّا عقيدتُنَا فهذه هي!

285
«لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ!»

خرجَ ابنُ سلولٍ في غزوةِ بني المُصْطَلِقِ وهو على نِفَاقِهِ الذي مات عليه، وفي طريقِ العودةِ تشاجرَ رجلٌ من المهاجرين مع رجلٍ من الأنصارِ،

فنَادَى المُهاجرُ: يَا لِلْمُهاجِرِينَ!

ونَادَى الأنصاريُّ: يَا لِلأَنْصَارِ!

فقال لهم النبي ﷺ: ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة!

ولم يعجب ابن سلول كيف أطفأ النبي ﷺ نار الخلاف، فقالَ: واللهِ لئن رجعنَا إلى المدينةِ ليُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ!

يعنِي بالأعزِّ نفسَه، وبالأذلِّ سيدنا رسولَ اللهِ، يا للنِّفاقِ وقلَّة الأدبِ!

فبلغ النبي ﷺ هذا، واستأذنه عمر أن يضربَ رأسَ ابن سلولٍ!

فقال له: دعه، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ!

الحياةُ تضعُنَا أحياناً في اختبارات شاقَّة!

نعرفُ الصَّوابَ الذي يجبُ أن نفعلَهُ، والكلامَ الذي يجبُ أن نقولَهُ، ولكنَّ الحكمةَ تقتضي أن لا نقول ولا نفعل!

بل نصبرُ لتحقيقِ قاعدةٍ عظيمةٍ من قواعدِ هذا الدِّينِ العظيمِ هي: دَرْءُ المفاسدِ مقدَّمٌ على جلبِ المَصَالِحِ!

فكن حكيماً، وانظُرْ في ردَّةِ الفعلِ على فعلِكَ، وفي صدَى كلِمَتِكَ!

لا تَجْعَلْ ضَربَةً
وَاحِدَةً تُقْعِدُكَ عن مُوَاصَلَةِ مَسْعَاكَ،
لَمِلِم جِرَاحَكَ، وامْسَحْ دُمُوعَكَ، واسْتَعِن
بالله وتَابعْ، هَذِهِ المَرَّةَ أنتَ لا تبدأ مِنَ الصِّفْرِ،
أنتَ تبدأُ من الضَّرْبَةِ التي لَم تَقْتُلْكَ ولكنَّها
جَعَلَتْكَ أَقْوَى!

286
«فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ!»

قالَ النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِهِ:
بدأَ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأَ، فطُوبَى للغُربَاءِ!
والغرباءُ الذينَ عَنَاهُم النَّبيُّ ﷺ في قولِهِ هذا،
هُمُ الذين يثبُتُونَ على دينهم عندما ينتشرُ الفسادُ وتكثُرُ المعاصي،
لهم وظائفٌ وأعمالٌ، جامعاتٌ، وتجاراتٌ، ووُرَشٌ، وعياداتٌ،
يعيشون بين النَّاس قابضينَ على دينهم كالقابضِ على الجمرِ!
وليست الغربةُ هيَ الانطواءُ، واعتزالُ المجتمعِ والنَّاسِ، والحياةُ على الهَامِشِ!
فهذا هو الانهزامُ لا الغُربةُ، السَّلبيَّةُ في أوضحِ وأقبحِ وُجوهِهَا!
كان أبو بكرٍ في مكَّةَ تاجراً ناجحاً، يبيعُ ويشتري، ويعتِقُ العَبيدَ!
وكان عثمانٌ من أثرياءِ النَّاسِ له أموالٌ طائلةٌ وتجاراتٌ،
وكان المِقدادُ بن الأسودِ فارساً صلبا جَلْداً لا يُشَقُّ له غبارٌ،
وكان عمرُ سيِّدَ قومِهِ، ومُمَثِّلُهم في دارِ النَّدوةِ، وسفيرُ قُريشٍ أيضاً،
غُربتُهُم كانت في قلوبِهِم، وفي ثَباتِهِم على دينهم في مجتمعٍ فاسدٍ،
لم يَعتزِلُوا الحياةَ، ولم يَركنُوا على جنبٍ ضعفاً وانهزاماً!

287
«أَحَاسِنُكم أَخْلَاقاً!»

قال النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه: إنَّ مِن أَحَبكُم إليَّ،
وأقربِكُم منِّي مجلساً يومَ القيامةِ أَحَاسِنُكُم أَخْلَاقاً!
لم يقلْ أكثرُكم عبادةً، لأنَّ العبادةَ التي لا تتركُ في السُّلوكِ أثراً عبادةٌ عوراءٌ!
ولأنَّ أهمَّ درسٍ في الإسلامِ هو الأخلاقُ، ومن فاتَهُ لم يدركْ شيئاً غيرَهُ!
إندونيسيا وماليزيا لم تفتحْهَا جيوشُ المسلمين بالسيفِ،
وإنَّما فتحها التُّجار المسلمون بحُسنِ أخلاقِهم، وصِدقِ مُعاملتِهم!
فتَعَالَوا نُراجعُ أخلاقَنَا مع زوجاتِنا وأولادِنا في البُيوتِ،
مع جيرانِنَا، وأقاربِنَا في الحارةِ والسَّكنِ،
مع زملاءِ العملِ والدِّراسةِ، في الوظيفةِ والجامعةِ،
مع زبائِنِنَا في الدَّكاكين، ومرضَانَا في العِياداتِ، وعُمَلائِنَا في الشَّركات!
الجنَّةُ ليست بعيدةً كما نَتَوَهَّمُ، إنَّها قريبةٌ جداً،
وبإمكانِنَا أن نخْطُو إليها كلَّ يومٍ، حينَ تعاملُ النَّاسَ بأخلاقِ الإسلامِ!

288
«قُولُوا: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ!»

أُوتِيَ النَّبيُّ ﷺ برجلٍ قد شربَ الخمرَ فقالَ: اِضْرِبُوهُ!
فَجَلَدَهُ الصَّحابةُ حَدَّ شَارِبِ الخَمْرِ،
فلمَّا انصرفَ قال له بعضُهُم: أَخْزَاكَ اللهُ!
فقالَ لهم النَّبيُّ ﷺ: لا تقُولُوا هكَذَا،
لا تُعِينُوا عليه الشَّيطانَ، ولكنْ قُولُوا: اللهمَّ اِغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ!
هذا دينُ اللِّينِ، والسَّماحةِ، والرَّحمةِ، والإشفاقِ،
دينُ الأخذِ بيدِ النَّاسِ إلى اللهِ، لا الوقوف بينَهُم وبينَهُ!
وما أرسلَ اللهُ الأنبياءَ إلَّا للعُصاةِ من خلقِهِ،
ولَو كانوا مُؤمنِينَ ما احتاجُوا إلى الأنبياءِ أساساً!
المعاصي أمراضٌ كالسِّلِّ والسَّرطانِ..
ولكنَّها في القلوبِ لا في الأجسادِ،
والمريضُ يُشفَقُ عليه، ويُرَقُّ لحالِهِ، ولا يُعيَّرُ بمرضِهِ!
ثمَّ من منّا ليسَ لهُ معاصٍ كبُرَت أو صَغُرَت،
كلُّنا أسوأ ممَّا نبدُو عليه ولكنَّهُ سِتْرُ اللهِ علينا!
فكُونُوا دُعَاةً ولا تَكُونُوا قُضَاةً!

289
«خُذْ جَمَلَكَ ولَكَ ثَمَنُهُ!»

كانَ جابرُ بن عبدِ اللهِ من فقراءِ الصحَّابةِ، ثمَّ إنَّه تزوَّجَ،
وخرجَ مع النَّبيِّ ﷺ في غزوةٍ، وهُم في طريقِ الإيابِ،
قال له النَّبيُّ صَلَى الله عَلَيهِ وسَلَّم: أتبيعُ جملَكَ،
فقبِلَ جابرٌ، وبَاعَهُ للنَّبيِّ ﷺ بأُوقِيَّةٍ من فِضَّةٍ،
فلمَّا وصلُوا إلى المدينةِ قال لجابرٍ: دعْ جَمَلَكَ وادخُلْ فَصَلِّ رَكعتَينِ، وبينَمَا جابرٌ يصلِّي، أمرَ النَّبيُّ ﷺ بلالاً أن يُحضِرَ له ثمنَ الجملِ، فأخذَهَا جابرٌ ومضَى، فنادَى عليه النَّبيُّ ﷺ قائلاً:
خُذْ جَمَلَكَ ولَكَ ثَمَنُهُ!
النَّاسُ قبلَ أن يكونَ لهم حاجاتٌ فإنَّ لهم كراماتٌ،
وقبلَ أن يكونَ عليهم ديونٌ فلهم خواطرٌ ومشاعرٌ،
أرادَ النَّبيُّ ﷺ أن يعطيَ جابراً دونَ أن يجرحَ كرامَتَهُ،
يعلِّمُنا أنَّ للعطاءِ أدبٌ من العيبِ أن يخلُو منه،
وإلَّا كان العطاءُ إذلالاً، وكلُّ عطاءٍ بِذُلٍّ الحرمانُ خيرٌ منه!
يوجد ألفُ طريقةٍ لمساعدةِ النَّاس دونَ جرحِ كرامَاتِهِم،
فَتَخَيَّرُوا طُرقَ العطاءِ!

290
«اللهُمَّ زَوِّجْ أُمَّ سَلَمَةِ رَجُلاً خَيْراً مِنِّي!»

قالت أُمَّ سَلَمَة لأبِي سَلَمَة: تعالَ نَتَعاهدُ ألَّا تَتَزَوَّج بعدي ولا أتَزَوَّج بعدك!

فقال لها أبو سَلَمَة: أُتَطِيعِينِي؟

فقالت له: نعم،

فقال: إذَا مِتُّ فَتَزَوَّجِي! اللهُمَّ زَوِّجْ أُمَّ سَلَمَةِ رَجُلاً خَيْراً مِنِّي!

فماتَ أبو سَلَمَة، فقالت أُمُّ سَلَمَة في نَفسِهَا: مَن خَيرٌ من أَبِي سَلَمَة؟!

فلمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُها خَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ!

الحيُّ أبقى من الميِّتِ، وزواجُ أحدِ الزَّوجين بعدَ صاحبِهِ مسألةٌ شخصيَّةٌ،

لا علاقةَ لها لا بالحبِّ، ولا بالوفاءِ، ولكنَّها حياةٌ ستمضِي!

ليستِ المرأةُ التي تتزوَّجُ بعد زوجِها قليلةُ وفاءٍ،

ولا الذي يتزوَّجُ بعد وفاةِ زوجتِهِ باحثٌ عن المتعةِ والنِّساءِ!

هذِهِ سنَّةُ الحياةِ، فلا تُقَبِّحُوا الحلالَ، ولا تَدْفِنُوا النَّاسَ أحياءً!

291
«وَهَلْ تُرْزَقُونَ أَو تُنْصَرُونَ إلَّا بِضُعَفَائِكُم؟!»

كان النَّبيُّ ﷺ يُقَسِّمُ غنائمَ الحربِ بين المُقاتلِينَ بالسَّويةِ،
الفارسُ شديدُ البأسِ، ككبيرِ السِّنِ، لا فَرْقَ!
ورأى سعدُ بن أبي وقَّاص أنَّه يجبُ أن تكونَ حصَّتُه أكبر لشجاعَتِهِ، فقال للنَّبيِّ ﷺ: حاميةُ القومِ أيكونُ سهمُهُ وسهمُ غيرِهِ سَوَاء؟!
فقال له النَّبيُّ ﷺ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابنَ أُمِّ سعدٍ،
وَهَلْ تُرْزَقُونَ أَو تُنْصَرُونَ إلَّا بِضُعَفَائِكُم؟!
لعلَّ رزقَكَ بسببِ أَبَوَيْنِ كبيرين تُنْفِقُ عليهما،
أرادَ اللهُ تعالى أن يُعْطِيهِمَا ولكنَّكَ لستَ أكثر من بابٍ يدخلُ منه الرِّزقُ!
ولعلَّ رزقَكَ بِسببِ ابنٍ لكَ فيه عاهةٌ فصَبَرتَ وحمدَّتَ،
وقد أرادَ اللهُ تعالى أن يرزقَهُ ومَا أنتَ إلَّا سببٌ!
ولعلَّ رزقَكَ بسببِ يتيمٍ كَفِلْتَهُ، أو مريضٍ تَتَعَهَّدُ دواءَهُ كلَّ شهرٍ،
أو راتبٍ شهريٍّ جعلتَهُ لأختٍ أرملة، وأخٍ مسكينٍ،
لعلَّ الرِّزقَ بالأساسِ لهم وإنَّما تُرزَقُ أنتَ بسببِهِم،
لعلَّكَ لستَ أكثر من سببٍ وبابٍ، فلا تقطعْ السببَ ولا تغلِقْ البابَ!

292
«أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم!»

مَرَّ سائلٌ بأُمِّ المُؤمِنِينَ عائشة فَأَعْطَتْهُ رغيفاً،
ثمَّ مرَّ سائلٌ بثيابٍ حسنةٍ، فعرفَتْ أنَّهُ عزيزُ قومٍ انقطعتْ به السُّبُلُ،
فَأَجلستْهُ، وقدَّمتْ له الطَّعامَ، فأكلَ ومضَى،
فلمَّا سُئِلَتْ عن ذلك، قالت: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:
أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم!
الحديثُ لا يعنِي احتِقَارَ البُسطاءِ، النَّاسُ في الكرامةِ سواءٌ،
ولكنَّ النَّاسَ منازلٌ، هكذا خلقَهُم ربُّهُم، والمنازلُ تُرَاعَى!
اللُّغةُ التي يُخاطَبُ بها الوزيرُ غيرُ التي يُخاطَبُ بها الخَفِيرُ،
ونُصْحُ الشَّيخِ الكبيرِ في السِّنِّ غيرُ نُصْحِ الصَّبيِّ الصغيرِ،
الحديثُ مع البنتِ، غيرُ الحديثِ مع الزَّوجةِ،
والإنكارُ على الابْنِ عندَ الخطأ، ليس كالإنكارِ على الأبِ عند الخطأ!
أنتَ لا تلبسُ لباساً واحداً لكلِّ المناسباتِ،
وإنَّما تُراعِي واقعَ الحالِ، ورُتْبَةَ المناسبةِ، وحضورَهَا وضيوفَهَا،
وكذلك المُعاملةُ يجبُ أن تُراعيَ واقعَ الحالِ وخصوصياتِ النَّاسِ!
الأطباءُ يا صديقِي لَا يُعالِجُون جميعَ المَرْضَى بنفسِ الدَّواءِ!

293
«تَفْعَلُ الخَيْرَاتِ، وتَتْرُكِ السَيِّئاتِ!»

جاء أبو طويلٍ المَمْدُودِ إلى النَّبيِّ ﷺ وقال له:
أرأيتَ رجلاً عمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فلم يتركْ منها شيئاً،
ولم يتركْ حاجةً ولا داجةً إلا أتَاهَا، فهل له من توبةٍ؟
فقالَ النَّبيُّ ﷺ: نعم، تَفْعَلُ الخَيْرَاتِ، وتَتْرُكِ السَيِّئَاتِ،
فَيَجْعَلُهُنَّ اللّٰه لَكَ خيراتٍ كُلَّهُنَّ!
فقال: وغَدَرَاتِي وفَجَرَاتِي؟
فقال له النَّبيُّ ﷺ: نعم!
فقال أبو طويلٍ: اللّٰه أكبرُ، وما زالَ يُكَبِّرُ حتَّى تَوَارَى!
لا تجعلِ الشَّيطانَ يقفُ بينَك وبين اللّٰه!
فإنَّ من طُرُقِهِ الخبيثةِ أنَّكَ إذا عَزَمْتَ على التَّوبَةِ عَدَّدَ لك ذُنُوبَكَ،
فقال لك: مِنْ أَيِّ شيءٍ تَتُوبُ؟ مِنَ الزِّنَا أم الخمرِ؟
من السَّرِقَةِ أم الكَذِبِ؟ منَ الرّشوةِ أم أكلِ الرِّبَا؟
يُعَظِّمُ ذُنُوبَكَ في عَيْنَيْكَ ويُقَلِّلُ رحمةَ اللّٰه لك!
فلا تَلْتَفِتْ إليه، هذا الرَّبُّ رحيمٌ، رحيمٌ أكثر ممَّا تتخيَّلُ،
إنَّهُ لا يغفرُ الذُّنُوبَ فقط، بل يجعلُ السَّيِّئاتِ حسناتٍ!

294

«يَا أُمَّ حَارِثَةَ: إِنَّهَا جِنَانٌ!»

أُصِيبَ حارثةُ بن سراقةَ يومَ بدرٍ بِسَهْمٍ طائشٍ،
لا يُدْرَى أُطلِقَ من مُعَسْكَرِ المسلمين أَمْ مُعَسْكَرِ المشركين،
فاسْتُشْهِدَ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ كالمشكِّكِينَ باستشهادِهِ!
فجاءَتْ أُمُّه إلى النَّبيِّ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللهِ،
أَخْبِرْنِي عن حَارِثَة، لَئِنْ أصابَ خيراً احتسبتُ وصبرتُ،
وإن لم يصِبْ الخيرَ اجتهدتُ في الدُّعاءِ!
فقال لها: يَا أُمَّ حَارِثَة: إِنَّهَا جِنَانٌ، وإنَّ ابنَكِ أصابَ الفردوسَ الأعلَى!

لا يهمُّ كيفَ يموتُ الإنسانُ إنَّما ما كان في قلبِهِ حينَ ماتَ!
لا فرقَ بين سهمٍ طائشٍ وسهمٍ مقصودٍ ما دام السَّيرُ إلى اللهِ!
لا يهمُّ في حادثِ سيَّارةٍ، أو في مرضٍ، أو في طريقٍ،
المهمُّ عندما جاء الموتُ كم كان مِقْدارُ اللهِ في قلبِكَ!
ماتَ أبو عبيدةَ بالطَّاعونِ وهو أمينُ هذه الأمَّةِ،
وماتَ خالدُ بن الوليدِ على فراشِهِ وهو سيفُ اللهِ المسلولُ،
يا صاحِبي: لا يَهُمُّ كيفَ نموتُ، وإنَّما كيفَ نعيشُ!

295

«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى، إلَّا المُجَاهِرِينَ!»

قال النَّبيُّ ﷺ يوماً لأصحابِه: كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى، إلَّا المُجَاهِرِينَ!
وإنَّ منَ المجانة أن يعملَ الرَّجُلَ بالليلِ عملاً،
ثمَّ يصبِحُ وقد سَتَرَهُ اللهُ، فيقولُ: يا فلانُ عَمِلْتُ البارحةَ كذا وكذا!
وقد باتَ يستُرُهُ ربُّهُ، ويُصبحُ يكشِفُ سِتْرَ اللهِ عنه!
كلُّنَا ذو ذَنْبٍ، ولكنْ شَتَّانَ بين مذنبٍ ومذنبٍ!
شتَّانَ بين من يعصِي اللهَ فيخجلُ من نفسِهِ،
وبين من يعصيهِ ويعتبرُهَا بطولةً يفاخرُ أمامَ النَّاسِ بها!
شتَّانَ بين كُلِّ من أذنبَ عادَ إلى اللهِ مُنْكَسِراً تائباً،
وبينِ كلِّ من أذنبَ فلم يرفَّ له جفنٌ، أو يتوجَّعْ له قلبٌ!
اللهُ سِتِّيرٌ يحبُّ السِتْرَ، لهذا جعل اللهُ التَّوبةَ بينه وبين عبدِهِ،
فلا تتحدَّثْ عن ذنوبِكَ أمام أحدٍ ولو كنتَ تشكو ولا تُفَاخِرْ،
ما سَتَرَهُ اللهُ عليكَ فلا تَكْشِفْهُ، وما غطَّاهُ لك فلا تفضحْهُ!

296
«عائشَةُ، ومن الرِّجَالِ أبُوهَا!»

أرسلَ النَّبيُّ ﷺ عمرو بن العاصِ على غزوةِ ذاتِ السَّلاسلِ، فقاتلَ، وفتحَ اللهُ عليه، وعلِمَ أن هذا يسرُّ النَّبيَّ ﷺ،

ووجدَ الفرصةَ سانحةً لينالَ وسامَ الحبِّ الأعظم!

فقالَ: يا رسولَ اللهِ، من أحبُّ النَّاسِ إليك؟

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: عائشة!

فقالَ عمرو بن العاص: ومن الرِّجال؟

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: أبوها!

لا أعرفُ من الذي أقنعَ الرِّجالَ بالفكرةِ المريضةِ التي تقولُ:

إظهارُ حبِّ الزَّوجةِ منقصةٌ للرُّجولةِ!

فها هو سيِّدُ الرِّجالِ يخبرُ عمرو بن العاصِ على الملأ أنَّه يحبُّ زوجتَه،

نعم على البيوتِ ألا تكون مكشوفة،

وعلى بعضِ التَّفاصيلِ أن تُعاشَ بصمتٍ ولا تُوثَّق،

وليس من الرجولةِ إنزالُ صور الزَّوجةِ في مواقع التَّواصلِ،

ولكن ما الضَّيرُ أن يعرفَ النَّاسُ أنَّكَ تحبُّ زوجتَكَ،

وما الضَّيرُ أن يعرفَ الجميعُ أنكِ تُحبِّينَ زوجك،

مواقفُ صغيرة تنبئُ بهذا، ليس بالضَّرورةِ فتح البيوتِ على مصراعيها!

297
«نَحْنُ نَكْلَؤُكَ يا رسولَ اللهِ!»

غزا النَّبيُّ ﷺ ناحيةَ نجدٍ فظفرَ وغنِمَ، وفي طريقِ العودةِ أرادَ أن يُعسكرَ بالجيشِ، وخشيَ لحاقَ من يريدُ الثَّأر،

فقالَ: من رجلانِ يكلآنا في ليلتنا هذه من عدوِّنا؟

فقالَ رجلٌ من الأنصارِ ورجلٌ من المهاجرين: نحن نكلؤُكَ يا رسولَ اللهِ!

لا تُحرَسُ ظهورُ المسلمينَ في الحربِ فقط وإنَّما في السِّلمِ أيضاً!

الثُّغورُ كثيرةٌ، وكلُّها تستوجبُ حراسةً مشدَّدة!

بيتُ المسلمِ ثغرٌ، وحراستُه بتربيةِ الأولادِ على القرآنِ والسُّنة، والأخلاقِ الحميدةِ، وحبِّ الخيرِ للنَّاسِ، والاعتزازِ بهذا الدِّين!

والمجتمعُ المسلمُ ثغرٌ، وحراستُه بإقامةِ العدلِ وردِّ المظالمِ لأهلِها!

بإعانةِ الفقيرِ، ونجدةِ الملهوفِ، ونصحِ العاصِي، وتشجيعِ المحسنِ، بحمايتهِ من الأفكارِ الهدَّامةِ، والمعتقداتِ الباليةِ، والشُّبهاتِ المريضة!

المسجدُ ثغرٌ، والمدرسةُ ثغرٌ، والصُّحفُ ثغرٌ، والمصانعُ ثغرٌ!

وكلُّ ثغرٍ حرستَه وفقَ ما جاءَ به الإسلامُ هو عبادة،

فالعبادةُ ليست صلاةً وصياماً وحجًّا وزكاةً فحسب،

إنَّ إقامةَ الدِّينِ مُعتقداً وسلوكاً هي أسمَى العبادات!

فاحمُوا ثغورَكم، واحرصُوا ألا يُؤتَى الإسلامِ من قِبَلِكُم!

298

«هَلْ أَعْلَمْتَه؟!»

كان عبدُ اللّهِ بن عمرَ جالساً عندَ النَّبيِّ ﷺ،

فجاءَ رجلٌ فسلَّمَ ومضَى، فقالَ ابنُ عمر: يا رسولَ اللّهِ إنِّي أحبُّ هذا!

فقالَ له النَّبيِّ ﷺ: هل أعلمتَه؟!

فقالَ ابنُ عمر: لا.

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: قُمْ فأعلِمْه!

فقامَ ابنُ عمر، وأخذَ بمنكبِ الرَّجلِ وقالَ له: واللّهِ إنِّي أحبُّكَ في اللّهِ!

فقالَ له: وأنا أحبُّكَ في اللّهِ!

لا تكتمُوا مشاعرَكم الجميلةَ، أظهروُها، وعيشُوها،

ثمّ منذ متى صارَ الحبُّ مدعاةً للخجلِ؟!

من أقبحِ ما نقعُ فيه أننا نعلنُ البُغضَ ونكتمُ الحبَّ!

لو حدثَ خلافٌ بيننا وبين أحد أذعنَاه حتى تعلمَ به الدُّنيا،

ويخجلُ أحدُنا أن يقولَ لزوجتِه أحبُّكِ وهو فعلا يحبُّها،

ويحملُ مشاعرَ طيِّبةً لزميلٍ له في العملِ، يُقدِّرُه، ويُجلُّه،

ويُبقي هذه المشاعر حبيسةً في صدرِه،

لا شيءَ يدعُو لكتمِ الحبِّ إلا أن تكونَ حراماً، ما عدا ذلك فالحبُّ يُذاع!

299
«إنِّي أَرْحَمُهَا!»

كانَ النَّبيُّ ﷺ يكثرُ من زيارةِ أمِّ سُليم،
وكانت امرأةً عجوزاً كثيرةَ العبادةِ، حسنةَ الخُلقِ،
فسُئلَ النَّبيُّ ﷺ عن كثرةِ زيارتِه لها،
فقالَ: إنِّي أرحمُها، قُتلَ أخوها معِي!
النَّبيلُ لا ينسَى المعروفَ أبداً،
لا ينسَى فاعلَه، ولا ينسَى من يمتُّ بصِلَةٍ إلى فاعلِه!
أكرمَ النَّبيُّ ﷺ صويحباتِ خديجةَ رغم أنَّها كانتْ ميتة!
وأطلقَ سفّانةَ بنت حاتمٍ الطائيِّ من الأسرِ لأنَّ أباها كان يدعُو لمكارمِ الأخلاق!
وأوصَى بأهلِ مصرَ خيراً لأنَّ منهم هاجرَ ومارية!
أمُّ الزَّوجةِ أمٌّ، وأمُّ الزَّوجِ أمٌّ، كذا فعلُ الحبيبِ مع الحبيبِ،
وعائلةُ الصَّديقِ عائلةٌ، كذا فعل النَّبيلِ مع الصَّديق،
لا تتعاملْ مع أحبابِكَ، وأصحابِ معروفكَ كأنَّهم مقطوعُون من شجرة!

300
«إنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ!»

قيلَ لعائشة: أخبرينَا بأعجبِ ما رأيتِ من النَّبيِّ ﷺ،
فبكتْ، وقالتْ: وأيُّ شأنِه لم يكن عجباً؟!
أتانِي ليلةً فدخلَ معي في فراشِي، حتى مسَّ جلدِي جلدَه،
ثمَّ قالَ: يا ابنةَ أبي بكرٍ ذرِينِي أتعبَّدُ ربِّي!
فقلتُ: إنِّي أحبُّ قربكَ ولكنِّي أُوْثِرُ هواكَ!
فقامَ يُصلِّي ويبكي، ولم يزلْ كذلك حتى جاءَ بلال فآذنَه بصلاةِ الفجرِ!
لو قيلَ لي ما أجملُ ما قيلَ في الحُبِّ على مرِّ التَّاريخ،
لقلتُ: قولُ عائشة: إنِّي أحبُّ قربكَ، ولكنِّي أُوْثِرُ هواكَ!
فكذا هو الحبيبُ، يعشقُ ولا يتملَّكُ،
يربطُ حبيبَه من قلبِه، ولكنه يُرخي له ليسعدَ!
يُقدِّمُ سعادةَ حبيبِه على سعادتِه، وهواهُ على هواه،
ما الحبُّ إلا أن تسعدَ إذا رأيتَ حبيبكَ سعيداً،
أن تبتهجَ إن سُلِّطتْ عليه الأضواءُ، ولو كنتَ في الظلِّ،
أن تغتبطَ إن رأيتَ على وجهِه ابتسامةً ولو كان في قلبكَ غصَّة!